

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهائى كمال

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

الجزء الرابع عشر

المتأهه

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م

جزوب  
معين التاريخ  
لاهل التاريخ

# فهرس

## الجزء الرابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

الباب الثانى من القسم الثالث من الفن الخامس فيما كان بعد موسى	
آبن عمران عليهما السلام	١
ذكر خبر يوشع بن نون عليه السلام وفتح أريحا وغيرها	١
ذكر خبر حزقيل عليه السلام	٦
ذكر خبر إيلياس عليه السلام	٩
ذكر دعاء إيلياس على قومه وما حل بهم من القحط وخبر أليسع حين	
أتبع إيلياس	٢٤
ذكر رفع البلاء عن قوم إيلياس بدعوته وأستمرارهم على الكفر ورفع	
إيلياس وهلاك آجاب الملك وأمرأته، ونبوة أليسع	٢٦
ذكر نبوة أليسع عليه السلام	٢٨
ذكر خبر عيلي وأشمويل وما يتصل بذلك	٣١
ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوته	٣٢
ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت	٣٦
ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه	٣٨
ذكر إتيان التابوت إلى بنى إسرائيل وسبب عوده	٤٢
ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذى آبتلوا به	٤٤
ذكر خبر داود حين قتل جالوت الملك	٤٥

...	ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بني إسرائيل وما خصه
٥٤	الله عز وجل به ... ..
٦١	ذكر خبر داود عليه السلام حين آبتلى بالخطيئة ... ..
٧٠	ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام ... ..
٧٠	ذكر خبر أبشالوم بن داود ... ..
٧٢	ذكر خبر الزرع الذي رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام ...
٧٣	ذكر خبر الذين أعتدوا في السبت ... ..
...	ذكر استخلاف داود آبنه سليمان عليهما السلام وخبر الصحيفة وأبتداء
٧٦	أمر الخاتم ... ..
٨٠	ذكر وفاة داود عليه السلام ... ..
٨٢	ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام وملكه ... ..
٨٢	ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له ... ..
٨٦	ذكر خبر العنقاء في القضاء والقدر ... ..
٩٣	ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام ... ..
٩٤	ذكر خبر حشر الحق لسليمان بن داود عليهما السلام ... ..
٩٥	ذكر خبر مطابجه عليه السلام ... ..
٩٦	ذكر خبر الرزق الذي سأل سليمان الله تعالى أن يجريه على يديه ... ..
٩٧	ذكر خبر بناء بيت المقدس وأبتداء أمره ... ..
١٠٣	ذكر خبر وادي النمل وما قيل فيه ... ..
١٠٤	ذكر خبر البعوض وما قيل فيه ... ..
١٠٥	ذكر خبر الخيل وما قيل فيها ... ..
١٠٧	ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام ... ..
١٠٨	ذكر خبر صخر الجنى ... ..
١٠٩	ذكر صفة كرسي سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره ... ..

١١١	... .. ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها
١١٣	... .. ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ما كنها
١١٦	... .. ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها
١٢٣	... .. ذكر صفة القصر الذي بنته بلقيس وصفة عرشها
١٢٤	... .. ذكر خبر وادى القردة
١٢٥	... .. ذكر خبر الرجل الذي قبض بأرض الهند
١٢٥	... .. ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه
١٣٤	... .. ذكر عزيم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه
١٣٤	... .. ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام
١٣٥	... .. ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

#### الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار شعيا وإرميا

عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل

١٤٢	... .. بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود
١٤٢	... .. ذكر قصة شعيا عليه السلام
١٤٩	... .. ذكر قصة إرميا عليه السلام
١٥٣	... .. ذكر خبر بختنصر وأبتداء أمره وكيف ملك
١٥٨	... .. ذكر خبر بختنصر مع دانيال
	... .. ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر وخبر الذي
١٦٤	... .. مرّ على قرية

#### الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الخامس في قصة ذي النون يونس

١٧١	... .. ابن متى عليه السلام وخبر بلوقيا
١٧١	... .. ذكر قصة ذي النون يونس بن متى عليه السلام
١٨٢	... .. ذكر خبر بلوقيا وما شاهد من العجائب



الباب الخامس من القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار زكريا	
وأبناه يحيى وعمران ومريم وعيسى بن مريم عليهم السلام ... ..	١٩٥
ذكر نسب زكريا وعمران عليهما السلام وما يتصل بذلك ... ..	١٩٥
ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام ... ..	١٩٦
ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد ومولد يحيى بن زكريا	١٩٨
ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته ... ..	٢٠١
ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده ... ..	٢٠١
ذكر مقتل يحيى بن زكريا وأبيه زكريا عليهما السلام ... ..	٢٠٢
ذكر هلاك بنى إسرائيل وخراب بيت المقدس ثانيا ... ..	٢٠٦
ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام ... ..	٢٠٩
ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام ... ..	٢١٣
ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها ... ..	٢١٨
ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر وما ظهر له من	
المعجزات في مسيره ومدة مقامه الى أن عاد ... ..	٢١٩
ذكر خبر زكريا عليه السلام مع هيرودس الملك وما كان من أمره ...	٢٢٤
ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام من مصر ... ..	٢٢٥
ذكر خبر الحوارين حين أتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به ... ..	٢٢٦
ذكر الخصائص والآيات والمعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد	
عيسى عليه السلام بعد مبعثه ... ..	٢٢٧
ذكر خبر سام بن نوح وغيره الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل	٢٢٩
ذكر خبر يجمع عدة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام ... ..	٢٣٣
ذكر خبر المسائدة التي أنزلها الله عز وجل من السماء ... ..	٢٣٦
ذكر مآلاته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم وأتبعهم الناس بعدهم	٢٤٣
ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام وما خاطبه به وجوابه	٢٤٤

صفحة	
٢٤٦	ذكر خبر عيسى مع اليهود حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله ... ..
٢٤٧	ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفعته ثانيا ... ..
٢٤٨	ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام ... ..
٢٥٠	الباب السادس من القسم الثالث من الفتن الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام وما كان من أمرهم مع من أرسلوا إليه وخبر جرجيس ... ..
٢٥٠	ذكر خبر أخبار الحواريين ... ..
٢٥٠	ذكر خبر يوحنا ويونس اللذين توجهوا إلى إنطاكية ... ..
٢٥٥	ذكر خبر توما الحوارى مع ملك الهند وإيمانه به ... ..
٢٥٧	ذكر خبر لوقا الحوارى مع ملك فارس ... ..
٢٥٩	ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه ... ..
٢٧٠	التذليل على القسم الثالث من الفتن الخامس ... ..
٢٧١	الباب الأول من التذليل على القسم الثالث من الفتن الخامس في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم ... ..
٢٧٢	ذكر خبر المتغلبين على البلاد وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام ... ..
٢٧٣	ذكر خبر خروج المهديّ ... ..
٢٧٥	ذكر خبر خروج الدجال وصفته وما يكون من أمره إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ... ..
٢٧٧	الباب الثاني من التذليل على القسم الثالث من الفتن الخامس في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ووفاة عيسى عليه السلام ... ..
٢٧٧	ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام ... ..
٢٧٨	ذكر خبر يأجوج ومأجوج ... ..
٢٨١	الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ... ..

الباب الثالث من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى	٢٨٥
ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها	٢٨٥
ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى	٢٨٦
الباب الرابع من التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور	٢٨٨
ذكر يوم القيامة وأسمائه	٢٨٨
ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية	٢٨٩
حديث لقيط بن عامر	٢٩٢
القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع وملوك الأمم والطوائف وخبر سيل العرم ووقائع العرب في الجاهلية ويشتمل على خمسة أبواب	٢٩٨
الباب الأول في أخبار ذى القرنين الذى ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز	
في سورة الكهف	٢٩٨
ذكر أخبار ذى القرنين	٢٩٨
ذكر خبر دخول ذى القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطاب عين الحياة	٣٠٩
الباب الثانى من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأصقاع وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملوك مصر	٣١٩
ذكر أخبار ملوك الهند	٣١٩
ذكر تنصيب ابن البرهمن وهو الباهبود	٣٢١
ذكر أخبار ملوك الصين	٣٢٤
ذكر أخبار ملوك الترك	٣٣٢
ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم	٣٣٤

## الباب الثاني

### من القسم الثالث من الفن الخامس

فما كان بعد موسى بن عمران عليهما السلام  
وهو أخبار يوشع بن نون وخرقييل وإلياس وأليسع وعيلي<sup>(١)</sup>  
وأشموييل وداود وطالوت وجالوت وسليمان بن داود  
عليهم السلام

١٠٨  
١١

ذكر خبر يوشع بن نون<sup>(٢)</sup> — عليه السلام — وفتح أريحا وغيرها

قال أبو إسحاق الثعلبي — رحمه الله تعالى — : اختلف العلماء فيمن تولّى

حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح، فقال قوم<sup>(٣)</sup> : إنما فتح أريحا موسى

ملاحظة — الأرقام الموجودة بالهامش تشير إلى رقم الصفحة وعدد الجزء من نسخة أ التي اعتمدنا عليها في الطبع، وقد راجعنا هذا الجزء أيضا على نسختين أخريين رمزنا لهما بحرفي ب، ج ونسخة ج بها عدة خروم .

(١) كذا في الأصل وقصص الأنبياء للعلمي وتاريخ الطبري (ص ٥٥١ من القسم الأول) .

وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٥٠ وما بعدها) « على » .

(٢) هكذا يرد هذا الاسم في الكتب العربية والشعر العربي؛ قال أبو تمام :

فوالله ما أدرى أحلام نائم \* أملت بنا أم كان في الركب يوشع

وفي الكتاب المقدس في كل المواضع التي ورد فيها : « يشوع بن نون » .

(٣) أريحا (بالفتح ثم الكسر) ياء ساكنة والحاء المهملة والقصر، وقد رواه بعضهم بالحاء المعجمة

لغة عبرانية) : مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس

في جبال صعبة المسلك . سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرغشند... (راجع معجم البلدان لياقوت) .

— عليه السلام — وكان يُوشعُ على مقدمته فسار إليها بن بقى من بني إسرائيل ولم يمت في التيه ، فدخلها يُوشعُ بهم وقتل الجبارين الذين كانوا فيها ، ودخلها موسى بنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله تعالى أن يقيم ، ثم قبضه الله تعالى ، ولم يعلم أحد من الناس أين قبره . قال : وهذا أولى الأقاويل بالصدق . وقال الآخرون : إنما قتل الجبارين يُوشعُ ولم يسر إليهم إلا بعد موت موسى . وقالوا : إنما مات موسى وهارون — عليهما السلام — في التيه .

قالوا : فلما أنقضت مدة التيه ومات موسى — عليه السلام — بعث الله تعالى يُوشعَ بن نون نبيا ، فأخبرهم أنه نبي الله تعالى ، وأن الله — عز وجل — قد أمره بقتال الجبارين ، فصداقوه وبايعوه . فتوجه بنى إسرائيل الى أريحا ومعه تابوت الميثاق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلمّا كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وضجّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة ، فدخلوها وقتلوا الجبارين ، فهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصاة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها ، وكان القتال يوم الجمعة ، فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت ، فخشي يُوشعُ أن يعجزوه ، فقال : اللهم آردد الشمس عليّ ، وقال للشمس : إنك في طاعة الله ، وأنا في طاعة الله . فسأل الشمس

(١) الجبارون أو الجبابرة الذين كانوا بالشام هم من العماليق ، ويقال لهم الكنعانيون . (راجع تاريخ الطبري ص ٢١٣ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٢) سيذكر المؤلف وصف هذا التابوت فيما سيأتى . وراجع وصفه أيضا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٢ م) .

(٣) يريد بالقرون الأبواق (راجع الكتاب المقدس ج ١ ص ٣٥٦) .

(٤) في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي (ص ١٩٥ طبع بلاق) : « نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٥٦) : « فنهف الشعب ونفخوا في الأبواق » .

أَنْ تَقِفَ وَالْقَمَرُ أَنْ يُقِيمَ حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فُرِدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَاحِدَةً حَتَّى قَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ .

قالوا : ثُمَّ أَرْسَلَ مَلُوكَ الْأَرْمَانِيِّينَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ — وَكَانُوا خَمْسَةً <sup>(٢)</sup> — بِجَمْعِهِمْ كُلَّهُمْ عَلَى حَرْبِ يُوشَعَ وَقَوْمِهِ ، فَهَزَمَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمُلُوكَ حَتَّى أَهْبَطُوهُمْ إِلَى ثَنِيَّةِ حَوْرَانَ ، فَرَمَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحْجَارِ الْبَرَدِ ، فَكَانَ مَنْ قَتَلَهُ الْبَرَدُ أَكْثَرُ مِمَّنْ قَتَلَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالسِّيفِ ، وَهَرَبَتْ الْمُلُوكُ الْخَمْسَةُ ، فَأَخْتَفَوْا فِي غَارٍ ، فَأَمَرَ بِهِمْ يُوشَعُ فَأَخْرَجُوا ، فَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ ، ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ وَطَرَحَهُمْ فِي ذَلِكَ الْغَارِ ، وَتَبَعَ سَائِرَ مَلُوكِ الشَّامِ فَاسْتَبَاحَ مِنْهُمْ أَحَدًا وَثَلَاثِينَ مَلِكًا حَتَّى غَلَبَ عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ الشَّامِ ، وَصَارَ الشَّامُ كُلُّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَفَزَقَ عَمَّالَهُ فِي نَوَاحِي الشَّامِ .

وَحَكَى الْكِسَائِيُّ فِي (تَابِ الْمَبْتَدَأِ) أَنَّ يُوشَعَ أَخَذَ فِي الْجِهَادِ بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ مَدِينَةً مِنْ مَدَنِ الْكُفَّارِ بِأَرْضِ الشَّامِ . قَالَ : ثُمَّ سَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَرِيحَا لِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ ، وَكَانُوا قَدْ عَادُوا إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا مُوسَى ، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَسَاقَ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَبْسِ الشَّمْسِ . قَالَ : وَفَسَدَ عَلَى أَهْلِ عِلْمِ النُّجُومِ عُلُومُ كَثِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ الْكِسَائِيُّ : وَلَمَّا فَرَّغَ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ مِنْ قِتَالِ الْجَبَّارِينَ بِأَرِيحَا سَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَرْضِ بَنِي كَنْعَانَ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا ، وَفَتَحَ ثَلَاثِينَ حَصْنًا .

(١) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ١٨ ، ٣٦٣) : «مُلُوكُ الْأُمُورِيِّينَ» وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ كَنْعَانَ .  
(٢) وَهُمْ : مَلِكُ أُورُشَلِيمَ وَمَلِكُ حَبْرُونَ وَمَلِكُ يَرْمُوثَ وَمَلِكُ لَاقِيَشَ وَمَلِكُ عَجْلُونَ . (رَاجِعِ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ ج ١ ص ٣٦٥) .

(٣) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٣٦٤) : «وَفِيَا هُمْ مَنُزِمُونَ مِنْ وَجْهِ إِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي مَنُهِبِ بَيْتِ حَوْرُونَ ...» . وَحَوْرَانَ (بِالْفَتْحِ) : كَوْرَةٌ وَاسِعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ ذَاتِ قُرَى كَثِيرَةٍ وَمَزَارِعَ (رَاجِعِ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ لِیَاقُوتَ) .

قال الثعلبي في تفسيره : ولما قتل يوشع الملوك وأستباح الأموال جمع الغنائم فلم تنزل النار، فأوحى الله تعالى إلى يوشع أن فيها غلولا<sup>(١)</sup>، فمُرهم فليبايعوك فبايعوه، فالتصقت يد رجل منهم بيده، فقال : هلّم ما عندك ! . فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر كان قد غلّه، فجعله في القربان وجعل الرجل معه، بخاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

قالوا : ثم مات يوشع فُدفن في جبل أفرائيم<sup>(٢)</sup>، وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة، وتدييره أمر بني إسرائيل بعد وفاة موسى — عليه السلام — تسعا وعشرين سنة . وقال الكسائي : أربعين سنة . والله تعالى أعلم .

ولما مات استخلف على بني إسرائيل كالب<sup>(٤)</sup> بن يوقنا<sup>(٣)</sup>، وهو من أولاد يهوذا بن يعقوب، وكان من الزهاد، فسار فيهم أجمل سيرة حتى قبضه الله تعالى .

فاستخلف عليهم ابنه برشائس<sup>(٥)</sup> وكان نظير يوسف الصديق — عليه السلام — في حسنه وجماله، فافتتن الناس به، فسأل الله تعالى أن يغير خلقته، فأصابه

(١) الغلول : الخيانة في المعانم .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٧٦ ، ٣٩٠)، وورد في أ ، ب خاليا من الانعام . وهذا الجبل إلى جنوبي سهل يزرعيل . وكان يطلق هذا الاسم على سلسلة هضاب في أملاك أفرايم تمتد إلى تخوم بنيامين . أما تربة هذا الجبل نخصة بالإجمال إلا ما كان منها إلى جهة الأردن فانه صخري صعب المرتقى، وكذلك ما كان منه إلى جهة البحر الميت فانه غاية في القحج . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٣) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٥) : « ابن مئة وعشرين سنين » .

(٤) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٧٣) : « كالب بن يوقنا » .

(٥) في تاريخ الطبري (ص ٥٣٩ من القسم الأول) : « أن كالب بن يوقنا لما قبضه الله بعد يوشع خلف فيهم يعني في بني إسرائيل حزقييل بن بوذي » .

الجُدريّ، فتغيّرت خلقته، فأذكره الناس وأكثروا من سؤاله عن خبره، فشق ذلك عليه وشغله عن عبادته، فسأل الله تعالى أن يزيده تشويها، فاسترعى وجهه، وظهرت له أسنان طوال، وقبح حتى كره الناس أن ينظروا إليه، وعرفوا منه الاجتهاد في عبادة الله تعالى وطاعته، فاختاروه وسمعوا له وأطاعوا، ولم يزل بين أظهرهم أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى .

١٠٩  
١١

فقام بأمرهم العِيزار بن هارون بن عمران، وكان قد أسنّ ولا ولد له، بفعلوا يقولون: ما حُرِّم الولد إلا للذنب العظيم. فسأل الله الولد، فرزقه ولدا بعد كبر سنّه وإياس زوجته صفوريّة بنت عمّة موسى بن عمران وجدّد له قوّة، ولها جمالا وحُسنا، وسمّى ولده «سباسباً» وجاء عالما بالتوراة، فاستخلفه والده على بني إسرائيل، فقام بأمرهم، وتزوج بامرأة يقال لها صفوريّة، فأولدها إياس. هكذا نقل الكسائي.

وقال الثعلبيّ في قصصه في خبر ابن كالب وسمّاه «بوساقوس»: وأنه لما آفتن الناس به سأل الله تعالى أن يغيّر صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجُدريّ. وقال: إنه لبث فيهم مائة سنة، ثم قبضه الله — عز وجل — . ولم يذكر العِيزار وأبنه، بل ذكر خبر حزقيال. والله تعالى أعلم.

(١) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٣٩٠): «ألغاز» .

(٢) في تاريخ الطبري (ص ٤٤٣ من القسم الأول) والكتاب المقدس (ج ١ ص ١٢١) وقاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست (ج ٢ ص ٨): «صفورة» .

(٣) في قصص الأنبياء للكسائي (ورقة ٢٠٩) من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٢ أدب: «سباسباً» .



### ذكر خبر حَرْقِيل عليه السلام

قال أبو إسحاق الثعلبيّ - رحمه الله تعالى - قالت العلماء : لما قبض الله تعالى كالب وأبنة ، بعث الله - عز وجل - حَرْقِيلَ<sup>(١)</sup> إلى بني إسرائيل ، وهو حَرْقِيل بن بُوذَى ، ويلقب بآبن العجوز .

قال : وإنما لُقِّب بذلك لأن أمه سألت الله تعالى الولد وقد كبرت وعقيمت ، فوهبه الله تعالى لها ، وهو الذي أحيا الله تعالى القوم بعد وفاتهم بدعائه ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَّجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ<sup>(٢)</sup> ﴾ .

قال قال أكثر المفسرين : كانت قرية يُقال لها دَاوَرْدَانُ قِبَل واسط وقع بها الطاعون ، فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة ، فهلك أكثر من بقي في القرية ، وسلم الذين خرجوا ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين . فقال الذين بقوا : أصحابنا كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ، ولئن وقع الطاعون بها ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها . فوقع الطاعون من قابل ، فهرب عامة أهلها ، فخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيحاً<sup>(٤)</sup> ، فلما نزلوا المكان الذي يرغبون فيه الحياة والنجاة ، إذا هم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا .

- (١) في الكتاب المقدس ( ج ٢ ص ٥٣٨ ) : « حَرْقِيل » .  
 (٢) سورة البقرة آية ٢٤٣ ، وراجع تفسير هذه الآية الكريمة بتفصيل واف في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٦ طبع دار الكتب المصرية ) وغيره من التفاسير .  
 (٣) داوردان ( بفتح الواو وسكون الراء وآخره نون ) : من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ . ( راجع معجم البلدان ) .  
 (٤) أفيح : واسع .  
 (٥) هذه عبارة الثعلبي في نصوص الأنبياء . وفي الأصلين : « فإذا ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه ينادون موتوا جميعا » .

وقال الضحّاك ومُقاتل والكلبيّ : إنّما فز هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم ، فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت وأعتلّوا وقالوا لملكهم : إنّ الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء ؛ فأرسل الله تعالى عليهم الموت ، فلمّا رأوا أنّ الموت كثّر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً منه . فلمّا رأى الملك ذلك قال : اللهم ربّ يعقوب وإله موسى ، قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك . فلمّا خرجوا قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموت رجل واحد ، فما أنت عليهم ثلاثة أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم ، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم ، فخطّروا عليهم خطيرة<sup>(٢)</sup> دون السباع وتركوهم فيها . ١٠

قال : وأختلفوا في مبلغ عددهم ، فقال عطاء الخِرّاسانيّ : كانوا ثلاثة آلاف<sup>(٣)</sup> . وقال ابن عباس ووهب : أربعة آلاف . وقال مُقاتل والكلبيّ : ثمانية آلاف . وقال أبو روق : عشرة آلاف . وقال أبو مالك : ثلاثين ألفاً . وقال السّديّ : بضعة وثلاثين ألفاً . وقال ابن جرّيج : أربعين ألفاً . وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً . ١٥

(١) أروحت أجسادهم : تغيرت رانحتها وأنتنت .

(٢) الخطيرة : ما أحاط بالشيء وتكونت من قصب وخشب أو شجر ، وتعمل للإبل لتقيها البرد والريح .

(٣) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٣١) : « والصحيح أنهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى : « وهم ألوف » وهو جمع الكثرة ، ولا يقال في عشرة فسادونها ألوف . وقال ابن زيد في لفظة ألوف : إنما معناها وهم مؤتلفون ، أي لم يخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم إنما كانوا ٢٠

قالوا : فأتت عليهم مدة وقد بليت أجسادهم ، وعيرت عظامهم ، وتقطعت أوصالهم ، فمر بهم حزقييل النبي — عليه السلام — فوقف عليهم متفكراً متعجباً ، فأوحى الله تعالى إليه : يا حزقييل ، تريد أن أريك كيف أحيي الموتى ؟ قال نعم ، فأحياهم الله جميعاً .

قال : هذا قول السدي وجماعة من المفسرين . وقال هلال بن يساف وجماعة من العلماء : دعا حزقييل ربه أن يحييهم فقال : يا رب لو شئت أحييت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك . فقال الله — عز وجل — أو تحب أن أفعل ؟ قال نعم ، فأحياهم .

وقال عطاء ومقاتل والكلبي : بل كانوا قوم حزقييل ، فأحياهم الله -- عز وجل -- بعد ثمانية أيام ، وذلك أنهم لما أصابهم ذلك خرج حزقييل في طلبهم فوجدهم موتى ، فبكى وقال : يا رب كنت في قوم يمدونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي . فأوحى الله تعالى إليه : إني قد جعلت حياتهم إليك . فقال حزقييل : أحيوا بإذن الله تعالى ، فعاشوا .

وقال وهب : أصابهم بلاء شدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا ميتنا فاسترحنا مما نحن فيه . فأوحى الله — عز وجل — إلى حزقييل : إن قومك قد ضجروا من البلاء ، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأى راحة لهم في الموت ! أيطنون أني لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت ! فأنطلق إلى جبانة كذا ، فإن فيها قوماً أمواتاً . فأتاهم ، فقال الله — عز وجل — : قم فنأدهم — وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ، فزقتها الطير والريح — فنادى حزقييل : أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم . فأكتست جميعاً اللحم ، وبعد اللحم جلداً ودماً وعصاً

وعروقا، فكانت أجسادا، ثم نادى : أيتها الأرواح، إن الله تعالى يأمرِك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا جميعا عليهم ثيابهم التى كانوا فيها، وكبروا تكبيرة واحدة . قال : وزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أُحيوا : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ، فرجعوا إلى قومهم بعد ما أحياهم الله - عز وجل - وعاشوا دهرًا يعرفون أنهم كانوا أمواتا، سحنة الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوبا إلا عاد رميا مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم . وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - فإنها لتوجد اليوم فى ذلك السبط من اليهود تلك الرياح .

قال قتادة : مقتهم الله - عز وجل - على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها ، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم . فلمّا أحياهم الله - عز وجل - قال : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> . ثم تلا الثعلبى هذه القصة بقصة إلياس ؛ وذكرها الكسائى<sup>(٢)</sup> تلوقصة العيزار . والله الموفق للصواب .

### ذكر خبر إلياس عليه السلام

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . قال الكسائى - رحمه الله تعالى - قال كعب : لمّا وُلِدَ إلياس - عليه السلام - ونسبه أنه إلياس ابن سباسب بن العيزار بن هارون . قال : وأمه صَفُورِيَّةٌ ، وجدته أم أبيه<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة آية ٢٤٤

(٢) سورة ص آية ١٢٣

(٣) الذى فى الكسائى « وهب » وهو ابن منه .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .

(١) صَفُورِيَّةُ بِنْتُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ — عَلَيْهِ السَّلَام — ظَهَرَ لَيْلَةَ مَوْلَدِهِ أَنْوَارُ أَضَاءَتْ مِنْهَا مَحَارِيبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَلَمَّا نَظَرْتُ مُلُوكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ حَادِثٌ ، فَتَعَرَّفُوا الْخَبَرَ ، فَتَقِيلُ لَهُمْ : وَلَدٌ مَوْلُودٌ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ ابْنِ عِمْرَانَ .

قال : وَكَانَ إِيَّاسُ عَلَى صُورَةِ مُوسَى وَقُوَّتُهُ ، وَنَشَأَ أَحْسَنَ نَشْأَةً .  
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَقُولُونَ : هَذَا الَّذِي بَشَّرَنَا بِهِ الْعِزَّازُ ، أَنَّ اللَّهَ يَهْلِكُ الْمُلُوكَ وَالْجَبَابِرَةَ عَلَى يَدَيْهِ .

قال : فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ — وَكَانَ يَحْفَظُ التَّوْرَةَ — قَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِنِّي أُرِيكُمْ مِنْ نَفْسِي عَجَبًا . فَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً أَنْتَشَرَتْ فِيهِمْ فَأَرَعَبَتْ قُلُوبَهُمْ . فَلَمَّا سَكَنْتُ رُوعَهُمْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ سَاحِرٌ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ . فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ أَنْفَرَجَ لَهُ الْجَبَلُ فَدَخَلَ فِيهِ ، وَأَنْصَرَفَ الْقَوْمُ . فَنِمَى الْخَبَرُ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِهِمْ فَعَذَّبَهُمْ ، ثُمَّ أَنْفَرَجَ الْجَبَلُ ، وَأَقَامَ إِيَّاسُ بِهِ يَأْكُلُ مِنَ الْمُبَاحَاتِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَالنَّاسُ قَدْ أَخَذُوا فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَخَاضُوا فِي الْمَعَاصِي ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَجَاءَهُ جَبْرِيْلُ بِالْوَحْيِ ، وَأَمَرَهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ ، وَأَنْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ ، وَأَمَرَ النَّارَ وَالْجِبَالَ وَالْوَحْشَ بِطَاعَتِهِ . فَأَنْطَلَقَ إِيَّاسُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي سَبْعِينَ قَرْيَةً ، كُلُّ قَرْيَةٍ مِنْهَا مَدِينَةٌ ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَبَّارٌ يُسَوِّسُهُمْ ، وَكُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ صَنَامًا يُدْعَى « بَعْلًا » وَهُوَ عَلَى صُورَةِ أَمْرَأَةٍ ، فَصَارَ إِيَّاسُ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهِمَ ، وَكَانَ فِيهَا مُلْكٌ يُقَالُ لَهُ

١١١  
١١

(١) « آجاب » ، فوقف بالقرب من قصره ، وقرأ التوراة بأطيب نغمة ، فسمعه الملك ، فقال لامرأته : ألا تسمعين ؟ ما أطيب هذا الصوت ! فقامت المرأة إليه وأشرفت عاينه من أعلى القصر وسألته عن حاله وخبره ، فأخبرها أنه رسول الله . قالت : وما حجتك على دعواك ؟ فاستدعى النار بخاءت إليه وشهدت بنبوته وصدقته ، فأخبرت المرأة زوجها بما رأت منه ، بخاء إليه وآمن به هو وامرأته ، وأوصاه بالصبر والجهاد ، وأنصرف إلياس . حتى إذا كان يوم اجتماع القوم وقد خرجوا بزيتهم ونصبوا صنمهم بعلًا وقف عليهم ودعاهم إلى الإيمان ، فقال فيما أخبر الله تعالى به عنه : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ \* أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ \* اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢) . فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنسيتموني بعد أن كنت فيكم ومعكم ! أنا إلياس . فحثوا في وجهه التراب ورموه بالحجارة من كل جانب . وكان ملكهم الأكبر يقال له « عاميل » ، فأمر بزيت فغلي في قدر نحاس وقال لإلياس : إن رجعت وإلا طرحتك فيه ! . فقال : أنا وحيد في أرضكم ، فريد في جمعكم ، ولكنتي أرىكم آية تدل على صدق دعواي أني رسول الله إليكم . فقال له الملك نعم . فقال إلياس : أيتها النار انحدى

(١) كذا في الأصل وقصص الأنبياء للكسائي . نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٦٦ أدب ورقة ٢٠٥ وما بعدها . وفي قصص الأنبياء للنعلي (ص ١٩٩) : « لاجب » بالجيم المعجمة . وفي ورقة ٩٠ من نسخة مخطوطة منها محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٤٧ م أدب : « أجب » مضبوطا بالقلم بضم الهمزة وفتح الجيم . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٤٠ من القسم الأول) : « احاب » بالحاء المهملة .

(٢) من أول قوله : « الله ربكم » الى أول الكلام على ذكر نبوة اليسع عليه السلام (في أول الصفحة ٢٨ من هذه الطبعة) لم يرد في ب .  
(٣) سورة الصافات آية ١٢٣ وما بعدها .

٥

١٠

١٥

٢٠

- بإذن الله تعالى، تَحَمَّدت وسكن غَلِيَان الزيت، فعَجِبَ الناسُ من ذلك .
- قال الملك : قد أُتيتَ بِحِجَّةٍ، ولكن أمِهَانَا يَوْمَنَا لننظر في أمرِكَ . ففارقهم وأنهم من الغد ودعاهم، فجمع الملكُ ملوكَ قَوْمِهِ وعلماءَهُم وقال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال العلماء : إِنَّا نرى في التوراة صفةَ هذا الرجل أَنَّهُ يُبْعَثُ نَبِيًّا تُسَخَّرُ له النار والأُسود والجبال ، وأنه لا يسمع أحدٌ صوته إلا ذَلَّ وخضع له . فقال بعض علمائهم : أيها الملك ، كَذَبَ هؤلاء فيما ذكروه ، وهذا ساحر ، فلا يهولنك أمره . فبسط العذاب على أولئك النفر، فأشتدَّ ذلك على إيلياس ، وخالفه الملك « آجَاب » الذي كان قد آمَنَ به ، ففارقته زوجته ولحِقتُ بإيلياس ؟ وكانت من الصالحات .
- قال : وأتخذ إيلياس عَرِيشًا بالقُرب من قصر الملك «عَامِيل» ، فأشرفتُ امرأةُ عاميل عليه في بعض الليالي وهو يعبد الله تعالى، فنظرتُ الى عمود من نور من لدن العريش في السماء، فأمنتُ ولحِقتُ به ، فأمر زوجها أن تُلقَى في النار ، فألقيتُ فيها ، فدعا إيلياس — عليه السلام — الله تعالى لها ، فلم تعمل النار فيها شيئاً ، فأطلقها الملك ، فلحِقتُ بإيلياس . ثم مات ولدُ عاميل الملكِ فجَزِعَ عليه وتضرَّع إلى صنمه فلم يُغن عنه شيئاً ، فغضب وقال لإيلياس : إن أبني قد مات وعَجَزَ إلهي عن إحيائه ، فهل تقدر أن تُحييه ؟ فقال : هذا على ربِّي هَيِّنْ ، ودعا الله تعالى ، فقام الغلام يشهد أن لا إله إلا الله، وأن إيلياس عبده ورسوله ، فأمن الملكُ وخرج عن المُلْك وتبع إيلياس ولبس الصوف وعبدَ الله تعالى حتى مات ، وماتت زوجته وأبنتُه . وأستمر القوم في ضلالهم وكفرهم ما شاء الله، وإيلياس يدعوهم فلا يجيبونه ، فأوحى الله تعالى إليه أن أدعُهم وأنذرهم ، فإن آمنوا وإلا حبستُ عنهم الغيث وأبليتُهم بالقحط . فدعاهم فقالوا : إِنَّا لا نؤمن بك ولا بربِّكَ ، فأصنع ما أنت صانع . فحبس الله — عز وجل — عنهم المطر، وغارت العيون وجفَّت الأشجار، فأكلوا

ما عندهم حتى نفد، ثم أكلوا المواشي حتى أكلوا الكلاب والسنانير والفيران، وبلغ بهم الجوع حتى كانوا يأكلون من مات منهم، وإلياس بينهم وهم لا يرونه، ويدعونه وهو لا يجيبهم، وكان الله تعالى قد جعل أمر أرزاقهم إليه، فأوحى الله إليه أن السماء والأرض ومن عليها قد بكت على هؤلاء، وقد هلك كثير من خلق بسببهم، وكل يدعوك ولا ترحمهم، فأنصف خلقي يا إلياس، فإني أعصى فأرزق، وأكفر فأحلم. ففزع إلياس وقال: يارب ما غضبت إلا لك، وأنت أعلم بمصالح عبادك. فأوحى الله إليه أن سر إليهم وأدعهم، فإن آمنوا وإلا كنت أراف بهم منك.

قال: فأنطلق إلياس حتى صار إلى أول قرية من قرى مدينتهم، فمتر بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ فقالت: وحق إلهي بعل ما ذقت الخبز منذ مدة. قال: فهلا تؤمنين بالله! فقالت: إن أبني أليسع على دين إلياس، ولا أراه ينتفع به وقد أشرف على الموت من الجوع. فقال له إلياس: يا أليسع، أتحب أن تأكل الخبز؟ فصاح: كيف لي بالخبز! ومات، فبكت العجوز واطممت. فقال لها: إن أحياء الله وجاءك بما تأكلين أتؤمنين بالله؟ قالت نعم. فدعا الله تعالى، فقام أليسع وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله، ورزقهم الله تعالى خبزا ولبنا، فأكلوا، وآمنت العجوز، وخرجت تُنذر قومها، فخنقوها فماتت، فأغتم أليسع لذلك. فقال له إلياس: إن الله سيحييها ويجعلكم آية لقومكما. وخرج إلياس إلى قومه وقد اجتمعوا عليها يريدون أكلها، فصاح بهم، فتفرقوا عنها وقالوا: إنك أنت إلياس حقا، فدعا الله تعالى فأحيها، فأقبل القوم عليه وقالوا: ألا ترى ما نحن فيه منذ سبع سنين! قال: فهلا دعوتكم صمكم بعلًا ليكشف عنكم! قالوا: قد دعونا فلم يُغن شيئا. قال: فإن أغاثكم الله تعالى أتؤمنون؟ قالوا نعم. فسأل الله تعالى فأمطرهم، وجرت أنهارهم وأنبت أرضهم، وأحيا الله من مات منهم من الجوع،



فآزادوا كفراً وعتوا ، فحذّرهم إلياس وأنذرهم وذكّرهم بنعمة الله عليهم . فقالوا :  
 إن القحط قد ارتفع عنا وهيئات أن يعود أبداً ، وإن عاد فلا نبالي ، قد جمعنا  
 في منازلنا ما يكفيننا زمناً طويلاً . فدعا الله عليهم وأعتزلهم<sup>(١)</sup> ، وقال : قد بلغت الرسالة  
 وأنتك لاحق بالملائكة . فاستخلف<sup>(٢)</sup> اليسع على المؤمنين ؛ فقال اليسع : يا نبي الله ، إني  
 ضعيف بين قوم كافرين . فأوحى الله تعالى إلى اليسع بذلك ، وخرج إلياس عن  
 ديار قومه في يوم جمعة ، فإذا هو بفرس يلتهب نوراً ، وله أجنحة ملونة ، فناداه :  
 أقبل يا نبي الله . فاستوى على ظهره ، وجاءه جبريل فقال : يا إلياس طرّ مع الملائكة  
 حيث شئت ، فقد كساك الله الريش ، وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك  
 آدمياً ملكياً سماوياً أرضياً .

- ١٠ قال : ونشّر الفرس أجنحته فهو يطير مع الملائكة . ثم أرسل الله — عز وجل —  
 العذاب على قومه ، فأحدقت بهم سحابة من جهنم ، وأعتزلهم المؤمنون ، فأحدقت  
 السحابة بالكفرة ، فأمطرت عليهم حجارة من العذاب . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْدَمَ  
 أَنُوءًا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِيطَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ ﴾<sup>(٣)</sup> . قال : ثم أنكشفت عن ديارهم  
 وقد صاروا حمماً سوداً ، قال الله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

١٥

قال : وأقام اليسع مع بني إسرائيل حتى قبضة الله تعالى .

- (١) كذا في الأصل . وهو غير واضح . وعبارة الكسائي في كتابه قصص الأنبياء ورقة ٢٠٨ :  
 « ... فقالوا يا إلياس إن الأرض لا يعود قحطها وأما نحن فلا نبالي لأننا جمعنا في منازلنا ما يكفيننا طويلاً  
 فعلم أنهم مهلكون فقال : إني قد بلغت الرسالة وقد اقترب أجلكم وعذابهم ، اللهم فأخرجني من بينهم  
 ثم أنزل عليهم عذاباً . فأوحى الله إليه أن يا إلياس إنك قد أديت الرسالة وفعلت ما أمرت به فاستخلف  
 الآن موضعك اليسع بن أخطوب فإنه قد جعلته لك خليفة على بني إسرائيل المؤمنين ... الخ » .

٢٠

(٢) سورة الفرقان آية ٤٠ (٣) سورة الصافات آيتي ١٢٧ ، ١٢٨

هذا ما أورده الكسائي في أخبار إلياس وأليسع عليهما السلام .  
وأما ما حكاه الثعلبي — رحمه الله — في هذه القصة، فإنه قال :  
قال ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله حزقيال النبي —  
عليه السلام — عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد، ونسوا  
عهد الله تعالى إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله  
— عز وجل — فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً . قال الثعلبي : وهو إلياس  
ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون عليه السلام .

قال : وإنما كانت الأنبياء بعد موسى — عليه السلام — يُبعثون إليهم بتجديد  
مائسوا وضيعوا من أحكام التوراة ، وبنو إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام  
وفيهم ملوك كثيرة . وذلك أن يوشع لما فتح أرض الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها  
بينهم ، فأحل سبطاً منهم بعلبك ونواحيها ، وهم سبط إلياس ، فبعثه الله تعالى إليهم  
نبياً ، وعليهم يومئذ ملك يقال له « آجاب » <sup>(١)</sup> قد أضل قومه وجبرهم على عبادة  
الأصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له « بعل » وكان طوله عشرين ذراعاً ،  
وكانت له أربعة وجوه ، فجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وهم في ذلك  
لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك الذي كان ببلبك فإنه صدقه وآمن به ،  
وكان إلياس — عليه السلام — يقوم أمره ويستدده ويرشده ، وكان لآجاب الملك  
هذا امرأة يقال لها « أرايل » <sup>(٢)</sup> ، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من هذا الجزء .

(٢) في قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة (ص ١٩٩) : « أربيل » . بالراء المهملة . وفي تاريخ  
الطبري (ص ٥٤٠ ، ٧٩٨ من القسم الأول) « أربل » بالزاي المعجمة وحذف الراء . وذكرت  
في الأصول فيما يأتي كما وردت في هامش تاريخ الطبري والنسخة المخطوطة من قصص الأنبياء للثعلبي باسم :  
« أربيل » بالزاي المعجمة وإثبات الراء .

أو غيرها ، فكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب ، وتجلس في مجلس القضاء فتقضي بين الناس ، وكانت قتالةً للأنبياء ، وكان لها كاتب وهو مؤمن حكيم يكتُمها إيماناً ، وكان الكاتب قد خَلَصَ من يدها ثلاثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بُعث ، سوى الذين قتلتهم ممن يكثر عددهم ؛ وكانت في نفسها غير مُحَصَّنَةٍ ولم يكن على وجه الأرض أخش منها ، وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالآغتيال ؛ وكانت معمرة حتى يقال : إنها ولدت سبعين ولداً . وكان لأجاب هذا جارٌّ من بني إسرائيل رجل صالح يقال له «مزدكى» وكانت له جُنيَّةٌ يعيش منها ويُقِيل على عمارتها ومَرَقَتها ، وكانت الجُنيَّة إلى جانب قصر الملك وأمرأته ، فكانا يُشرفان على تلك الجُنيَّة ويتزَّهان فيها ، ويأكلان ويشربان ويُقِيلان فيها ، وكان «أجاب» في ذلك يُحسِّن جوار «مزدكى» صاحبها ويُحسِّن إليه ، وأمرأته «أرايل» تحسده على ذلك لأجل تلك الجُنيَّة ، وتحتال في أن تغتصبها منه لما تسمع الناس يذكرون الجُنيَّة ، ويتعجبون من حسنها ويقولون : ما أحرى أن تكون هذه الجُنيَّة لأهل هذا القصر ، ويتعجبون من الملك وأمرأته كيف لم يغصباها صاحبها . فلم تزل المرأة تحتال على العبد الصالح «مزدكى» أن تقتله وتأخذ جُنيَّته ، والملك ينهاها عن ذلك . ثم اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته ، فأغتنمت المرأة غيبة الملك وأحتالت على «مزدكى» صاحب الجُنيَّة ، وهو غافل عما تريد مُقِيلٌ على عبادة ربه وإصلاح جُنيَّته ، فجمعت «أرايل» جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على «مزدكى» أنه سب زوجها الملك «أجاب» ، فأجابوها إلى ملتمسها من الشهادة عليه ، وكان حكمهم في ذلك

(١) في الأصل : « يذكرون من ذكر الجُنيَّة » . وعبارة التعليق : « وأمرأته أرايل تحسده على ذلك لأجل تلك الجُنيَّة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجُنيَّة من حسنها » .

الزمان على من سبَّ الملك القتل إذا قامت البيّنة عليه بذلك . فأحضرت «مزدكى»  
وقالت : بلغنى أنك سببت الملك وعبته ، فأنكر ذلك . فقالت : إن عليك شهودا ،  
وأحضرت الشهود فشهدوا عليه بحضرة الناس ، فأمرت بقتل «مزدكى» ، فقتل  
وأخذت جُنَيْنَتَهُ غَضَبًا ، فغَضِبَ الله — عز وجل — عليهم للعبد الصالح . فلما قدم  
الملك من سفره قال لها : ما وُفِّقَ وما أَصَبْتَ ، ولا أَرَانَا نُفْلِحَ بعده أبدا ، وإن كُنَّا  
عن جُنَيْنَتِهِ لأَغْنِيَاءَ ، قد كُنَّا نَتَزَّهُ فيها ، وقد جاورنا وتحترم بنا منذ زمان طويل ،  
فأحسننا جوارَه ، وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا ، نختمت أمره بأسوأ حال  
الجوار . وما حملك على آجرائك عليه إلا سَفَهُكَ وسوءُ رأيك وقلةُ عقلك وقلةُ  
تفكيرك في العواقب . فقالت : إنما غَضِبْتُ لك وحكمتُ بحكمك . قال : أو ما كان  
يَسَعُهُ حِلْمُكَ وَيَحْدُوكَ عِظَمُ خَطَرِكَ على العفو عن رجلٍ واحدٍ فتحفظين له جوارَه ! .  
قالت : قد كان ما كان .

فبعث الله تعالى إلياس — عليه السلام — إلى «آجاب» الملك وقوميه ،  
وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غَضِبَ لوليّه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما ، وآلى  
على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردّا الجُنَيْنَةَ على ورنه «مزدكى»  
أن يهلكهما ، يعنى «آجاب» وأمرأته ، في جوف الجُنَيْنَةِ أشرّ ما يكون بسفك  
دمهما ، ثم يدعهما جيفتين مُلْقَاتَيْنِ فيها حتى تتعزى عظامُهما من لحومهما ، ولا  
يُمْتَعَانِ بها إلا قليلا .

قال : بجاء إلياس — عليه السلام — إلى الملك وأخبره بما أوحى الله — عز وجل —  
إليه في أمره وأمر أمرأته والجُنَيْنَةِ . فلما سمع الملك ذلك اشتدَّ غضبه عليه ، ثم قال  
له : يا إلياس ، والله ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانا وفلانا —  
سمى ملوكا منهم قد عبدوا الأوثان — إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون

وَيَتَنَعَّمُونَ مَمْلَكِينَ ، مَا يَنْقُصُ مِنْ دَنِيَاهُمْ أَمْرُهُمُ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَمَا نَرَى لَنَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ .

- قال : وَهَمَّ الْمَلِكُ بِتَعْذِيبِ إِيَّاسَ وَقَتْلِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ إِيَّاسَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — ذَلِكَ وَأَحْسَسَ بِالشَّرِّ ، رَفَضَهُ وَخَرَجَ عَنْهُ . فَاجْتَمَعَ بِشَوَاقِقِ الْجِبَالِ ، وَدَعَا الْمَلِكُ النَّاسَ<sup>(١)</sup> إِلَى عِبَادَةِ بَعْلَ ، وَارْتَقَى إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — أَصْعَبَ جَبَلٍ وَأَشْمَخَهُ ، فَدَخَلَ مَغَارَةً فِيهِ . فَيُقَالُ : إِنَّهُ بَقِيَ فِيهِ سَبْعُ سِنِينَ شَرِيدًا طَرِيدًا خَائِفًا ، يَأْوِي الشَّعَابَ وَالْكُهُوفَ ، وَيَأْكُلُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَثَمَرِ الشَّجَرِ وَهُمْ فِي طَلَبِهِ قَدْ وَضَعُوا عَلَيْهِ الْعَيُونَ يَتَوَكَّفُونَ<sup>(٢)</sup> أَخْبَارَهُ وَيَجْتَهِدُونَ فِي أَخْذِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَرُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ . فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ سَبْعُ سِنِينَ أَدْنَى اللَّهُ تَعَالَى فِي إِظْهَارِهِ عَلَيْهِمْ ، وَشَفَا غِيْظَهُ مِنْهُمْ ، فَأَمْرَضَ اللَّهُ تَعَالَى أَبْنَاءَ لَأَجَابِ الْمَلِكِ وَكَانَ أَحَبَّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ وَأَعَزَّزَهُمْ عَلَيْهِمْ وَأَشَبَّهُهُمْ<sup>(٣)</sup> بِهِ ، فَأَدْنَفَ<sup>(٤)</sup> حَتَّى يُنَاسَ مِنْهُ ، فَدَعَا صَنْمَهُ بَعْلًا ، وَكَانُوا قَدْ فُتِنُوا بِهِ وَعَظَّمُوهُ حَتَّى جَعَلُوا لَهُ أَرْبَعًا سَادِينَ وَكَلَّوْهُمُ بِهِ وَجَعَلُوهُمْ أَنْبِيَاءَهُ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ إِلَيْهِمْ بِشَرِيعَةٍ مِنَ الضَّلَالَةِ ، فَيُبَيِّنُونَهَا لِلنَّاسِ فَيَعْمَلُونَ بِهَا ، وَيَسْمُونَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ . فَلَمَّا أَشْتَدَّ مَرَضُ ابْنِ الْمَلِكِ طَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَشْفَعُوا إِلَى بَعْلَ ، وَيَطْلُبُوا لَأَبْنِهِ مِنْ قَبْلِهِ الشِّفَاءَ وَالْعَافِيَةَ ، فَدَعَاوَهُ فَلَمْ يَجِبْهُمْ ، وَمَنْعَ اللَّهُ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ الشَّيْطَانَ عَنْ صَنْمِهِمْ فَلَمْ يُمْكِنَهُ<sup>(٥)</sup> الْوُلُوجُ فِي جَوْفِهِ ، وَهُمْ مَجْتَهِدُونَ فِي التَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَزْدَادُ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا نَحْمُودًا . فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَالُوا لَأَجَابَ : إِنْ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ آلِهَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ

(١) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْعُلَيْيِ الْمَخْطُوطَةِ : «وَعَادَ الْمَلِكُ إِلَى عِبَادَةِ بَعْلَ» .

(٢) يَتَوَكَّفُونَ أَخْبَارَهُ : يَنْظُرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

(٣) أَدْنَفَ الْمَرِيضُ : ثَقُلَ وَدَنَا مِنَ الْمَوْتِ ، وَأَدْنَفَهُ الْمَرَضُ ، فَهُوَ لَا زِمَ مَتَعَةً .

(٤) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَطْبُوعَةِ وَالْمَخْطُوطَةِ : «حَتَّى سَمَوْا مَدِينَتَهُمْ بِهِ فَقَالُوا لَهَا بَعْلُكَ وَجَعَلُوا... الخ» .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «إِلَّا جَمُودًا» وَالتَّصْوِيبُ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَخْطُوطَةِ لِلْعُلَيْيِ .

في العِظَم مثلُ إلهك ، فأبعثُ إليها أنبياءك فليشتعوا لك إليها ، فلعلها أن تشفع لك إلى إلهك بَعْلُ فإنه غضبان عليك ، ولولا غضبه عليك لقد كان أجابك وشفى لك أبَنك .  
قال آجاب : ومن أجل ماذا غضب عليّ وأنا أُطيعه وأطلب رضاه منذ كنت لم أَسْخِطْهُ ساعةً قط ؟ قالوا : من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بإلهك يعبد غيره ، فذلك الذي أغضبه عليك . قال آجاب : وكيف لي أن أقتل إلياس يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع أبني وليس لإلياس مطلب ، ولا يُعرف له موضع فيَقصِّد ، فلو عوفي آبني لتفرغت لطلبه ، ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى أَخْذَهُ فأقتله فأريح إلهي منه وأرضيه .

قال : ثم آندفعتُ أنبياءه الأربعةائة ليشفعوا إلى الأرباب التي بالشأم ويسألوها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفى أبنه ، فأنطلقوا حتى إذا كانوا بجبال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله — عز وجل — إلى إلياس أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلّمهم ، وقال له : لا تَخَفْ فإنّي سأصرف عنك شرهم ، وألقي الرعب في قلوبهم . فنزل إلياس — عليه السلام — من الجبل ، فلما لقيهم استوقفهم فوقفوا ، وقال لهم : إنّ الله — عز وجل — أرسلني إليكم وإلى من وراءكم ، فاستمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم ، فأرجعوا إليه وقواوا له : إنّ الله تعالى يقول لك : أَلَسْتُ تعلم يا آجاب أنّي أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم ، أبغضك وقلة علمك حملك على أن تُشرك بي وتطلب الشفاء لأبنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئا إلا ما شئت . إني حلفت باسمي لأغيطانك في أبَنك ولأميته في فوره هذا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيئا دوني . فلما قال لهم إلياس هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا . فلما صاروا إلى الملك قالوا له ذلك ، وأخبروه أنّ إلياس آنحط عليهم ، وهو رجل نحيف طوال قد قشِف

(١) وَخَلَّ وَتَمَعَطَ شَعْرُهُ وَتَقَشَّرَ جُلْدُهُ ، عَلَيْهِ جَبَّةٌ مِنْ شَعْرٍ وَعِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلَالِ ،  
 فَاسْتَوْقَفْنَا ، فَلَمَّا صَارَ مَعَنَا قُذِفَتْ فِي قُلُوبِنَا الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ ، وَانْقَطَعَتْ أَلْسِنَتُنَا ،  
 وَنَحْنُ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَهُوَ وَاحِدٌ ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى أَنْ نَكَلِّمَهُ وَنَرَا جَعَهُ وَنَمْلَأَ  
 أَعْيُنَنَا مِنْهُ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَيْكَ ، وَقَصَّوْا عَلَيْهِ كَلَامَ إِيَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ  
 آجَابُ : لَا نَنْتَفِعُ بِالْحَيَاةِ مَا دَامَ إِيَّاسُ حَيًّا . مَا الَّذِي مَنَعَكُمْ أَنْ تَبِطِّشُوا بِهِ حِينَ  
 لَقِيتُمُوهُ وَتَوَثَّقُوهُ وَتَأْتُونِي بِهِ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَلَبْتِي وَعِدَوِي . قَالُوا : أَخْبَرْنَاكَ  
 بِالَّذِي مَنَعْنَا مِنْهُ وَمَنْ كَلَامِهِ وَالْبَطِّشُ بِهِ . قَالَ آجَابُ : مَا يُطَاقُ إِذَا إِيَّاسُ إِلَّا بِالْمَكْرِ  
 وَالْخَدِيعَةِ . فَقَبِضَ لَهُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ذَوِي قُوَّةٍ وَبَأْسٍ ، وَعَاهِدَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ ،  
 وَأَمَرَهُمْ بِالْأَحْتِيَالِ لَهُ وَالْأَغْتِيَالِ بِهِ وَأَنْ يُطَمِعُوهُ فِي أَنْهُمْ قَدْ آمَنُوا بِهِ هُمْ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ ،  
 لِيَسْتَنْبِغُوا إِلَيْهِمْ وَيَغْتَرَّبَهُمْ ، فِيمَكَّنَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَيَأْتُوا بِهِ الْمَلِكُ . فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى آرْتَقَوْا  
 ذَلِكَ الْجَبَلَ الَّذِي فِيهِ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — ثُمَّ تَفَرَّقُوا [ فِيهِ ] وَهُمْ يَنَادُونَهُ بِأَعْلَى  
 أَصْوَاتِهِمْ وَيَقُولُونَ : يَا نَجَّى اللَّهُ ، ابْرُزْ لَنَا وَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ [ فَإِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ  
 وَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَا كُنَّا آجَابُ ] ، وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرءُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ :  
 قَدْ بَلَّغْتَنَا رِسَالَةَ رَبِّكَ ، وَعَرَفْنَا مَا قُلْتَ ، وَآمَنَّا بِكَ ، وَأَجْبَنَّاكَ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا ،  
 فَهَلُمَّ إِلَيْنَا فَأَنْتَ نَبِيُّنَا وَرَسُولُ رَبِّنَا ، [ فَأَقِمْ ] بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَأَحْكَمْ فِينَا ، فَإِنَّا نَنْقَادُ  
 لِمَا أَمَرْتَنَا ، وَنَنْتَهِي عَمَّا نَهَيْتَنَا ، وَلَيْسَ يَسْمَعُ أَنْ تَتَخَلَّفَ عَنَّا مَعَ إِيْمَانِنَا وَطَاعَتِنَا ،  
 فَتَدَارِكُنَا وَآرْجِعَ إِلَيْنَا . وَكُلُّ هَذَا كَانَ مِنْهُمْ مُمَّا كَرَّةً وَخَدِيعَةً . فَلَمَّا سَمِعَ إِيَّاسُ — عَلَيْهِ

(١) خَلَّ مِنْ بَابِ عَلِمَ : يَدَسُ . وَمِنْهُ تَفْجَلُ الشَّيْخُ إِذَا يَدَسُ جُلْدَهُ عَلَى عَظْمِهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْكَبَرِ .

(٢) تَمَعَطَ الشَّعْرُ : تَمَرَّطَ وَسَقَطَ مِنْ دَاءٍ يَعْضُ لَهُ .

(٣) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلثَّلَاجِيِّ الْمَخْطُوطَةِ : « وَاقْشَعَرَ » وَفِي الْمَطْبُوعَةِ : « وَبَدَسَ » .

(٤) خَلَّ الْكِسَاءُ وَغَيْرُهُ : جَمَعَ أَطْرَافَهُ بِخِلَالِ .

(٥) كَذَا فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَخْطُوطَةِ لِلثَّلَاجِيِّ . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ « وَالْأَغْتِيَالُ بِهِ » أَخْذَهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَدْرِي ثُمَّ الْحُجَى بِهِ . وَفِي أ : « وَالْأَحْتِيَالُ بِهِ » . (٦) زِيَادَةٌ عَنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلثَّلَاجِيِّ .

السلام — مقاتلتهم وقعت بقلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله تعالى وأشفق من سُخْطِهِ  
إن هو لم يَظْهَرْ لهم ولم يُجِبْهم بعد الذي سمع منهم . فلما أجمع على أن يبرز لهم رجع  
إلى نفسه فقال : لو أنني دعوتُ الله — عز وجل — وسألته أن يُعلمني  
ما في أنفسهم ويُطْلِعَنِي على حقيقة أمرهم . فقال : اللهم إن كانوا صادقين فيما  
يقولون فأذن لي في البروز إليهم ، وإن كانوا كاذبين فأَكْفِنِيهم وأَرْمِيهم بنار تُحْرِقُهم .  
فما آسَمتَ قوله حتى حُصِبُوا بالنار من فوقهم ، فأَحْتَرَقُوا أَجْمَعِينَ .

قال : وبلغ آجَابَ الخبر فلم يرتدع ، وأَحْتَالَ ثانيا في أمر إلياس ، وجهَّزَ فئَةً  
أُخْرَى مِثْلَ عدد أولئك أقوى منهم وأمكن في الحيلة والراي ، فأقبلوا حتى ارتَقَوْا قُلَّالَ  
تلك الجبال [متفرقين] ، وجعلوا ينادون : يا نبي الله ، إِنَّا نَعُوذُ بالله وبك من غضب  
الله وَسَطَوَاتِهِ . إِنَّا اسْمُنَا كَالَّذِينَ اتَّوَكَّأْنَا مِنْ قَبْلُنَا ، إِنَّا أولئك فرقة نافقتْ وخالفْتْنَا ،  
فصاروا إليك ليكيدوك من غير رأينا ولا عِلْمٍ مِنَّا ، وذلك أنهم حسدونا وحسدوك ،  
ونخرجوا إليك سرًّا ، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم ، والان فقد كفأك  
رُبَّكَ أمرهم وأهلكهم بسوء نيَّاتهم وأنتقم لنا ولك منهم . فلما سمع إلياس — عليه  
السلام — مقاتلتهم دعا الله تعالى بدعوته الأولى ، فأمطر الله عليهم النار ، فأحترقوا عن  
آخرهم ، كل ذلك وآبَنَ المَلِكُ في البلاء الشديد من وجعه — كما وعده الله تعالى على  
لسان نبيِّه إلياس — لا يُقْضَى عليه فيموت ، ولا يُخَفَّفُ عنه من عذابه .

قال : فلما سمع المَلِكُ بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً إلى غضبه ، وأراد أن  
يخرج في طلب إلياس بنفسه ، إلا أنه شغله عن ذلك مرضُ ابنه فلم يمكنه ، فوجه  
نحو إلياس الكاتبَ المؤمنَ الذي هو كاتبُ أمراته رجاء أن يأنس به إلياس فينزلَ

(١) حصبوا بالنار : رموا بها . (٢) زيادة عن قصص الأنبياء للعلبي .

(٣) في قصص الأنبياء للعلبي : « ليكروا بك » .

(٤) كذا في قصص الأنبياء للعلبي . وفي الأصل : « إلى طلب إلياس ... » .



معه ، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً . وإنما أظهر له ذلك لما أطلع عليه من إيمانه ، وكان الملك مع أطلاعه يَغْضُ عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة والحكمة وسداد الرأي . فوجهه نحوه ، وأرسل معه فئة من أصحابه ، وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يؤثِّقوا إلياس ويأتوه به إن أراد أن يتخلف عنهم ، وإن جاء مع الكاتب واثماً به آنساً بمكانه لم يؤجِّسوه ولم يرقعوه ، ثم أظهر آجاب للكاتب .

الإجابة وقال : إنه قد آن لي أن أتوب وأتعظ ، وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني ، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس ، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته . فأناطقي إليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا ، وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ، ويخبرنا بما يرضى به ربنا . وأمر الملك قومه فأعتزلوا الأصنام ، وقال له : أخبر إلياس بأننا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وأرجأنا أمرها حتى ينزل إلياس إلينا . فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك مكر من الملك . فأناطقي الكاتب والفئة حتى علوا الجبل الذي فيه إلياس — عليه السلام — ثم ناداه الكاتب ، فعرف إلياس صوته ، فتأقت نفسه إليه وأنس بمكانه وكان مشتاقا إلى لقائه ، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن أبرز إلى أخيك الصالح فآلقه وجدد العهد به ، فبرز إليه إلياس وسلم عليه وصاحفه ، وقال له : ما الخبر ؟ قال له المؤمن : إنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه ، ثم قص عليه ما قالوا ، ثم قال : وإني خائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني ، فمرني بما شئت أن أفعله وأنتهي إليه ، [ إن شئت انقطع إليك وكنت معك وتركته ، وإن شئت جاهدته معك ]

(١) كذا في قصص الأنبياء للنعلبي المخطوطة . وفي المطبوعة : « وقد أهملنا أمرها » . وفي الأصل : « وأرجينا أمرنا » .

(٢) زيادة عن النعلبي في قصص الأنبياء المخطوطة والمطبوعة .

وإن شئت فأرسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك ، وإن شئت دعوت ربك أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا .

قال : فأوحى الله — عز وجل — إلى إيلias عليه السلام أن كل شيء جاءوك به مكر وخديعة ليظفروا بك ، وأن «آجاب» إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه آتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك ، فلم يأمن أن يقتله ، فأنطلق معه فإن في أنطلاقك معه عذره وبراءته عند آجاب ، وإني سأشغل عنكما آجاب ، وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ، وأميته على شر حال ، فإذا مات فأرجع عنه ولا تقم . فأنطلق معهم حتى قدموا على آجاب ، فلما قدموا عليه شدد الله تعالى على ابنه الوجد ، وأخذته الموت ، فشغل الله تعالى آجاب وأصحابه بذلك عن إيلias ، فرجع إيلias سالما إلى مكانه . فلما مات ابن آجاب وفرغوا منه وقل جزعه ، انتبه لإيلias وسأل عنه الكاتب الذي جاء به ، فقال : ليس لي به علم ، وذلك أنه شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ، ولم أكن أحسبك إلا قد آستوثقت منه . فأضرب عنه آجاب وتركه لما كان فيه من الحزن على ابنه . فلما طال الأمر على إيلias مل الكمون في الجبال والمقام بها واشتاق إلى العمران وإلى الناس فنزل من الجبل ، وأنطلق حتى نزل بأمرأة من بنى إسرائيل ، وهي أم يونس ١٥ ابن متى [ذى النون . فآستخفى عندها ستة أشهر] ، ويونس يومئذ موالود يرضع ، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها ، وتواسيه بذات يدها ، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها . ثم إن إيلias سم ضيق البيوت بعد مقامه بالجبال وسعتها ، فأحب أن يلتحق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه ، فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقدته ، ثم لم تلبث ٢٠ إلا يسيرا حتى مات ابنها [يونس] حين فطمته ، فعظمت مصيبتها فيه ، فخرجت في طلب إيلias ، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف [فيها] حتى عثرت عليه ووجدته ، فقالت :

إِنِّي قَدْ خُفِعْتُ بِمَوْتِ ابْنِي بَعْدَكَ ، فَعُظِمَتْ فِيهِ مَصِيبَتِي ، وَأَشْتَدُّ لِفَقْدِهِ بِلَانِي ،  
وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ غَيْرُهُ ، فَأَرْحَمْنِي وَأَدْعُ رَبَّكَ — جَلَّ جَلَالُهُ — فَيُحْيِي لِي ابْنِي ، وَيَجْبِرُ  
مَصِيبَتِي ، وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُهُ مَسْجِيًّا لَمْ أُدْفِنْهُ ، وَإِنِّي قَدْ أَخْفَيْتُ مَكَانَهُ . فَقَالَ لَهَا  
إِلْيَاسُ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا أُمِرْتُ بِهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ أَعْمَلُ بِمَا يَأْمُرُنِي بِهِ  
رَبِّي ، وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا . بَخِزِعَتِ الْمَرْأَةُ وَتَضَرَّعَتْ ، فَعَطَفَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
قَلْبَ إِلْيَاسَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : وَمَتَى مَاتَ ابْنُكَ ؟ قَالَتْ : مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ . فَاَنْطَلَقَ  
إِلْيَاسُ مَعَهَا وَسَارَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخْرَى حَتَّى آتَتْهُ إِلَى مَتَرَلَهَا فَوَجَدَ ابْنَهَا يُونُسَ مَيِّتًا  
مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى وَدَعَا اللَّهَ فَأَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى بِدَعْوَةِ  
إِلْيَاسَ . فَلَمَّا عَاشَ وَجَلَسَ وَثَبَ إِلْيَاسُ وَأَنْصَرَفَ وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٠ ذكر دعاء إيلياس على قومه ، وما حلَّ بهم من القحط  
وخبير أليسع حين أتبع إيلياس

قال : وَلَمَّا طَالَ عَصِيَانُ قَوْمِهِ ضَاقَ إِلْيَاسُ بِذَلِكَ ذَرْعًا وَأَجْهَدَهُ الْبَلَاءُ ،  
فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ وَهُوَ خَائِفٌ مَجْهُودٌ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا الْحُزْنُ  
وَالْحَزَنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ! أَلَسْتَ أُمِينِي عَلَى وَحْيِي ، وَحُجَّتِي فِي أَرْضِي ، وَصَفْوَتِي مِنْ  
خَلْقِي ! فَسَلَّنِي أُعْطِكَ فَإِنِّي ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ . قَالَ : تَمِيتْنِي فَتُلْحِقْنِي  
يَا أَبَائِي ، فَإِنِّي قَدْ مَلَيْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَلُونِي ، وَأَبْغَضْتُهُمْ فِيكَ وَأَبْغَضُونِي . فَأَوْحَى اللَّهُ  
تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا إِلْيَاسُ ، مَا هَذَا بِالْيَوْمِ الَّذِي أُعِيرِي مِنْكَ الْأَرْضَ وَأَهْلَهَا ، وَإِنَّمَا  
قِيَامُهَا وَصَلَاحُهَا بِكَ وَبِأَشْبَاهِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَبَرْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَكِنْ تَسْأَلُنِي فَأُعْطِيكَ .  
قَالَ إِلْيَاسُ : فَإِنْ لَمْ تُمِيتْنِي يَا إِلَهِي فَأَعْطِنِي ثَارِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وأى شيء تريد أن أعطيك يا إيلياس؟ قال : تمكّني من خزائن السماء سبع سنين ،  
 فلا تُنشئ<sup>(١)</sup> عليهم سحابةً إلّا بدعوتي ، ولا تُمطر عليهم سبع سنين قطرةً إلّا بشفاعتي ،  
 فإنهم لا يُذلّمون إلّا ذلك . قال الله تعالى : يا إيلياس ، أنا أرحم بخلقى من ذلك  
 وإن كانوا ظالمين . قال : ست سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا  
 ظالمين . قال : نخمس سنين . قال : أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ،  
 ولكنى أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ، فلا تُنشئ<sup>(١)</sup> عليهم سحابةً  
 إلّا بدعوتك ، ولا تنزل عليهم قطرةً إلّا بشفاعتك . قال إيلياس : فبأى شيء  
 أعيش؟ قال : أُسخر جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض  
 التى لم تَقْحَط . قال إيلياس : قد رضيت . قال : فأمسك الله — عز وجل —  
 عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والمهوام والشجر وجهد الناس جهداً  
 شديداً وإيلياس على حالته مُستخيف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان ، وقد  
 عرفه بذلك قومه ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا : لقد دخل إيلياس  
 هذا البيت وطلبوه ، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : أصاب بنى إسرائيل ثلاث سنين  
 القحط ، فمّر إيلياس — عليه السلام — بعجوز فقال لها : هل عندك طعام؟  
 قالت : نعم ، شيء من دقيق وزيت قليل . فجاءته بشيء من الدقيق والزيت ، فدعا  
 فيهما بالبركة<sup>(٢)</sup> ومسهما ، فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جربها دقيقاً وملأت

(١) نشأت السحابة : ارتفعت وابتدت ، وأنشأها الله : رفعها وأبداها .

(٢) كذا فى قصص الأنبياء ، للتعليل . وعبارة الأصل : « فدعا بهما ودعا فيه بالبركة

خَوَابِيهَا زَيْتًا . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عِنْدَهَا قَالُوا : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : مَرَّ بِي رَجُلٌ  
مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَوَصَفَتْ صِفَتَهُ ، فَعَرَفُوهُ وَقَالُوا : ذَلِكَ إِيْلَاسُ ، فَطَلَبُوهُ  
فَوَجَدُوهُ فَهَرَبَ مِنْهُمْ .

ثُمَّ أَوَى إِيْلَةُ إِلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ : أَلِيسَعُ  
ابْنُ أَخْطُوبَ بِهِ ضَرٌّ ، فَأَوْتَهُ وَأَخْفَتْ أَمْرَهُ ، فَدَعَا لَهُ فَعُوفِيَ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي كَانَ  
بِهِ ، وَاتَّبَعَ أَلِيسَعُ إِيْلَاسَ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَلَزِمَهُ ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ حَيْثَا ذَهَبَ ، وَكَانَ  
إِيْلَاسُ قَدْ أُسِنَ وَكَبِرَ ، وَكَانَ أَلِيسَعُ غُلَامًا شَابًّا .

ذكر رفع البلاء عن قوم إيلياس بدعوته وأستمرارهم على الكفر

ورفع إيلياس وهلاك آجاب الملك وأمراته، ونبوة أليسع

- قال : ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِيْلَاسَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِنَّكَ قَدْ أَهْلَكْتَ  
كثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يَعْصِ سِوَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالْهَوَامِّ  
وَالشَّجَرِ بِحَبْسِ الْمَطَرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَيَزْعُمُونَ — وَاللَّهِ أَعْلَمُ — أَنَّ إِيْلَاسَ قَالَ :  
يَا رَبِّ دَعْنِي أَكُنِ الَّذِي أَدْعُو لَهُمْ وَآتِيهِمْ بِالْفَرَجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي أَصَابَهُمْ  
لَعَلَّهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَتَزَعَّوْا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِكَ . قِيلَ لَهُ : نَعَمْ . بَخَاءِ إِيْلَاسَ  
— عَلَيْهِ السَّلَامُ — إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ جُوعًا وَجَهْدًا ،  
وَهَلَكْتَ الْبَهَائِمُ وَالْدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْهَوَامُّ وَالشَّجَرُ بِخَطَايَاكُمْ ، وَإِنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَغُرُورٍ .  
فَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ فَأَخْرِجُوا بِأَصْنَامِكُمْ هَذِهِ ، فَإِنْ اسْتَجَابَتْ لَكُمْ فَذَلِكَ كَمَا  
تَقُولُونَ ، وَإِنْ هِيَ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ عَلَى بَاطِلٍ فَتَزَعَّمُوا ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ —  
فَفَتَرَجَ عَنْكُمْ مَا أَتَمَّ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ . قَالُوا : أَنْصَفْتَ . فَخَرَجُوا بِأَوْثَانِهِمْ فَدَعَوْهَا

فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه [ من البلاء <sup>(١)</sup> ] . ثم قالوا لإلياس :  
يا إلياس ، إن الله قد أهلكنا ، فأدعُ الله لنا . فدعا الله تعالى لهم ومعه اليسع <sup>(٢)</sup>  
بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا ، فخرجت سحابةٌ مثل الترس على ظهر البحر وهم <sup>(٣)</sup>  
ينظرون ، فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ، ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر [ فأغاثهم ]  
وحيت بلادهم .

١١٧  
١١

فلما كشف الله تعالى عنهم الضرّ نقضوا العهد ولم يتزعموا عن كفرهم ،  
ولم يقلعوا عن ضلالتهم ، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى إلياس  
— عليه السلام — ذلك دعا الله تعالى أن يريجه منهم ؛ فقبل له — كما يزعمون — :  
أُنظرُ يومَ كذا وكذا فأخرجُ فيه <sup>(٤)</sup> إلى موضع كذا ، فما جاءك من شيء فأركبه ولا <sup>(٥)</sup>  
تهبّه . فخرج إلياس ومعه اليسع بن أخطوب ، حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر إلياس  
به ، أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه إلياس ، فأنطلق الفرسُ  
به ، فناداه اليسع ، يا إلياس : ما تأمرني ؟ فقذف اليه إلياس بكساءه من الجحوق <sup>(٣)</sup>  
الأعلى ، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل ، فكان [ ذلك ] آخر العهد  
به . ورفع الله — عز وجل — إلياس من بين أظهرهم ، وقطع عنه لذة المطعم  
والمشرب ، وكساه الرّيش ، فكان <sup>(٣)</sup> إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً ، وسلط الله على  
آجاب الملك وقومه عدواً لهم فقصدتهم من حيث لم يشعروا [ به ] حتى رهقهم ، فقتل

(١) زيادة عن قصص الأنبياء للنعلبي .

(٢) هذه عبارة النعلبي . وفي الأصل : « ومعهم » .

(٣) زيادة عن النعلبي .

(٤) أنظر : بمعنى انتظر .

(٥) كذا في قصص الأنبياء للنعلبي . وفي الأصل : « فيهم » .

آجاب وأمرأته أرايل في بستان مزدكى ، فلم تزل خيفتاها ملقاتين في تلك الحنية حتى بليت لحومهما ورقت عظامهما<sup>(١)</sup> .

### ذكر نبوة اليسع عليه السلام

قال أبو إسحاق - رحمه الله تعالى - : ولما رفع الله تعالى إلياس - عليه السلام - نبأ اليسع وبعثه رسولا إلى بني إسرائيل ، وأوحى إليه وأيده بما آيد به عبده إلياس ، فأمنت به بنو إسرائيل ، وكانوا يعظمونه ويتهمون إلى أمره ، وحكم الله تعالى قائم فيهم إلى أن فارقهم اليسع عليه السلام .

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - بسند رفعه إلى عبد العزيز بن أبي رواد قال : إلياس والخضر - عليهما السلام - يهومان شهر رمضان بيت المقدس ، ويوافيان الموسم في كل عام .

وروى بسند رفعه إلى زيد مولى عون الطفاوى<sup>(٢)</sup> عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشى بالأردن نصف النهار ، فرأى رجلا فقال له : يا عبد الله ، من أنت ؟ قال : بفعل لا يكلمنى . فقلت : يا عبد الله ، من أنت ؟ قال : أنا إلياس . قال : فوقعت على رعدة ، فقلت : أدع الله يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال : فدعا لي بثمان دعوات : يا برّ ، يا رحيم ، يا حنان ، يا منان ، يا حي ، يا قيوم ، ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما . قال : فرفع الله عني ما كنت أجد ، فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت بردها بين يدي . قال فقلت : يوحى إليك اليوم ؟ قال : منذ بعث الله محمدا رسوله فإنه ليس يوحى إلى . قال قلت له : كم من الأنبياء اليوم أحياء ؟ قال : أربعة ، آثنان في الأرض ، وآثنان في السماء ، في السماء عيسى

(١) رم العظم : بلى فهو رميم . (٢) الطفاوى (بضم الطاء) : نسبة الى طفاوة من قيس عيلان .

وإدريس ، وفي الأرض إلياس والخضر . قلتُ : كم الأبدال ؟ قال : ستون<sup>(١)</sup>  
رجلا ، خمسون منهم من لدن عيريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجلان بالمصيصة ،<sup>(٢)</sup>  
ورجلان بعسقلان ، وستة في سائر البلدان ، كلما أذهب الله واحداً جاء بآخر [ مكانه ]<sup>(٣)</sup>  
بهم يدفع الله عن الناس [ البلاء ] وبهم يمطرون . قلتُ : فإلخضر أين يكون ؟ قال :  
في جزائر البحر . قلتُ : فهل تلقاه ؟ قال نعم . قلتُ : أين ؟ قال : بالموسم .  
قلتُ : فما يكون من حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وأخذ من شعره . قال :  
وذلك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام قتال . قال : فقلتُ :  
ما تقول في مروان بن الحكم ؟ قال : ما تصنع به ! [ رجل جبار ]<sup>(٣)</sup> عات على الله  
— عز وجل — القاتل والمقتول والشاهد في النار .

١٠ (١) الأبدال : قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، بهم يقيم الله عز وجل الأرض . قال ابن دريد :  
هم سبعون رجلا فيما زعموا لا تخلو منهم الأرض : أربعون رجلا منهم بالشام وثلاثون بغيرها . قال غيره :  
لا يموت أحدهم إلا قام بدله آخر من سائر الناس . ونقل المناوي عن أبي البقاء قال : « كأنهم أرادوا  
أبدال الأنبياء وخلفاءهم ، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ،  
لكل بدل إقليم فيه ولايته ؛ منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول ، والثاني على قدم الكليم ،  
والثالث على قدم هارون ، والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى ،  
والسابع على قدم آدم — عليهم السلام — على ترتيب الأقاليم ، وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب  
السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها . ولهم من الأسماء أسماء الصفات وكل واحد بحسب ما يعطيه  
حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة ومنه يكون تلقيه » اهـ . وعلامتهم ألا يولد لهم . وقد  
أفردهم بالتصنيف جماعة منهم السيوطي والجلال السيوطي وغير واحد . وللعز بن عبد السلام رسالة في الرد  
على من يقول بوجودهم وأقام النكير على قولهم : بهم يحفظ الله الأرض . ( راجع شرح القاموس لأزبيدي  
في مادة بدل ) .

(٢) المصيصة (بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى) : مدينة على شاطئ جيجان من  
نغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ( راجع معجم البلدان لياقوت ) .  
(٣) الزيادة عن قصص الأنبياء للعليني .



قال قلت : فإنى قد شهدت فلم أظعن برمح ولم أرم بسهم ولم أضرب بسيف ، وأنا أستغفر الله — عز وجل — أن أعود إلى ذلك المقام أو مثله أبدا . قال : أحسنت ، هكذا فكن .

قال : فإنى وإياه قاعدان إذ وُضع بين يديه رغيفان أشدّ بياضا من الثلج ، أكلت أنا وهو رغيفا وبعض آخر ثم رُفع ، فما رأيت أحدا وضعه ولا أحدا رفعه .

قال : وله ناقة ترعى فى وادى الأردن ، فرفع رأسه إليها ، فما دعاها حتى جاءت فبركت بين يديه فركبها . قلت : أريد أن أصحبك . قال : إنك لا تقدر على صحبتى . قلت : إني خلوتُ مالى زوجة ولا عيال . قال : تزوج ، وإياك والنساء الأربع ، إياك والناشر<sup>(١)</sup> ، والمختلعة<sup>(٢)</sup> ، والملاعة<sup>(٣)</sup> ، والمبارنة<sup>(٤)</sup> ، وتزوج ما بدا لك من النساء .

قال : قلت : فإنى أحب لقاءك . قال : إذا رأيتنى فقد رأيتنى ، ثم قال : إني أريد أن أعتكف فى بيت المقدس فى شهر رمضان . قال : ثم حالت بينى وبينه شجرة ، فوالله ما أدرى كيف ذهب .

١١٨  
١١

فهذا ما أورده فى خبر إلياس وإليسع — عليهما السلام — . والله أعلم .

(١) الناشر : المرأة التى تكره زوجها وتبغضه وتستعصى عليه فيضربها ويحرقها .

(٢) المختلعة : المرأة التى تبذل مالا لزوجها ليطلقها .

(٣) الملاعة : المرأة التى يرميها زوجها برجل أنه زنى بها ، فالإمام يلاعن بينهما ، ويبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله أنها زنت بفلان وإنه لصادق فيما رواها به . فإذا قال ذلك أربع مرات قال فى الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين فيما رواها به من الزنى . ثم تقام المرأة فتقول أيضا أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنى ، ثم تقول فى الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين ، فإذا فعلت ذلك بانت منه ولم تحلل له أبدا ، وإن كانت حاملا بغاءت بولد فهو ولدها ، ولا يلحق بالزوج لأن السنة تنفيه عنه .

(٤) المبارنة : المرأة التى تبرئ الرجل من حقوقها للمبارقة .

### ذكر خبر عيسى<sup>(١)</sup> وأشمويل<sup>(٢)</sup> وما يتصل بذلك

قال أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - قال وهب بن منبه : لما قبض الله تعالى أليسع - عليه السلام - خلفت في بني إسرائيل الخلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وكان عندهم التابوت يتوارثونه صاغراً عن كبر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزم الله ذلك العدو . وكان الله - تبارك وتعالى - قد بارك لهم في جبلهم ، لا يدخله عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره . وكان أحدهم - فيما يذكرون - يضع التراب على الصخرة ثم ينثر فيه الحب فيخرج الله تعالى له ما يأكله سنة هو وعياله . ويكون لأحدهم الزيتون فيعتصر منها ما يأكله سنة هو وعياله . فلما عظمت أحداثهم وكثرت ذنوبهم وتركوا عهد الله إليهم سلط الله عليهم العمالة - وهم قوم<sup>(٣)</sup> كانوا<sup>(٤)</sup> يسكنون غزاة وعسقلان وساحل بحر الروم ما بين مصر وفلسطين - وكان جالوت الملك منهم فظهروا على بني إسرائيل ، وغلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاماً ، فضربوا عليهم الجزية ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ١ من هذا الجزء .

(٢) في تاريخ الطبري ( ص ٥٤٧ وما بعدها ) « أشمويل » و « شمويل » . وفي الكتاب المقدس ( ج ١ ص ٤٤٥ ) : « صموئيل » .

(٣) ورد في الجزء الثالث من تفسير القرطبي ( ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ) أقوال المفسرين في السكينة واختلافهم في تفسيرها ثم قال المؤلف : قال ابن عطية : والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٤) ذكر القرطبي في الجزء الثالث من تفسيره ( ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ) أقوال المفسرين أيضاً في البقية واختلافهم في تفسيرها ثم قال : وقال أبو صالح : البقية : عصا موسى وثيابه وثياب هارون ولوحان من التوراة . وسيدكر المؤلف تفسيرها فيما بعد .

(٥) زيادة عن الثعلبي .

وأخذوا توراتهم ، ومكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتجادون أحيانا في غيرهم وضلالهم ، فسأط الله عليهم من ينتقم منهم ليراجعوا التوبة ، حتى بعث الله تعالى فيهم طالوت مائكا . وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون إلى نبوة أشمويل أربع مائة سنة وستين سنة ، وكان آخر ملوكهم في هذه المدة رجل يقال له «إيلاف» وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ يقال له «عيلي» الكاهن ، وكان حبرهم وصاحب قربانهم ، وكانوا ينتهون إلى رأيه .

### ذكر ابتداء أمر أشمويل وكيف كانت نبوته

- قال الثعلبي قال وهب : كان لأبي أشمويل امرأتان ، إحداهما عجوز عاقرة لم تلد ، وهى أم أشمويل ، والأخرى ولدت عشرة أولاد . وكان لبني إسرائيل عيد من أعيادهم قد قاموا بشرائطه وقربوا فيه القرابين ، فحضر أبو أشمويل وامراتاه وأولاده العشرة ذلك العيد ، فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبه ، فكان لأُم الأولاد عشرة أنصبا ، وللعجوز نصيب واحد ، فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى ، فقالت أم الأولاد [للعجوز] : الحمد لله الذى كثرنى بولدى وقالك ، فوجئت العجوز وجوما شديدا . فلما كان عند السحر عمدت العجوز إلى متعبدها فقالت : اللهم بعلمك وسمك كانت مقالة صاحبتى وأستطالها على بنعمتك التى أنعمت عليها ، وأنت ابتدأتها بالنعمة والإحسان ، فأرحم ضعفى وأرحمنى وأرزقنى ولدا تقيا رضيا أجعله لك ذنرا فى مسجد من مساجدك ، يعبدك ولا يكفرك ، ويطيعك ولا يجحدك . وإذا رحمت ضعفى ومسكنتى وأجبت دعوتى ، فأجعل لها علامة أعرفها بها . فلما أصبحت حاضت وكانت من قبل قد ينست من الحيض ، فألم بها زوجها ، فحمت وكتمت أمرها ، ولقي بنو إسرائيل
- (١) زيادة عن الثعلبي .

في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ، ولم يكن في بني إسرائيل من يدبر أمرهم ، فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه ، وكان سبط النبوّة قد هلك ، فلم يبق منهم إلا هذه المرأة الحبلى ، فلما علموا بحملها تعجبوا وقالوا : إنما حبلت بنبي ، لأن الآيسات لا يحبلن إلا بالأنبياء ، فأخذوها وحبسوها في بيت رهنبة أن تلد جارية فتبدل بها غلاما ، لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها غلاما ، فولدت غلاما فسمته « أشمويل » وقيل فيه « شمعون » . وتقول : سمع الله دعائي .

١١٩  
١١

وأختلف في نسبه ، فالذي يقول اسمه شمعون يقول : هو شمعون بن صفيّة بن علقمة بن أبي ياسف بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب .

وقال سائر المفسرين : هو أشمويل ، وهو بالعربية إسماعيل بن بالي (١) ابن علقمة بن حام بن النهر بن بهر بن صوف بن علقمة بن ماحت بن عموصا ابن عزريا .

قال مقاتل : هو من نسل هارون — عليه السلام — . وقال مجاهد : أشمويل ابن هلقانا . والله أعلم .

قالوا : فلما كبر الغلام أسلمته أمه يتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله عيلى ، فلما بلغ أشمويل الوقت الذي يبعثه الله — عز وجل — نبيا أتاه جبريل

(١) ورد نسب أشمويل في تاريخ الطبرى (ص ٥٤٧ من القسم الأول) هكذا : « شمويل بن بالي بن علقمة بن برخام بن أليو بن تهب بن صوف » . وورد في قصص الأنبياء للعلبي هكذا : « شمويل وهو بالبرانية إسماعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا ابن عزريا » . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٤٤) : « صموئيل بن ألقانة بن يروحام بن أليو ابن توجو بن صوف الأفرائيمي » .

- وهو نائم إلى جنب عَيْلى الكاهن ، وعَيْلى لا يأمن عليه أحداً ، فدعاه بلحن الشيخ :
- يا أشمويل ، فقام فَرَعَا إلى الشيخ فقال : يا أبتاه ، دعوتنى ؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام ؛ فقال : يا بُنى ارجِع . فرجع فنام ، ثم دعاه ثانياً ، فاتاه فقال : أدعوتنى ؟ فقال الشيخ : ما شأنك ؟ فقال : أما دعوتنى ؟ قال :
- لا . قال أشمويل : فإنى سمعت صوتاً فى البيت ، وليس فيه غيرنا . فقال :
- ارجِع فتوضأ وصل ، فإذا دُعيتَ بِاسْمِكَ فأجب وقل : لَبَّيك ، أنا طَوْعُكَ ، فمرنى أفعل ما تأمرنى . ففعل الغلام ذلك ، فنودى الثالثة ، فقال : لَبَّيك أنا طَوْعُكَ ، فمرنى أفعل ما تأمرنى . فظهر له جبريل وقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك ، فإن الله تعالى قد بعثك إليهم نبياً ، وإن الله تعالى ذراك يوم ذراك
- ١٠ [ للنبوة <sup>(١)</sup> ] و رَحِمَ وَحْدَةَ أُمَّكَ فى ذلك اليوم الذى تاهت عليها ضَرْثُهَا ، ولا أحد اليوم أَشَدَّ عَضْداً <sup>(٢)</sup> ولا أَطيبُ ولادةً منك ، فأنطلق إلى عَيْلى <sup>(١)</sup> [ فقل له ] إنك كنت خليفة الله على عباده ، فبقيت زماناً تأمر بأمره ، وحاكماً بكتابهِ ، وحافظاً لحدوده ؛ فلما أمتدَّ سنك ، ودقَّ عَظْمُكَ ، وزهبت قوتك ، وفنى عمرك ، وقرب أجلك ؛ وصرت أفقر ما تكون إلى الله تعالى ، ولم تزل فقيراً إليه ، عَطَلْتَ الحدود ، وعممت بالرشا ، وأضعت حكومات الخلق ، حتى عزَّ الباطل وأهله ، وذلل الحق وحزبه ، وظهر المكر ، وخفى المعروف ، وفشا الكذب ، وقَلَّ الصدق ، وما الله عاهدك على هذا ، ولا عليه آستخلفك ، فبئس ما ختمت به عمَلُكَ ، والله لا يحب الخائنين . فبلّغه هذه الرسالة ، وقم بعده بالخلافة ؛ فلما بلغ أشمويل عَيْلى هذه الرسالة فَرَعَا وجَزِع .

قالوا : وكان السبب فيما عاتب الله تعالى عبده عيلى ووبخه عليه أنه كان له  
آبنان شاتآن ، فأخذنا شيئا فى القربان لم يكن فيه ، وذلك أنه كان فى مسواط القربان<sup>(١)</sup>  
الذى يسوطونه به كلابان<sup>(٢)</sup> ، فما أخرجنا كان للكاهن الذى كان يسوطه ، بجعل آبناه  
لها كلاب ، فأوحى الله تعالى إلى أشمويل : انطلق إلى عيلى فقل له : منعك حب  
الولد أن تزجر آبنيك أن يحدثا فى قربانى وأن يعصيانى ، فلا تزعج الكهانة منك  
ومن ولدك ولأهلكتك وإياهما . فأخبر أشمويل عيلى بذلك ، ففزع فزعا شديدا  
وسار إليهم عدوهم ، فأمر عيلى آبنيه أن يخرجوا بالناس ويقاوتا ذلك العدو ، فخرجوا  
وأخرجوا معهما التابوت ، فجعل عيلى يتوقع الخبر ، فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه  
فأخبره أن الناس قد أنهزموا ، وأن آبنيه قُتِلَا . قال : فما فعل التابوت ؟ قال :  
ذهب به العدو . فشقق عيلى ووقع ميتا . فلمّا بلغ ملكهم إيلاف أن التابوت  
أُسْتُلب ، وأن عيلى قد مات كدّا مات عنقه فمات كدّا .

قالوا : فلمّا ماتا وأخذ التابوت مرج<sup>(٣)</sup> أمر بنى إسرائيل وأجترأ عليهم عدوهم  
فقالوا لأشمويل ما أخبر الله تعالى به عنهم فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup>  
الآيات . وذلك بعد ما دبر أشمويل أمرهم عشر سنين .

(١) المسواط (كمحراب) : خشبة يحرك بها ما فى القدر ليخلط .

(٢) هذه عبارة العلامى فى قصص الأنبياء . والذى فى الأصل : « كان فى مسواط للقربان الذى

يسوط به كلابين فما أخرجنا كان للكاهن الذى يسوطه » .

(٣) مرج ، أى أخلط وأضطرب وفسد .

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم، وكان الملك هو الذى يسير بالجنود ويقاتل العدو، والنبي يقيم له أمره ويؤشير عليه ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله تعالى .

قال وهب : بعث الله تعالى أشمويل نبياً ، فلبثوا أربعين سنةً بأحسن حال ، وكان من أمر جالوت الملك والعمالة ما كان ، فسألوه أن يبعث لهم ملكاً ، فقال لهم : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ . فأجابوه بما قص الله تعالى في كتابه : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية .

قال : فلما أخذ أشمويل ميثاقهم فى الطاعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً . والله أعلم بالصواب .

#### ١٠ ذكر خبر الملك طالوت وإتيان التابوت وخبر جالوت

١٢٠  
١١

قالوا : ولما سألوا أشمويل أن يبعث لهم ملكاً ، سأل الله تعالى فى ذلك ، فَأَتَى بَعْضًا وَقَرْنٍ فِيهِ دُهْنٌ الْقُدْسُ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ الَّذِى يَكُونُ مَلِكًا طَوْلُهُ طَوْلُ هَذِهِ الْعَصَا ، وَقِيلَ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى الْقَرْنِ الَّذِى فِيهِ الدُّهْنُ فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ فَنَشِ الدُّهْنَ الَّذِى فِي الْقَرْنِ فَهُوَ مَلِكٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَدْهَنُ بِهِ رَأْسَهُ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَاسُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَصَا فَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَهَا ، وَكَانَ طَالُوتُ — وَأَسْمُهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ «شَارِكُ»<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة آية ٢٤٦ .

(٢) القرن (بفتح القاف والراء المهملة) : الجعبة ما كانت .

(٣) نش الدهن : صوّت عند الغليان .

(٤) فى قصص الأنبياء للثعلبى المخطوطة «شازك» بالزى المعجمة والكاف . وفى المطبوعة : «سادل»

وَالْعِبْرَانِيَّةُ شَاوُلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أُنْيَالِ بْنِ ضَرَارِ بْنِ أَحْرَبِ بْنِ أَفِيحِ بْنِ آيَشِ بْنِ بَنِيَامِينَ  
ابْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ — رَجُلًا دَبَّاحًا يَعْمَلُ الْأَدَمَ . قَالَ وَهَبٌ وَعِكْرِمَةُ  
وَالسُّدِّيُّ : كَانَ سَقَاءً يَسْقِي عَلَى حِمَارٍ مِنَ النَّيْلِ ، فَضَلَّ حِمَارُهُ ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ . وَقَالَ  
وَهَبٌ : بَلْ ضَلَّتْ حُمُرُ لَأَبِي طَالُوتَ ، فَأَرْسَلَهُ وَغَلَامًا لَهُ يَطْلُبَانَهَا ، فَمَرَّ بِبَيْتِ أَشْمُوِيلَ  
فَقَالَ الْغَلَامُ لَطَالُوتَ : لَوْ دَخَلْنَا عَلَى هَذَا النَّبِيِّ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ حُمُرِنَا لِيُرْشِدَنَا  
وَيَدْعُوَ لَنَا بِخَيْرٍ . فَقَالَ نَعَمْ . فَدَخَلَا عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ يَذْكُرَانِ شَأْنَ الْحُمُرِ إِذْ نَشَّ  
الذَّهْنُ فِي الْقَرْنِ فَقَامَ أَشْمُوِيلُ وَقَاسَ طَالُوتَ بِالْعَصَا ، فَكَانَتْ عَلَى طَوْلِهِ ، فَقَالَ  
لَطَالُوتَ : قَرِّبْ رَأْسَكَ . فَقَرَّبَهُ فَدَهَنَهُ بِذَهْنِ الْقُدْسِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ مَلِكُ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أُمْلِكَكَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ طَالُوتَ : أَنَا ؟ قَالَ  
نَعَمْ . قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنْ سِبْطِي أَدْنَى الْأَسْبَاطِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى .  
قَالَ : أَنَّمَا عَلِمْتَ أَنْ بَيْتِي أَدْنَى بَيْوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ : فَبَأَى آيَةُ  
أَكُونَ مَلِكًا ؟ قَالَ : بِآيَةٍ أَنْكَ تَرْجِعَ وَقَدْ وَجَدَ أَبُوكَ حُمُرَهُ . فَكَانَ كَذَلِكَ .

ثُمَّ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَى يَكُونُ لَهُ  
الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾<sup>(١)</sup> ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
سِبْطَانٌ : سِبْطُ نَبُوءَةَ ، وَسِبْطُ مَمْلُوكَةٍ ؛ فَكَانَ سِبْطُ النَّبُوءَةِ سِبْطَ لَأَوِي بْنِ يَعْقُوبَ ،

(١) ورد هذا النسب في قصص الأنبياء للثعلبي المطبوع هكذا : « شاول بن قيس بن أفيل بن صاروا  
ابن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام » وورد  
في النسخة المخطوطة منه هكذا : « شامل بن قيس بن اينال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن آش بن بنيامين »  
وورد في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٥٧) هكذا : « شاول بن قيس بن أبيئيل بن صرور بن بكورت  
ابن أفيح ابن رجل من بنيامين » .

(٢) السبط من اليهود كالقبيلة من العرب .



منهم موسى وهارون — عليهما السلام — وسبّط المملكة سبّط يهوذا بن يعقوب ،  
 منهم سليمان بن داود ؛ ولم يكن طالوت من سبّط النبوة ولا المملكة ، وإنما كان  
 من سبّط بنيامين بن يعقوب ، وكانوا عمّلوا ذنبا عظيما ؛ كانوا ينكحون النساء  
 على ظهر الطريق نهارا . فغضب الله تعالى عليهم ، ونزع النبوة والمملكة منهم ، فأنكر  
 بنو إسرائيل ذلك وقالوا : ﴿ أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ  
 يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ قال أشمويل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً ﴾ ،  
 أى فضيلة وسعة ﴿ فِي الْعِلْمِ ﴾ وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل في وقته . وقال الكلبي :  
 « فِي الْعِلْمِ » بالحرب . ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ يعنى بالطول والقوة ؛ وكان يفوق الناس  
 برأسه ومنكبّيه ؛ وإنما سُمّي طالوت لطوله . وقال ابن كيسان : للجمال ، وكان أجمل  
 رجل في بنى إسرائيل وأعلمهم ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>  
 قالوا : فما آية ذلك ؟ ﴿ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ  
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ  
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### ذكر قصة التابوت وصفته وما قيل فيه

قال أبو إسحاق الشنبلّي — رحمه الله — : قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار :  
 ١٥ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْبَطَ تَابُوتًا عَلَى آدَمَ حِينَ أَهْبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ ، فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ  
 مِنْ أَوْلَادِهِ ، وَفِيهِ بَيُوتُ بَعْدِ الرُّسُلِ مِنْهُمْ ، وَآخِرُ الْبُيُوتِ بَيْتُ مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَهُوَ مِنْ يَاقُوتَةِ حِمْرَاءَ ، وَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي وَعَنْ يَمِينِهِ الْكَهْلُ الْمَطِيْعُ ،

(١) سورة البقرة آية ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٨ .

مكتوبٌ على جبينه : هذا أول من يتبعه من أمته « أبو بكر الصديق » وعن يساره « الفاروق » ، مكتوبٌ على جبينه : قَرْن من حديد لا تأخذه في الله لومةٌ لائم ، ومن ورائه ذو النورين آخِذٌ بِمُحْزَمَتِهِ<sup>(١)</sup> ، مكتوبٌ على جبينه : بَارٌّ مِنَ الْبَرَّةِ . ومن بين يديه « عليّ بن أبي طالب » شاهرٌ سيفه على عاتقه ، مكتوبٌ على جبينه : هذا أخوه وأبن عمه المؤيد بالنصر من عند الله . وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكُتُبُكِبَةُ<sup>(٢)</sup> الخُضراء — وهم أنصار الله وأنصار رسوله — نورٌ حوافِرٌ دوابهم يومَ القيامةِ مثلُ نور الشمس في الدنيا .

١٢١  
١١

وكان التابوت نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وكان من عود الشَّمْشَارِ<sup>(٣)</sup> الذي تتخذ منه الأمشاط ، ممّوها بالذهب ، فكان عند آدم إلى أن مات ، ثم عند شيث ، ثم توارثه أولادُ آدم إلى أن بلغ إبراهيم — عليه السلام — فلمّا مات كان عند إسماعيل ، ثم كان عند قيذار بن إسماعيل ، فتنازعه ولدُ إسحاق وقالوا : إنّ النبوة قد صُرِفَتْ عنكم ، وليس لكم إلّا هذا النور الواحد ، [ يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم ] فَأَعْطَيْنَا التَّابُوتَ<sup>(٤)</sup> . فكان قيذار يمتنع عليهم ويقول : إنه وصية لأبي ، ولا أعطيه أحدًا من العالمين .

قال : فذهب ذات يوم يفتح التابوت ، فتعمر عليه فتحه ، فناداه منادٌ من السماء : مهلاً يا قيذار ، فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل ، إنه وصية نبيّ ،

(١) أخذ بمحزة فلان : استظهر به وأسكنه .

(٢) الكُتُبُكِبَةُ : الجماعة .

(٣) الشَّمْشَارُ : شجر البقس ، يشبه ورقه ورق الآس ، وعوده أصفر صلب ، وله حب أسود . منابته

ببلاد الروم ، تتخذ منه المغالِق والأبواب لمنايته وصلابته . وفي القاموس : « الشَّمْشَاذ » بالذال المعجمة

(راجع مفردات ابن البيطار وشرح القاموس مادة بقس) .

(٤) زيادة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

٥

١٠

١٥

٢٠

- لا يفتحه إلا نبيّ ، فأدفعه لابن عمك يعقوب إسرائيل الله ؛ فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب — عليه السلام — فلما قَرُبَ منه صَرَ التابوتُ صرّةً سمعها يعقوب ، فقال لبنيه : أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه . فقام يعقوب وأولاده جميعا إليه ، فلما نظر يعقوب إلى قيذار استعبرَ باكيا وقال : يا قيذار ، مالي أراك متغيّرا وقوّتك ضعيفة ، أرهقَكَ عدوّ أم أتيت معصيةً بعد أبيك إسماعيل ؟ قال : ما رهقني عدوّ ولا أتيت معصية ولكن نُقِلَ من ظهري نورٌ مجد ، فلذلك تغيّرتُ ونُيِّسَ رُكْنِي ، قال : أفى بنات إسحاق ؟ قال : لا ، في العربية الجرهميّة ، وهي العامريّة ، فقال يعقوب : بئسَ شرفا لمحمد ، لم يكن الله — عزّ وجل — ليُجرّيه إلا في العربيات الطاهرات يا قيذار ، وأنا مُبشّرٌ ببشارة . قال : وما هي ؟ قال : أعلم أن العامريّة قد ولدت لك البارحة غلاما . قال قيذار : وما علمك يا ابن عمّي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم ؟ قال يعقوب : علمتُ ذلك لأنّي رأيتُ أبوابَ السماء قد فُتحت ، ورأيتُ نوراً كالقمر المدود بين السماء والأرض ، ورأيتُ الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة ، فعلمتُ أن ذلك من أجل محمد — صلى الله عليه وسلم — فسلم قيذار التابوت إلى يعقوب ورجع إلى أهله ، فوجدها قد ولدت غلاما ، فسماه «حملا» وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم .

- قالوا : وكان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى — عليه السلام — فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ، وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل ، وكان فيه ما ذكر الله تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

قال الثعالبى : وأختلفوا فى السكينة ما هى ؟ فقال على بن أبى طالب : السكينة رِيحٌ نَجْجُوجٌ هَفَّافَةٌ لها رأسان [ كرأس الهرة <sup>(٢)</sup> ] ووجه كوجه الإنسان . وقال مجاهد : رأس كرأس الهرة ، وذنب كذنب الهرة وجناحان . وقال ابن إسحاق عن وهب عن بعض علماء بنى إسرائيل : السكينة ، رأس هرة مميّنة كانت إذا صرخت فى التابوت بصراخ هرة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وقال السدى عن أبى مالك عن ابن عباس : هى طست من ذهب من الجنة كانت تُغسل فيه قلوب الأنبياء . وقال بكار بن عبد الله عن وهب : رُوحٌ من الله نتكلم ، إذا اختلفوا فى شىء تخبرهم ببيان ما يريدون . وقال عطاء بن أبى رباح : هى ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها . وقال قتادة والكلبي : فعيلة من السكون أى طمانينة من ربكم ، وفى أى مكان كان التابوت أطمأنوا ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ .

قالوا : كان فيه عصا موسى ورُضاض الألواح <sup>(٣)</sup> ، وذلك أن موسى لما ألقى الألواح تكسرت فوق بعضها ، وجمع ما بقى فجعله فى التابوت . وكان فيه أيضا لوحان من التوراة ، وقَفِيزٌ من المن الذى كان ينزل عليهم ، وأَعْلًا موسى ، وعمامة هارون وعصاه . وكان التابوت عند بنى إسرائيل ؛ وكانوا إذا اختلفوا فى شىء تكلم وحكم بينهم ، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم ، فلما عصوا وأفسدوا سلط الله — عز وجل — عليهم العاقبة فاستلبوا التابوت كما تقدم .

(١) ریح نجوج : تنجج فى هبوبها ، أى تلتوى .

(٢) زيادة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

(٣) رضاض الشئ (بضادين معجمتين وضم الراء المهملة) : دفاق الشئ وفنائه ، أى ما رضى منه .

(٤) استفتح فلان : طلب الفتح واستنصر ، ومنه قوله تعالى : « إن تستنجحوا فقد جاءكم الفتح » أى إن طلبتم الظفر .

## ذكر إتيان التابوت إلى بني إسرائيل وسبب عَوْدِهِ

$$\frac{122}{11}$$

- قال أبو إسحاق : لما سَلَبَ العَمَالِقَةُ قَوْمَ جَالُوتَ التَّابُوتَ كَانَ جَالُوتٌ صَغِيرًا ، فَأَتَوْا بِالتَّابُوتِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى فِلَسْطِينَ يُقَالُ لَهَا أَشْدُود <sup>(١)</sup> ، وَجَعَلُوهُ فِي بَيْتِ صَنْمٍ لَهُمْ وَوَضَعُوهُ تَحْتَ الصَّانِمِ الْأَعْظَمِ ، فَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ وَالصَّانِمِ تَحْتَهُ ، فَأَخَذُوهُ وَوَضَعُوهُ فَوْقَهُ ، وَسَمَرُوا قَدَمِي الصَّانِمِ عَلَى التَّابُوتِ ، فَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ وَقَدْ قُطِعَتْ يَدُ الصَّانِمِ وَرِجْلَاهُ ، وَأَصْبَحَ مُلَقًّى تَحْتَ التَّابُوتِ وَأَصْبَحَتْ أَصْنَامُهُمْ كُلُّهَا مَنْكُسَةً ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْتِ الصَّانِمِ وَوَضَعُوهُ فِي نَاحِيَةِ مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، فَأَخَذَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَجَعُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ إِلَهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، فَأَخْرَجُوهُ عَنْ مَدِينَتِكُمْ ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَبَعَثَ اللَّهُ — عَزَّ وَجَلَّ — عَلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ فَارًا ، بَيْتَ الرَّجُلِ صَحِيحًا فَيَقْرِضُهُ الْفَارُ فَيَصْبِحُ مَيِّتًا قَدْ أَكَلَتْ مَا فِي جَوْفِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا إِلَى الصَّحْرَاءِ وَدَفَنُوهُ فِي مَخْرَآةٍ لَهُمْ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ تَبَرَّزَ هُنَاكَ أَخَذَهُ الْبَاسُورُ وَالْقَوْلَنْجُ <sup>(٢)</sup> ، فَتَحِيرُوا ، فَقَالَتْ لَهُمْ أَمْرَأَةٌ كَانَتْ عَنْدهُمْ مِنْ سَبْيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ : لَا تَزَالُونَ تَرَوْنَ مَا تَكْرَهُونَ مَا دَامَ هَذَا التَّابُوتُ فِيكُمْ ، فَأَخْرَجُوهُ عَنْكُمْ ، فَأَتَوْا بِعَجَلَةٍ بِإِشَارَةِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ فَحَمَلُوا التَّابُوتَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ عَلَّقُوهَا عَلَى ثَوْرَيْنِ ، ثُمَّ ضَرَبُوا جُنُوبَهُمَا ، فَأَقْبَلَ الثَّوْرَانِ يَسِيرَانِ ، وَوَكَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا أَرْبَعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسُوقُونَهُمَا ، فَلَمْ يَمُتِ التَّابُوتُ

(١) كَذَا فِي قَامُوسِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِلدَّكْتُورِ جُورْجِ بُوْسْتِ (ج ١ ص ١٠١ ، ٢٧٦ طبع بيروت سنة ١٨٩٤) وَهِيَ إِحْدَى مَدَنِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ الْخَمْسِ الْمُتَحَالِفَةِ وَقَدْ خَرَجَتْ فِي نَصِيبِ يَهُوذَا ، وَهِيَ الْمَرْكَزُ الْخُصُوصِي لِعِبَادَةِ دَاجُون ، وَأَمَّا مَوْقِعُهَا فَعَلَى ٣ أَمْيَالٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُنْتَوَسِطِ بَيْنَ غَزَا وَبَافَا ، وَهِيَ الْآنَ قَرْيَةٌ حَقِيرَةٌ تَسْمَى أَشْدُودُ وَفِي جَوَارِهَا خَرَابٌ كَثِيرٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَشْدُود » .

(٢) هَذِهِ عِبَارَةٌ ثَعْلَبِيَّةٌ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ . وَعِبَارَةٌ الْأَصْلِ مُحَرَّفَةٌ .

(٣) الْقَوْلَنْجُ : مَرَضٌ مَعْوِيٌّ مُؤَلِّمٌ يَعْصِرُ مَعَهُ خُرُوجَ الثَّقَلِ وَالرَّيْحِ ، مَعْرَبٌ .

بشيء من الأرض إلا كان مقدّساً ، فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى إسرائيل فكسرا برّتهما وقطعا حبالهما ، ووضعوا التابوت فيها ورجعا إلى أرضهما ، فلم يرع بنى إسرائيل إلا التابوت ، فكبروا وحمدوا الله تعالى .

وقال الكسائي<sup>(١)</sup> : إنهم لما دفنوه إلى جنب الحش<sup>(٢)</sup> وأخذهم الباسور أعادوه إلى الكنيسة . فغزاهم بعض الفراعنة فهزمهم ودخل الكنيسة ، وأخذوا التابوت وهمّوا بفتحه فلم يقدروا فهمّوا بكسره فلم يقدروا ، فتركوه ، فكان القوم يتشاءمون به لما كان يصيبهم من البلاء ، فقولوه إلى خمس مدائن ، فقال أهل المدينة الخامسة : إن هذا البلاء يصيبكم بسبب هذا التابوت فأخرجوه . وساق نحو ما تقدّم .

وقوله تعالى : (( تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ )) أى تَسُوْقُهُ . فعند ذلك أقفوا بملك طالوت .

وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعوه فى دار طالوت ، فأقفوا بملكه . قال الله تعالى : (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ))<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — إن التابوت وعصا موسى فى بحيرة

طَبْرِيَّة ، وإنيما يخرجان يوم القيامة . والله أعلم .

(١) الحش (الثلاث) : البستان ، وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلا لما كان من عاداتهم التغوط فى البساتين .

(٢) هذه عبارة الكسائي فى قصص الأنبياء . وفى الأصلين : « فهم بكسره فلم يقدر » .

(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

(٤) بحيرة طبرية ، هى كالبركة تحيط بها الجبال ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجى من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر ، وينفصل منها نهر عظيم فيسقى أرض الأردن الأصغر ، وهو بلاد الغور ، ويصب فى البحيرة المنتنة قرب أريحا . ومدينة طبرية فى لطف الجبل مشرفة على البحيرة ، ماؤها عذب شراب ليس بصادق الخلاوة ثقيل . وفى وسط هذه البحيرة حجر نائى يزعمون أنه قبر سليمان بن داود عليه السلام . وبين البحيرة وبيت المقدس نحو من خمسين ميلا . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

### ذكر مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي آبتلوا به

- قالوا : فلما أقتروا بملك طالوت سألوه أن يغزو بهم ، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل . وقيل : ثمانون ألفاً لم يختلف عنه إلا كبير لهمومه أو مريض لمرضه أو ضريح لضره أو معذور لعدوه ؛ وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا : قد أتانا التابوت ، وهو النصر لا شك فيه ؛ فسارعوا إلى الجهاد ، فقال طالوت : لا حاجة لي في كل ما أرى ، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ، ولا صاحب تجارة مشغول بها ، ولا رجل عليه دين ، ولا رجل تزوج بامرأة ولم يبن بها ، ولا يتبعني إلا الشاب الذشيط الفارع <sup>(١)</sup> . فأجتمع له ثمانون ألفاً على شرطه — وكانوا في حر شديد — فشكوا قلة المياه فيما بينهم وبين عدوهم ، وقالوا : إن المياه لا تحملنا ، فأدع الله تعالى أن يجري لنا نهراً . فقال لهم طالوت : (( إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي )) أي من أهل ديني وطاعتي ؛ (( وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي )) ؛ ثم استثنى فقال : (( إِلَّا مَنْ غُرِفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ )) .
- قال الكسائي : لما سألوه أن يجري لهم نهراً قال : أفعل — إن شاء الله — وسار بهم حتى إذا كانوا في برية وفقدوا الماء وأجهدهم العطش ، أتوه ، فدعا أن يجري الله تعالى لهم نهراً ، فأوحى الله إليه ما أخبر به في كتابه ؛ قال الله تعالى : (( فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ <sup>(٢)</sup> )) الآية . قال : وهو نهر الأردن من بلاد فلسطين . وقال الشعبي : قال ابن عباس والسدي : هو نهر فلسطين . وقال قتادة والربيع : هو نهر بين الأردن وفلسطين ، عذب . قال الكسائي : قالوا : وما تغني عنا الغُرْفَةُ ثم عَرَضَ لهم النهر فأنهم مكوا في شربه . قال الله تعالى : (( فَشَرِبُوا مِنْهُ ١٢٣

١١

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ قَالَ : وَآخْتَلَفُوا فِي الْقَلِيلِ الَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا ؛ فَقَالَ السُّدِّيُّ : كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : كَانُوا ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لِأَهْلِ بَدْرَ : ” أَتَمَّ الْيَوْمَ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ حِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ “ وَكَانَ أَهْلُ بَدْرَ ثَلَاثِمِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ .

قالوا : فلم يزد هؤلاء على الغرفة فكانت كفاية لهم ولدوا بهم ؛ فمن أغترف غرفة ، كما أمر الله ، نور الله قلبه وصحح إيمانه ، وعبر النهر سالماً . والذين شربوا وخالفوا أمر الله — عز وجل — أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبتوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ؛ فقال طالوت للذين عصوا ربهم : ارجعوا فلا حاجة لي بكم فرجعوا . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ ﴾ <sup>(١)</sup> وإنما قال ذلك الذين عصوا وشربوا ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۚ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### ذكر خبر دواود حين قتل جالوت الملك

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۚ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ۚ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال أبو إسحاق الشعابي — رحمه الله — : قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة : عبر النهر مع طالوت إيشى أبو داود في ثلاثة عشر آناً له ، وكان داود

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥١ ، وقد وردت هذه الآية الكريمة في الأصول قبل هذا العنوان .

ووردت في التعلي الذي ينقل عنه المؤلف كما أثبتنا هنا وهو الأنسب .



أصغرهم، فأتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه، ما أرمى بقذافتى شيئاً إلا صرعتُهُ. فقال: أبشر يا بني - فإن الله - عز وجل - جعل رزقك في قذافتك؛ ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه، لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً، فركبته وأخذتُ بأذنيه فلم يهجنني<sup>(٢)</sup>، فقال: أبشر يا بني - فإن هذا خير يريدُه الله بك. ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه، إني لأمشي بين الجبال فأستبح فها يبقى جبلٌ إلا سبَّح معي. فقال: أبشر يا بني - فإن هذا خير أعطاكهُ الله عز وجل.

قالوا: فأرسل جالوتُ إلى طالوت، أن أبرزُ إلى أو أبرزُ إلى من يقاتلني، فإن قتلني فلکم مُلکی، وإن قتلته فلي ملککم. فشق ذلك على طالوت، فنَادى في عسكره: مَنْ قتل جالوتَ زوجتُهُ آبتی وناصفتُهُ مُلکی. فهاب الناسُ جالوتَ فلم يجبه أحدٌ؛ فسأل طالوتُ نبيهم - عليه السلام - أن يدعو، فدعا الله - عز وجل - في ذلك، فَأُتِيَ بقرنٍ فيه دُهْنُ القدس، وتَنُورٌ من حديد، فقبيل له: إن صاحبکم الذي يقتل جالوتَ هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن ثم يَدُهْنُ به رأسه ولا يسيل على وجهه، يكون على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التَنُور فيملاهُ لا يتقلقل فيه؛ فدعا طالوتُ بني إسرائيل، فخرَّبهم فلم يوافقهُ منهم أحدٌ، فأوحى الله - عز وجل - إلى نبيهم أن في ولدٍ إيشي من يقتل الله به جالوت، فدعا طالوتُ إيشي وقال له: اعرض عليّ بنيك. فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري، وفيهم رجل فارعٌ عليهم؛ فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً، فيقول لذلك الحسيم: ارجع فيردده على التَنُور. فأوحى الله - عز وجل - إليه: إنا لا نأخذ الرجال على صُورهم، ولكنَّا نأخذهم على صلاح قلوبهم. فقال لإيشي:

(١) النفاة: المقلع.

هل بقي لك ولدٌ غيرهم؟ فقال لا . فقال النبي : ربّ إنه زعم أن لا ولد له غيرهم .  
فقال كذب . فقال النبي : إن ربّي كذّبك . قال : صدق الله يا نبيّ الله ،  
إن لي أبنا صغيرا يقال له داود أستحييتُ أن يراه الناس لقصر قامته وحمارته ،  
نخلّفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا . وكان داود — عليه السلام — رجلا  
قصيرا مسقاما مصفارا أزرق أشقر . فدعاه طالوت . ويقال : بل خرج طالوت  
إليه فوجد الوادي قد حال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها ، فوجده يحمل  
شاتين شاتين فيجيزهما السيل ولا يخوض بهما الماء ؛ فلما رآه [أشمويل<sup>(٢)</sup>] قال :  
هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم . فدعاه ووضع القرن على  
رأسه ففاض ؛ فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوت وأزوجهك أبنتي وأجرتي  
حكّك في ملكي ؟ قال نعم . قال : وهل أنست من نفسك شيئا نتقوى به على  
قتله ؟ قال : نعم ، أنا أرعى فيجىء الأسد أو الثمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم له  
فأفتح لحية عنها وأخرقهما إلى قفاه . فردّه إلى عسكره ؛ فمّر داود — عليه السلام —  
في الطريق بحجر فناداه : يا داود ، احملني فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا ،  
فحمله في مخلاته . [ثم مرّ بحجر آخر فناداه : يا داود ، احملني فإني حجر موسى — عليه  
السلام — الذي قتل به ملك كذا وكذا ، فحمله في مخلاته<sup>(٢)</sup>] . ثم مرّ بحجر آخر فقال :  
احملني فإني حجر الذي تقتل به جالوت ، وقد خباني الله لك ، فوضعه في مخلاته .  
فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة ، أنتدب له داود ، فأعطاه طالوت  
فرسا ودرعا وسلاحا ، فلبس السلاح وركب الفرس ، وسار قريبا ، ثم أنصرف  
فرجع إلى الملك ، فقال من حوله : جبن الغلام . بجاء فوقف على الملك فقال :

(١) عبارة الثعلبي : « وكان داود — عليه السلام — رجلا قصيرا سقيا مصفرا أزرق العينين » .

(٢) التكملة عن قصص الأنبياء للثعلبي .

ما شأنك ؟ قال : إنا لله — عز وجل — إن لم ينصرني لم يغبني عنى هذا السلاح شيئاً ، فدعنى أقاتل كما أريد . قال نعم . فأخذ داود مخلاته فتقلدها ، وأخذ المقلع ومضى نحو جالوت ، وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم ؛ وكان يهزم الجيوش وحده ، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة من حديد ، فلما نظر إلى داود ألقى في قلبه الرعب ، فقال له : أنت تبرز لى ؟ قال نعم — وكان جالوت على فرس أبلق ، عليه السلاح التام — قال : تأتيني بالمقلع والحجر كما يؤتى الكلب ؟ قال : نعم ، لأنك شر من الكلب . قال : لا جرم لأقسم لحكمك بين سبع الأرض وطير السماء . فقال داود : [ باسم الله <sup>(١)</sup> ] يقسم الله لحكمك . وقال : بسم الله إبراهيم ، وأخرج حجراً ، ثم أخرج الآخر وقال : باسم الله إسحاق ، ووضعته في مقلعه ، ثم أخرج الثالث وقال : باسم الله يعقوب ، ووضعته في مقلعه ، فصارت كلها حجراً واحداً ، ودور المقلع ورماه به ، فسخر الله تعالى له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة وخالط دماغه فخرج من قفاه ، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً ، وهزم الله تعالى الجيش وحرّ جالوت قتيلاً ، فأخذه داود بفتره حتى ألقاه بين يدي طالوت .

وقال الكسائي في هذه القصة : كان مع طالوت سبعة إخوة لداود ، وكان داود عند أبيه وهو صغير ، فقال له أبوه : قد أبطأ على خبر إخوانك مع طالوت ، فأحمل إليهم طعاماً وتعرف لي خبرهم . فمضى داود ومعه مخلاة له فيها الطعام ، وقد شد وسطه بمقلع ، فبينما هو يسير إذ ناداه حجر من الأرض : خذنى فأنا حجر أبيك إبراهيم . فأخذه ، ثم ناداه حجر آخر : خذنى فأنا حجر أبيك إسحاق . فأخذه ،

ثم ناداه حجر آخر : حُذْنِي فَأَنَا حَجَرُ أَبِيكَ يَعْقُوبَ . فَأَخَذَهُ وَسَارَ حَتَّى أَتَى الْعَسْكَرَ ،  
فَنَزَلَ عَلَى إِخْوَتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَهَيَّأَ الْجَيْشَانِ لِلْحَارِبَةِ ، فَقَالَ طَالُوتُ :  
أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَفَّافٌ مِنْكُمْ أَمَرَ جَالُوتُ زَوْجَتَهُ أَبْنَتِي ، وَأَشْرَكَتُهُ فِي مُلْكِي ، وَجَعَلَتْهُ  
خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي . فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ إِلَّا دَاوُدُ ، نَخَلَ عَلَيْهِ وَأَرْكَبَهُ وَطَافَ بِهِ فِي مَعْسِكَرِهِ ،  
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَكِبُوا ، وَأَقْبَلَ جَالُوتُ بِجِيُوشِهِ وَهُوَ عَلَى فَيْلٍ ، وَكَانَ طُولُهُ  
ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ دَاوُدَ عَشْرَةَ أَذْرَعًا ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ  
عَلَيْنَا صَبْرًا <sup>(١)</sup> ۝ ٱلْآيَةُ .

فَبَرَزَ جَالُوتُ بَيْنَ الصَّفِّينِ فَبَرَزَ لَهُ دَاوُدُ ، فَقَالَ لَهُ جَالُوتُ : إِنَّكَ صَغِيرٌ  
وَلَا سِلَاحَ مَعَكَ فَأَرْجِعْ ، فَأَبَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ تِلْكَ الْأَحْجَارَ فَوَضَعَهَا فِي مِثْلَاعِهِ وَرَمَى  
بِهَا ، فَوَقَعَ أَحَدُهَا بِمِيمَنَةِ جَالُوتَ فَهَزَمَهَا ، وَالثَّانِي فِي الْمَيْسِرَةِ فَأَنْهَزَمُوا ، وَالثَّالِثُ وَقَعَ  
عَلَى أَنْفِ بَيْضَةِ جَالُوتَ فَخَرَجَ مِنْ قَفَاهُ ، فَسَقَطَ جَالُوتُ مَيِّتًا ، وَأَنْهَزَمَ أَصْحَابُهُ .

قَالُوا : وَلَمَّا قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ذَكَرَ النَّاسُ دَاوُدَ وَعَظَّمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، بَخَاءً إِلَى  
طَالُوتَ وَقَالَ لَهُ : أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، وَأَعْطِنِي أَمْرَاتِي . فَقَالَ لَهُ طَالُوتُ : أَتُرِيدُ  
أَبْنَةَ الْمَلِكِ بَغِيرَ صَدَاقٍ ، عَجَلْ صَدَاقَ أَبْنَتِي وَشَأْنُكَ بِهَا . فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ : مَا شَرِطْتَ  
عَلَى صَدَاقَا ، وَابْسُ لِي شَيْءًا ، فَتَحَكَّمْ فِي الصَّدَاقِ مَا شِئْتَ <sup>(٢)</sup> وَأَقْرَضْنِي مَهْرَهَا وَعَلَى  
الْأَدَاءِ وَالْوَفَاءِ لَكَ . فَقَالَ طَالُوتُ : أَصْدِقْهَا نَصِيبَكَ مِنَ الْمُلْكِ . فَقَالَتِ بَنُو إِسْرَائِيلَ :  
لَا تَظْلِمْهُ وَأَنْجِزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ بِهِ .

فَلَمَّا رَأَى طَالُوتُ مَيْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى دَاوُدَ وَحُسْنَ رَأْيِهِمْ فِيهِ قَالَ :  
لَا حَاجَةَ لِأَبْنَتِي فِي الْمَالِ ، وَلَا أَكْلَفُكَ إِلَّا مَا تُطِيقُ ، أَنْتَ رَجُلٌ جَرِيءٌ ، وَفِي جِبَالِنَا

(١) سورة البقرة آية ٢٥٠

(٢) عبارة الأصول : « فتحكّم من الصداق ما شئت » وعبارة الثعلبي : « فتحكّم في الصداق بما تريد » .

أعداء من المشركين غُلْفٌ<sup>(١)</sup> فَأَنْطَلِقْ وَجَاهِدْهُمْ ، فإذا قُتِلَ منهم مائتي رجل وجئتنى  
برءوسهم زَوْجَتِكَ ابْنَتِي . فَأَتَاهُم دَاوُدُ ، وجعل كلما قتل منهم رجلاً أَحْتَرَّ رَأْسُهُ ونظمه  
في خيط حتى نَظَمَ رءوسهم بجاء بها إلى طالوت ، فألقاها إليه وقال : ادفع إلى  
أمرأتى ، فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملأه ، فقال الناس إلى داود وأحبوه  
وأكثرُوا من ذكره ، فوجد طالوتُ من ذلك في نفسه وحسده وأراد قتله .

قال وهب بن منبه : وكانت الملوك يومئذ يتوكلون على عصى فيغريزون في أطرافها  
أزجة من حديد ، وكان بيد طالوت منها واحدة ، في رأسها رقمان من ذهب  
وفي أسفلها زُجٌّ من حديد ، وداود جالس قريباً منه في ناحية البيت ، فرماه بها بغتة  
ليقتله بها ، فلمّا أحس داود بذلك حاد عن طريقها ، وأمال نفسه عنها من غير  
أن يبرح من موضعه ، فأرتكرت في الجدار ، فقال له داود : عمدت إلى قتلى ؟  
قال طالوت : لا ، ولكن أردت أن أفف على ثباتك في الطعان وربط جأشك  
للا قران . قال داود : فألفيته على ما قدرته في ؟ قال : نعم ، ولعلك فزعت . قال :  
معاذ الله أن أخاف إلا الله تعالى وأرجو إلا الله ، ولا يدفع الشر إلا الله . فأنزعها  
من الجدار ثم هزها هزّة منكّرة وقال له : أثبت كما ثبت لك ، فأيقن طالوتُ  
بالهلاك ، فقال له : أنشدك الله والحُرمة التي بيني وبينك إلا ما صفحت ، فقال  
داود : إن الله تعالى كتب في التوراة أن آجر السيئة مثلها ، واحدة بواحدة والبادي  
أظلم ، فقال طالوت : ألا تقول قول هابيل لأخيه قابيل : ﴿ لَنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ  
لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قال داود :  
قد عفوتُ عنك لوجه الله تعالى .

(١) هذه عبارة التعلبي في النسخة المطبوعة . وفي الأصلين : « وجئتنى بغلقهم زَوْجَتِكَ ابْنَتِي ، فَأَتَاهُم  
داود وجعل كلما قتل منهم نظم غلقته في خيط حتى نظم غلقهم » والغلف جمع أغلف ، والأغلف : الذي لم يحن .  
(٢) سورة المائدة آية ٢٨

فلبث طالوتُ زمنا يريد قتلَ داود، فعزم على أن يأتيه ويغتاله في داره، فأخبر بذلك بنتَ طالوتَ رجلٌ يقال له : ذو العينين ، فقالت لداود : إنك مقتولُ الليلة ؛ قال : ومن يقتلني ؟ قالت : أبى ، وأخبرته الخبر وقالت : لا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك . فأخذ داودُ زِقَ خمرٍ فوضعه في مَضْجَعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير ودخل طالوتُ نصفَ الليل ، فعمد إليه فضربه ضربةً بالسيف فسالت الخمرُ، فلما وجدَ ريحها قال : رحمَ الله داود، ما كان أكثر شربه للخمر ، وخرج ، فلما أصبح علم أنه لم يصنع شيئا ، فقال : إن رجلا طلبتُ منه ما طلبتُ لخليق ألا يدعى حتى يطلب مني ثأره ؛ فأشدَّ حُجَّابه وحُرَّاسه وأغلق دونه الأبواب ، فأتاه داود ليلةً وقد هدأتِ العيونُ وأعمى الله الحُجَّاب عنه وفتح له الأبواب ، ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهمًا عند رأسه وسهما عند رجله وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج . فلما استيقظ طالوتُ بصر بالسهم فعرفها ، فقال : رحمَ الله داود فهو خير مني ، ظفرتُ به فقصدتُ قتله ، وظفر بي فكف عني ، لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذى آمنه . فلما كانت الليلة القابلة أتاه ثانيا ، وأعمى الله الحُجَّاب ، فدخل وهو نائم ، فأخذ إبريقَ طالوتَ الذى كان يتوضأ به وكوزه الذى يشرب منه ، وقطع شَعرات من لحيته وشيئا من هُذْب ثيابه ، ثم خرج وهرب وتوارى ؛ فلما أصبح ورأى ذلك نصب على داود العيونَ وطلبه أشدَّ الطلب فلم يقدر عليه ، ثم ركبَ طالوتُ يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال : اليوم أقتلُ داود ، وكان داودُ إذا فتر لم يدرك ، فركض داود حتى دخل غارا ، فأمر الله العنكبوت أن تنسج ، فنسجت عليه بيتا ، وجاء طالوتُ إلى الغار فنظر إلى بيتِ العنكبوت فقال : لو كان هاهنا لحرق بيتِ العنكبوت ، فتركه ومضى ، وأنطلق داود إلى الجبل ومعه المتعبدون ، بفعل يتعبد فيه .

وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود؛ فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله . وأغري بقتل العلماء، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم [ويطبق قتله إلا قتله] ولم يكن طالوت يحارب جيشا إلا هزمه، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم، فأمر جبار به بقتلها، فرحمها الجبار وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها .

- ثم وقع في قلب طالوت التوبة، ونذم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور ويبكي وينادي : أنشد الله عبدا يعلم لي التوبة إلا أخبرني . فلما كثر عليهم [بكائه] ناداه مناد من قبر : يا طالوت، أما ترى [أنك] قتلنا حتى تؤذينا أمواتا، فازداد بكاء وحزنا، فقال له الجبار : مالك أيها الملك؟ قال : هل تعلم لي في الأرض عالما أسأله؟ هل لي من توبة؟ قال الجبار : هل تدري ما مثلك؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء، فصاح بك فتطير به، فقال : لا تركوا في هذه القرية ديكا إلا ذبحتموه . فلما أراد أن ينام قال لأصحابه : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندبج . فقالوا له : وهل تركت ديكا يسمع صوته؟ وأنت هل تركت في الأرض عالما؟! فازداد طالوت حزنا وبكاء، فلما رأى الجبار ذلك قال له : أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله؟ قال لا . فتوثق منه الجبار وأخبره أن المرأة العالمة عنده، قال : فأنطلق بي إليها حتى أسألهما هل لي من توبة؟ - وكان إنما يعلم ذلك أهل بيت لهم علم بالاسم الأعظم - فلما بلغ طالوت الباب قال له الجبار : إنها إن رأيتك فزعت، نخلفه خلفه، ثم دخل عليها فقال لها : ألسنت أعظم عليك حرمة، أنجيتك من القتل وأويتك عندي؟ قالت بلى . قال : فإن لي إليك حاجة . قالت :

- (١) الكلمة من قصص الأنبياء للنعلبي .  
(٢) عبارة النعلبي : « وكانت تعلم الاسم الأعظم، وكان إنما يعلم بهذا الاسم أهل بيت لها فبيت رجالهم ونسأهم » .

- وما هي ؟ قال : هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فقالت : لا والله ما لطالوت من توبة ، ولكن هل تعلمون مكانَ قبرِ أشمويل ؟ قال نعم . قالت : فأنطلقوا بي إلى قبره ، ففعلوا ، فصأت ثم نادى : يا صاحب القبر أخرج . فخرج أشمويل من قبره ينفض رأسه من التراب . فلما نظر إليهم ثلاثتهم . المرأة والجبار وطالوت قال : ما لكم ! أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك هل له من توبة ؟ قال أشمويل : ياطالوت ، ما فعلت بعدى ؟ قال : لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة . قال : كم لك من الولد ؟ قال : عشرة رجال . قال : ما أعلم لك من توبة إلا أن نتخلى عن مالك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ، ثم تُقدم ولدك حتى يُقتلوا بين يديك ، ثم تُقاتل أنت حتى تُقتل آخرهم . ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً ، ورجع طالوت أحزن ما كان ، رهبةً ألا يتابعه أولاده ، وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيهِ ، ونحل جسمهُ . فدخل عليه أولاده فقال لهم : أرايتم لو دُفعتُ إلى النار هل كنتم تنقذوننى ؟ قالوا : بلى ، ننقذك بما قدرنا عليه . قال : فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول . قالوا : فأعرض علينا ، فذكر لهم القصة . قالوا : فإنك لمقتول ؟ ! قال نعم . قالوا : فلا خير لنا في الحياة بعدك ، قد طابت أنفسنا بالذى سألت . فتجهز للغزو بماله وولده ، فتقدم ولده فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم تقدم فقاتل بعدهم حتى قتل . بخاء قاتله إلى داود يبشره وقال : قد قتل عدوك . فقال داود : ما أنت بالذى تحيا بعده . فضرب عنقه .
- وحكى الكسائي : أن طالوت لما حسد داود على ما أوتي من القوة ، وهم بالغدر مراراً فلم يظفر به وظفر به داود فأبقى عليه ، أعتذر له طالوت وأتفقا ، ثم مات أشمويل ، فأنضم بنو إسرائيل إلى داود وأختلفوا على طالوت وحاربوه ، فاستقل داود بالملك ، وجاهد بني إسرائيل وقهر الأعداء . والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .



ذكر خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلى بني إسرائيل  
وما خصه الله عز وجل به

- هو داود بن إيشي بن عويل بن باعد بن سلمون بن يحسون بن عمي بن مارب  
آبن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل  
— عليهم السلام — قال الله تعالى : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ <sup>(١)</sup> قال  
الكسائي : لما مات أشمويل تفرق بنو إسرائيل وأشتغلوا باللهو ، فبعث الله تعالى  
داود — عليه السلام — وأعطاه سبعين سطرا من الزبور ، وأعطاه حسن الصوت ،  
فكان إذا سبّح سبّحت الجبال معه والطير والوحش ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا  
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ۖ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ <sup>(٢)</sup> أي مطيع .  
وقال أبو إسحاق الثعلبي : قالت العلماء بأخبار الأنبياء : لما استشهد طالوت  
أتى بنو إسرائيل إلى داود فأعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم ، وذلك بعد  
قتل چالوت بسبع سنين ، ولم يجتمع بنو إسرائيل بعد يوشع بن نون على ملك واحد  
إلا على داود عليه السلام .

قال : وخصّ الله تعالى نبيه داود بخصائص :

- منها : أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، في خمسين منها  
ما يكون من مجتصر وأهل بابل ؛ وفي خمسين ما يكون من أهل إبرون ؛  
(١) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٦١ من القسم الأول) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي  
(ج ٣ ص ٢٥٧) وذكر أنه بكسر الهمزة . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٤٧٢) : « يسي »  
بفتح الياء والسين المشددة . وقد ورد نسب داود — عليه السلام — في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٢)  
هكذا : « داود بن يسي بن عويد بن بوعد بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصرون  
ابن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام » . وورد نسبه في تاريخ الطبري  
(ص ٥٥٩ من القسم الأول) هكذا : داود بن إيشي بن عويد بن باعد بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب  
ابن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .  
(٢) سورة ص آية ٢٦ (٣) سورة ص آيتي ١٨ ، ١٩

وفي خمسين منها موعظة وحكمة ؛ ولم يكن فيها حلال ولا حرام ، ولا حدود ولا أحكام ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا <sup>(١)</sup> 》 .

ومنها : الصوت الطيب ، والنعمة اللذيذة ، والترجيع في الألحان ؛ ولم يُعْطِ الله تعالى أحدا من خلقه مثل صوته ، فكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويُفريق المغشى عليه .

١٢٧  
١١

وكان إذا قرأ الزبور برز إلى البرية ، فيقوم ويقرأ ويقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه ، ويقوم الناس خلف العلماء ، وتقوم الجن خلف الناس ، وتقوم الشياطين خلف الجن ، وتدنو الوحوش والسباع حتى تؤخذ بأعناقها ، وتُظله الطير مصيخة ، ويركد المساء الجارى ويسكن الريح .

قال الثعلبي <sup>(٢)</sup> : وما صُنعت المزامير والبرابط والصُنوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس حسده وأشتد عليه أمره ، فقال لعفاريته : ترون ما دهاكم ؟ فقالوا : مُرنا بما شئت . قال : فإنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يُضاده ويُحاذيه <sup>(٣)</sup> في مثل حاله . فهياً المزامير والأعواد والأوتار والملاهي على أجناس أصوات داود — عليه السلام — فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها وأغترؤا بها .

ومنها : تسبيح الجبال والطيور معه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ <sup>(٤)</sup> 》 . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ <sup>(٥)</sup> وَالْأَشْرَاقِ <sup>(٦)</sup> 》 . يقال : إن داود كان إذا تخلل الجبال يسبح الله تعالى جعلت الجبال

(١) سورة النساء آية ١٦٣ (٢) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي المخطوطة . ومصيخة أى مصغية مستعمدة . وفي الأصل : « مسبحة » وهو تحريف .

(٣) البرابط : العيدان . (٤) يحاذيه : يعاديه . (٥) سورة سبأ آية ١٠ (٦) سورة ص آية ١٨

- تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح . ثم قال في نفسه ليلة من الليالي : لأعبدن الله عبادةً لم يُعبد مثلاً ، فصعد الجبل ، فلمّا كان في جوف الليل وهو على جبل داخلته وحشة ، فأوحى الله إلى الجبال : أن آتيني داود ، فأصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل . فقال داود في نفسه : كيف يُسمع صوتي مع هذه الأصوات ؟ فهبط عليه ملك وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر ، فوكّره برجله فانفرج له البحر ، فأنتهى إلى الأرض فوكّرها برجله فانفرجت له الأرض ، حتى انتهى إلى الحوت فوكّره برجله ، فأنتهى إلى الصخرة ، فوكّر الصخرة برجله ، فانفلقت فخرجت منها دودة تَدَشُّ<sup>(١)</sup> ، فقال : إن الله تعالى يسمع نَشِيش هذه الدودة في هذا الموضع . قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .
- ومنها : أن الله تعالى أكرمه بالحكمة وفصل الخطاب . قالوا : والحكمة : ١٠ الإصابة في الأمور . واختلفوا في فصل الخطاب ، قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : بيان الكلام . وقال ابن مسعود والحسن : المعنى علم الحكم والنظر في القضاء ، كان لا يتتبع في القضاء بين الناس . وقال عليّ بن أبي طالب — رضى الله عنه — : هو البيّنة على المدعى وأليمين على المدعى عليه . وقال كعب : الشهود والأيمان . وقال الشعبي : سمعتُ زيادا يقول : فصل الخطاب الذي أُعطي داود : أقما بعد . قال الأستاذ : وهو أقول من قالها .

- ومنها : السلسلة التي أعطاه الله إياها ، ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة إليه . قال الثعلبيّ : روى الضحاك عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : إن الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ، ورأسها عند محراب داود

(١) تنش : تصوّت .

(٢) يتتبع : يتردد .

حيث يُتَحَاكَم إليه، وكانت قُوَّتُهَا قُوَّةَ الْحَدِيدِ، وَلَوْنُهَا لَوْنُ النَّارِ، وَحَلَقُهَا مُسْتَدِيرَةٌ، مَفْصَلَةٌ بِالْجَوْهَرِ، مَدَسَّرَةٌ بِقُضْبَانِ اللَّؤْلُؤِ الرَّطْبِ، فَلَا يَحْدُثُ فِي الْهَوَاءِ حَدَثٌ إِلَّا صَلَصَلَتِ السَّلْسَلَةُ، فَيَعْلَمُ دَاوُدُ ذَلِكَ الْحَدَثَ؛ وَلَا يَلْمَسُهَا ذُو عَاهَةِ إِلَّا بَرِيءٌ، وَكَانَ عَلَامَةً دُخُولِ قَوْمِهِ فِي الدِّينِ أَنْ يَمْسُوهَا بِأَيْدِيهِمْ وَيَمْسَحُوا بِأَكْفِهِمْ عَلَى صُدُورِهِمْ. وَكَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، فَمَنْ تَعَدَّى عَلَى صَاحِبِهِ أَوْ أَنْكَرَهُ حَقًّا أَتَوْا السَّلْسَلَةَ، فَمَنْ كَانَ صَادِقًا مُحَقَّقًا مَدَّ يَدَهُ إِلَى السَّلْسَلَةِ فَنَالَهَا، وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا ظَالِمًا لَمْ يَنَلَهَا؛ فَكَانَتْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ.

قال : فَبَاغَيْنَا أَنْ بَعْضُ مَلُوكِهِمْ أَوْدَعَ رَجُلًا جَوْهَرَةً ثَمِينَةً، فَلَمَّا اسْتَرَدَّهَا مِنْهُ أَنْكَرَهُ ذَلِكَ، فَتَحَاكَمَ إِلَى السَّلْسَلَةِ، فَعَلِمَ الَّذِي كَانَتْ عِنْدَهُ الْجَوْهَرَةُ أَنَّ يَدَهُ لَا تَنَالُ السَّلْسَلَةَ، فَعَمِدَ إِلَى عُكَّازَةٍ فَتَقَرَّهَا ثُمَّ ضَمَّنَهَا الْجَوْهَرَةَ وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهَا حَتَّى حَضَرَ مَعَهُ غَرِيمُهُ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ، فَقَالَ لِمُصَاحِبِهَا : مَا أَعْرِفُ لَكَ مِنْ وَدِيعَةٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَتَنَاوَلِ السَّلْسَلَةَ، فَتَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ لِلنَّيْكَرِ : قِمِ أَنْتِ أَيْضًا فَتَنَاوَلَهَا، فَقَالَ لِمُصَاحِبِ الْجَوْهَرَةِ : إِلْزَمِ عُكَّازَتِي هَذِهِ حَتَّى أَتَنَاوَلَ السَّلْسَلَةَ. فَأَخَذَهَا وَقَامَ الرَّجُلُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ الَّتِي يَدَّعِيهَا عَلَيَّ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ فَقَرِّبْ مِنِّي السَّلْسَلَةَ. فَمَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوَلَهَا، فَشَكَ الْقِسْمُ وَتَعَجَّبُوا، فَأَصْبَحُوا وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تِلْكَ السَّلْسَلَةَ.

وقال الكسائي في خبر السلسلة : أوحى الله تعالى إلى داود أن ينصب سلسلة من حديد ويعلق فيها جرسا، ففعل ذلك ؛ وساق في خبرها نحو ما تقدم في أمر المحقق والمبطل .

٢٠ (١) كذا في التعليق . وفي الأصول : « حتى حضروا إلى السلسلة » .

قال : وجاء خَصِيان فَأَدْعَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ أَنَّهُ أَوْدَعَهُ جَوْهَرًا ، فَأَعْتَرَفَ بِهِ  
وَقَالَ : أَعَدْتُهُ إِلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ الْمُدَّعِي وَتَنَاوَلَ السِّلْسِلَةَ فَدَنَتْ مِنْهُ حَتَّى تَنَاوَلَهَا ، ثُمَّ قَالَ  
لِلْمُدَّعَى عَلَيْهِ : تَنَاوَلَهَا . وَكَانَ قَدْ أَخَذَ الْوَدِيعَةَ بِجَعْلِهَا فِي قَنَازَةٍ مَجْوُوفَةٍ ، فَتَنَاوَلَهَا لِلْمُدَّعَى  
وَقَالَ : الزَّمْ عَصَايَ هَذِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى السِّلْسِلَةِ فَدَنَتْ مِنْهُ حَتَّى كَادَ يَتَنَاوَلَهَا ،  
ثُمَّ أَرْتَفَعَتْ وَتَدَلَّتْ إِلَيْهِ مَرَارًا ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا ، فَقَالَ دَاوُدُ لِلْمُدَّعَى : لَعَلَّ هَذَا قَدْ سَلَّمَ  
وَدِيعَتَكَ لِأَهْلِكَ . فَرَجَعَ وَسَأَلَ أَهْلَهُ ، فَقَالُوا : مَا دَفَعَ إِلَيْنَا شَيْئًا . فَعَادَ وَأَعْلَمَ دَاوُدُ ،  
فَأَخَذَ دَاوُدَ الْقَنَازَةَ وَشَقَّهَا . فَطَلَعَتْ الْوَدِيعَةُ مِنْهَا ، وَارْتَفَعَتْ السِّلْسِلَةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قال الثعلبي : وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إذا اشتبه عليه  
أمر الخصمين قال : ما أحوجكم إلى سلسلة بنى إسرائيل؟ كانت تأخذ بعنق الظالم  
فتجذره إلى الحق جراً . والله أعلم بالصواب .

ومنها : القُوَّةُ فِي الْعِبَادَةِ وَشِدَّةُ الْأَجْتِهَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ  
ذَا الْأَيْدِ <sup>(١)</sup> ﴾ ، أَى الْقُوَّةُ فِي الْعِبَادَةِ ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أَى تَوَابٌ مُطِيعٌ مَسْبُوحٌ .

وكان داود يقوم الليل ، ويصوم يوماً ويُفطر يوماً ، وما مرَّت ساعةٌ من الليل  
إلا وفيها من آل داود قائم يصلي ، ولا يومٌ من الأيام إلا وفيه منهم صائم .

ومنها : قُوَّةُ الْمُلْكَةِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ <sup>(٢)</sup> ﴾ أَى قُوَّتَيْنَاهُ ، وَقَرَأَ  
الْحَسَنُ : ( وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ) بِالنَّشْدِيدِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ أَشَدَّ مُلُوكِ الْأَرْضِ  
سُلْطَانًا ، كَانَ يَحْرُسُ مَحْرَابَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَةً وَثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ . وَقَالَ السُّدِّيُّ :  
كَانَ يَحْرُسُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ .

(١) سورة ص آية ١٧

(٢) سورة ص آية ٢٠

وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلا من بني إسرائيل استعدي<sup>(١)</sup> على رجل من عظمائهم عند داود، فقال المستعدي: إن هذا قد غصبني بقرى. فسأل داود الرجل فجحدته، وسأل الآخر البيّنة فلم تكن له بيّنة، فقال لها داود: قوما حتى أنظر في أمركما. فقاما من عنده، فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا [واستعجل حتى أتيت<sup>(٢)</sup>] فأوحى الله تعالى إليه مرة ثانية أن يقتله [فقال: هذه رؤيا، فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله<sup>(٣)</sup>] أو تأتيه العقوبة من الله. فأرسل داود إلى الرجل فقال: إن الله تعالى قد أوحى إليّ أن أقتلك. فقال: تقتلني بغير بيّنة ولا تثبت؟. فقال نعم، والله لأنفذ أمر الله فيك. فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: لا تعجل حتى أخبرك. إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكنني [كنت<sup>(٢)</sup>] اغتلت<sup>(٣)</sup> والد هذا فقتلته. فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيئته عند بني إسرائيل واشتد ملكه.

ويقال: كان لداود إذا جلس للحكم عن يمينه ألف رجل من الأنبياء، وعن يساره ألف رجل من الأحرار.

ومنها: شدة البطش. فروي أنه ما فتر ولا آنحاز من عدوله قط، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن داود عليه السلام: "كان يصوم يوما ويفطر يوما"<sup>(٤)</sup>.

(١) في نسخة التعلي المخطوطة والمطبوعة: « بقرى ».

(٢) الكلمة عن التعلي.

(٣) في نسخة التعلي المطبوعة: « ولد ».

(٤) هذا الحديث ورد في الأصاين في هذا الموضع ولا محل له في الكلام هنا، وقد خات منه نسختنا التعلي المخطوطة والمطبوعة، وكان الأولى أن يذكره أثناء كلامه على داود في قوة العبادة وشدة الاجتهاد.

ومنها : إلهة الحديد له . قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ <sup>(١)</sup> ﴾ . قالوا : وكان سبب ذلك أن داود — عليه السلام — لما ملك أمر بني إسرائيل ، كان من عادته أن يخرج للناس متنكرا ، فإذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم إليه وسأله ، فيقول له : ما تقول في داود واليكم هذا ؟ أى رجل هو ؟ فيثنون عليه ويقولون خيرا ، فبينما هو ذات يوم إذ قبض الله له ملكا في صورة آدمي ، فتقدم داود إليه ، فسأله على عادته ، فقال له : نعم الرجل هو لولا خصلة فيه . فراع داود ذلك ، فقال : ماهي يا عبد الله ؟ قال : إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال . قال : فتنبه داود لذلك ، وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال ، فألآن الله له الحديد ، فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول ، فكان يصرفه بيده كيف شاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد .

وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح . وقيل : إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف ، فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ <sup>(٢)</sup> ﴾ الآية . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ ﴾ أى دروعا كوامل واسعات ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ ﴾ ، أى لا تجعل المسامير دقاقا فتنفلق ، ولا غلاظا فتكسر الحلق . فكان يفعل ذلك حتى جمع منه مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود وهو يعمل الدروع ، فعجب من ذلك ولم يدر ما هو ؟ فأراد أن يسأله ، فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع ، فقام وصحبها على نفسه وقال : نعم القميص هذا للرجل المحارب . فعلم لقمان ما يراد به ، فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله . والله أعلم .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٠

(١) سورة سبا آية ١٠

## ذكر خبر داود عليه السلام حين أُبْتُلِيَ بِالْخَطِيئَةِ

قال الثعلبيّ - رحمه الله - : اختلف العلماء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود - عليه السلام - فقيل : إنه تمنّى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه نحو الذي كان يمتحنهم به ، ويعطيه من الفضل نحو الذي أعطاهم . قال : وروى السُّدِّيّ والكلبيّ ومقاتيل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : كان داود - عليه السلام - قَسَمَ الدهرَ ثلاثة أيام : يوماً يَقْضِي فيه بين الناس ، ويوما لعبادة ربه ، ويوما يخلو فيه بنسائه وأولاده وأشغاله ؛ وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - فقال : يا ربّ إن الخير كلّهُ ذهب به آبائي الذين كانوا من قبلي . فأوحى الله تعالى إليه : أنهم ابتلوا ببلايا لم تُبْتَل بها فصبروا عليها ؛ أُبْتُلِي إبراهيم بالثرود وبذبح ابنه ؛ وأُبْتُلِي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره ، وأُبْتُلِي يعقوب بالحزن على يوسف ، وإنك لم تُبْتَل بشيء من ذلك . فقال داود عليه السلام : ربّ فأبتلاني بمثل ما أبتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم . فأوحى الله تعالى إليه : إنك مُبْتَلِي في شهر كذا في يوم كذا فأحترس . فلمّا كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل داود محرابه وأغلق بابه ، وجعل يصليّ ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان ، تمثّل له في صورة حمامة من ذهب ، فيها من كل لونٍ حسن ؛ فوقعت بين رجليه ، فمَدَّ يده ليأخذها . وفي بعض الروايات : « ليدفعها إلى ابن له صغير » ، فلمّا أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها ؛ فامتد إليها ليأخذها ، فتنحّت ، فتبعها فطارت حتى وقعت [في كُوّة<sup>(٢)</sup>] ، فذهب ليأخذها

(١) كذا في الثعلبي . وفي الأصلين : « أقسام » .



فطارَت من الكُوَّة ؛ فنظر داود عليه السلام أين تقع فيبعثُ إليها من يصيدها ؛ فأبصرَ امرأةً في بستانٍ على شطِّ بركةٍ لها تغتسل ، هذا قول الكلبي . وقال السُّدي : رآها تغتسل على سطح لها . وقال الكسائي : سقط الطائر على شجرة إلى جانب الحوض الذي تغتسل فيه نساءُ بني إسرائيل . قالوا : فرأى داودُ امرأةً من أجمل النساء خلقاً ، فعجب من حُسْنها ، وخانت منها التفاتةً ، فأبصرت ظلّه ، فنفضت شعرها فتغطى بدنّها ، فزاده ذلك إعجاباً بها ؛ فسأل عنها ، فقيـل هي بثّـايـع بنتُ سـالغ<sup>(١)</sup> ، امرأةُ أُورِيّا بن حنّان ، وزوجها في غزاةٍ بالبلقاء<sup>(٢)</sup> بعث مع يـوأب ابن صـروية ابن أخت داود ، فكتب داود إلى ابن أخته : أن أبعث أُورِيّا إلى موضع كذا وكذا ، وقدمه قبل التابوت ؛ وكل من قُدّم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع وراءه [ حتى يفتح الله على يديه<sup>(٤)</sup> ] أو يُستشهد ، فبعثه أيوب . وقدمه ، ففتح له ، فكتب إلى داود بذلك ؛ فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو كذا وكذا . فبعثه ، ففتح له ؛ فكتب إلى داود بذلك ، فكتب إليه أيضاً : أن أبعثه إلى عدو كذا أشدّ منه بأساً . فبعثه ؛ فقتل في المرة الثالثة . فلمّا أنقضت عدّة المرأة تزوّجها داود — عليه السلام — وهي أم سليمان عليه السلام .

وقال آخرون : كان سببُ امتحانه أن نفسه حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير

مقارفة سوء .

(١) كذا في قصص الأنبياء للعلبي المخطوطة ، وفي المطبوعة « سايغ بنت شائع » . وفي الكتاب

المقدس (ج ١ ص ١٥٧) : « بثّايغ بنت أليعام » . وفي الأصول : « ميشايغ بنت سايغ » .

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى . قصبها عمان .

(٣) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٣) . وفي الأصول : « أيوب بن صوريا » .

وانظر الحاشية رقم ٣ ص ٧١ من هذا الجزء :

(١) وقد رَوَى الثعلبي في ذلك بسند [سعيد بن] مطر عن الحسن قال : إن داود عليه السلام — جزأ الدهرَ أربعة أجزاء : يوماً للنساء ، ويوما للعبادة ، ويوما للقضاء بين الناس ، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُسبِّحونهم ويُسبحونه . فلَمَّا كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا ؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيُطيق ذلك . فلَمَّا كان يومُ عبادته غلق أبوابه ، وأمر ألا يدخل عليه أحد ، وأكبَّ على قراءة الزبور ، فبينما هو يقرأ إذا حمامة من ذهب فيها من كل لونٍ حَسَن وقد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، فطارت فوقعت غير بعيد ، ولم تؤيسه من نفسها ، فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها ، فلَمَّا رأت ظلّه في الأرض جالت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه : أن سر إلى مكان كذا وكذا — مكان إذا سار إليه قُتل ولم يرجع — ففعل ، فأصيب . فخطبها داود وتزوجها .

١٣٠  
١١

وقال بعضهم في سبب ذلك ما رواه أبو إسحاق بسنده عن قتادة عن الحسن قال : قال داود — عليه السلام — لبني إسرائيل حين ملك : والله لأعدين بينكم . ولم يستثن ؛ فأبطل .

وقال أبو بكر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة ، فأعجب بعمله وقال : هل في الأرض أحدٌ يعمل عملي ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله عز وجل يقول : أُعْجِبْتَ بعبادتك والعجب

(١) التكملة عن الثعلبي .

(٢) كذا في قصص الأنبياء للثعلبي . وفي الأصل : « بني إسرائيل » .

يا كل العباد ، فإن أُعْجِبْتَ ثانياً وَكَلْتُكَ إلى نفسك . فقال : يا ربِّ كَلْنِي إلى نفسى سنة . قال : إنها لكثيرة . قال : شهرا . قال : إنه لكثير . قال : فأسبوعا . قال : إنه لكثير . قال : فيوما . قال : إنه لكثير . قال : فساعة . قال : فشأنك بها . فركل الأحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه ، فبينما هو فى نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه ؛ وكان من أمر المرأة ما كان .

قالوا : فلمّا دخل داود عليه السلام بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيرا حتى بعث الله عز وجل ملكين فى صورة إنسيين ، يطلبان أن يدخلّا عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، فمنعهما الحرس أن يدخلّا عليه ؛ فتسوّرا المحراب عليه ، فما شعر وهو يصلى إلا وهما بين يديه جالسان ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصِمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشِطْطِ<sup>(١)</sup> ﴾ أى تجرُ ﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ \* ﴾ أى وسط الطريق ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةً ﴾ كنى بالنعاج عن النساء ؛ والعرب تفعل ذلك . ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ . قال ابن عباس : أعطنيها . وقال ابن جبير عنه : تحوّل لى عنها . وقال أبو العالية : ضمّها إلى حتى أكفلها . وقال ابن كيسان : إجعلها كفى ، أى نصيبى . ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ<sup>(٢)</sup> ﴾ أى غلبنى . وقرأ عبيد بن عمير : وعازنى ، من المعازاة ، وهى المغالبة . قال داود : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ ﴾

(١) سورة ص آية ٢١

(٢) سورة ص آية ٢٢

- أى الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ .  
وروى السُّدِّيُّ أَنَّ أَحَدَهُمَا لَمَّا قَالَ : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ الآية ، قال داود — عليه السلام — للآخر : ما تقول ؟ قال : إن لي تسعا وتسعين نعمة ولأخي هذا نعمة واحدة ، وأنا أريد أن آخذها منه فأكمل نعاي مائة وهو كاره . قال داود : وهو كاره ؟ قال نعم . قال : إِذَا لَا نَدْعُكَ وَذَلِكَ ، وَإِنْ رُمْتَ ذَلِكَ ضَرْبُنَا مِنْكَ هَذَا وهذا ، يعنى طَرَفَ الأنفِ وأصل الجبهة . فقال : يا داود ، أنت أحقُّ أَنْ يُضْرَبَ مِنْكَ هَذَا وَهَذَا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورِيَاءَ إِلَّا امرأةٌ واحدة ، فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِلَ وتزوجت امرأته . فنظر داود — عليه السلام — فلم يرَ أحداً ، فعرف ما قد وقع فيه ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ﴾ أى أيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَاهُ﴾ أى ابتليناه . قال سعيد بن جبّير : إنما كانت فتنة داود النظر . قال الثعلبيّ : ولم يتعمد النظر إلى المرأة ، ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه .  
قال : فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان الله تعالى داود عليه السلام . وقد روى عن عليّ بن أبي طالب — رضى الله عنه — قال : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصّاص معتقدا صحته جلدته حدّين لعظيم ما أرتكب وجليل ما احتقّب من الوزر والإثم ، يرمى مَنْ قد رفع الله محله وأنا به من خلقه رحمة للعالمين وحجةً للجهتهدين » ! .

وقال القائلون بتنزيه المرسلين فى هذه القصة : إن ذنب داود — عليه السلام — إنما كان أنه تمنى أن تكون له امرأةٌ أورِيَاءَ حلالاً له ، وحدث نفسه بذلك ، فأتفق

(١) سورة ص آية ٢٤

(٢) وذلك مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وعليك الأخيرة » .

(٣) احتقّب الشيء : احتمله خلفه . ويريد هنا اكتسب الإثم .

غَزَوْ أَوْرِيَاءَ وَتَقَدَّمَهُ فِي الْحَرْبِ وَهَلَكَ . فَلَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَوَجَّعْ لَهُ  
 كَمَا [كَانَ] <sup>(١)</sup> يَجْزَعْ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ جُنْدِهِ إِذَا هَلَكَ ، [وَوَافَقَ قَتْلَهُ مُرَادَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ أَمْرَأَتَهُ  
 فَعَاتَبَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذُنُوبَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ صَغُرَتْ] <sup>(١)</sup> فَهِيَ عَظِيمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَنْبُ دَاوُدَ أَنْ أَوْرِيَاءَ كَانَ قَدْ خَاطَبَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ وَوَطَّنَ نَفْسَهُ  
 عَلَيْهَا ، فَلَمَّا غَابَ فِي غَزَايَاهُ خَاطَبَهَا دَاوُدُ ، فَتَزَوَّجَتْ مِنْهُ بِحُلَالَتِهِ ، فَأَغْتَمَّ لِذَلِكَ أَوْرِيَاءَ  
 غَمًّا شَدِيدًا ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ، حَيْثُ لَمْ يَتْرِكْ هَذِهِ الْوَاحِدَةَ لَخَاطِبِهَا  
 الْأَوَّلِ ، وَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ تَسْعٌ وَتَسْعُونَ أَمْرًا .

قَالُوا : فَلَمَّا عَلِمَ دَاوُدَ أَنَّهُ أَبْتُلِيَ سَجَدَ فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً سَاجِدًا بَاكِيًا حَتَّى نَبَتَ  
 الزَّرْعُ مِنْ دَمُوعِهِ ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ : رَبِّ دَاوُدَ  
 زَلَّ دَاوُدُ زَلَّةً أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، رَبِّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعُفَ دَاوُدُ وَتَغْفِرْ  
 ١٠ ذَنْبَهُ جَعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فِي الْخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ . بِخَاءِ جَبْرِيلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —  
 بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَالَ : يَا دَاوُدَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَكَ الْهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ .  
 فَقَالَ دَاوُدُ : عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ  
 لَا يَمِيلُ ، فَكَيْفَ بَقُلَانِ إِذَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ : يَا رَبِّ ، دَمِيَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ؟  
 فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا سَأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَنْ شِئْتَ لِأَفْعَلَنَّ . قَالَ نَعَمْ . فَعَرَّجَ  
 ١٥ جَبْرِيلُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَسَجَدَ دَاوُدُ فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ جَبْرِيلُ فَقَالَ :  
 قَدْ سَأَلْتُ يَا دَاوُدَ رَبَّكَ عَنِ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي فِيهِ فَقَالَ : قُلْ لِدَاوُدَ : إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ لَهُ : هَبْ لِي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ، فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ يَا رَبِّ ،  
 فَيَقُولُ : فَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا أَشْتَهَيْتَ عَوَضًا .

١٣١  
١١

وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِسَبْنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَكُتِبَ الْأَحْبَارُ وَوَهَبَ بَنُ مُنْبَهٍ ،  
 قَالُوا جَمِيعًا : إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ فَقَضَى  
 عَلَى نَفْسِهِ تَحَوُّلًا عَنْ صَوْرَتِهِمَا ، فَعَرَجَا وَهَمَّا يَقُولَانِ : قَضَى الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ .  
 وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّهُ عُثِيَ بِهِ ، نَخَّرَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَرْفَعُ  
 رَأْسَهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ أَوْ لَوْثِ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ثُمَّ يَعُودُ سَاجِدًا ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ  
 إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا يَدَّ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُ ، فَسَجَدَ تَمَامَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ  
 وَهُوَ يَبْكِي حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ حَوْلَ رَأْسِهِ ، وَهُوَ يَنَادِي رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -  
 وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ ، وَيَدْعُو بِدَعَاءٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ <sup>(١)</sup> ، فِي آخِرِ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهُ :  
 سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ .

١٠ قال : فَاتَاهُ نِدَاءٌ : يَا دَاوُدُ ، أَجَائِعُ أَنْتَ فَتُطْعَمَ ، أَظْمَآنُ أَنْتَ فَتُسْقَى ، أَمْظَلُومُ  
 أَنْتَ فَتُنْصَرَ ، وَلَمْ يَجِبْهُ فِي ذِكْرِ خَطِيئَتِهِ شَيْءٌ . فَصَاحَ صَيِّحَةً هَاجَ مِنْهَا مَا حَوْلَهُ ،  
 ثُمَّ نَادَى : يَا رَبَّ الذَّنْبِ الَّذِي أَصِيبْتُهُ . فَنُودِيَ : يَا دَاوُدُ ، اِرْفَعْ رَأْسَكَ فَقَدْ غُفِرَتْ  
 لَكَ . فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَفَعَهُ .

١٥ قال وَهَبٌ : إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَتَاهُ نِدَاءٌ : إِنِّي قَدْ غُفِرْتُ لَكَ .  
 قال : يَا رَبِّ ، كَيْفَ وَأَنْتَ لَا تَنْظِمُ أَحَدًا؟ قال : اذْهَبْ إِلَى قَبْرِ أُورِيَاءَ ، فَنَادِهِ وَأَنَا  
 أَسْمِعُهُ نِدَاءَكَ ، فَتَحَلَّلْ مِنْهُ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَبْرَهُ وَقَدْ لَبَسَ الْمُسُوحَ ، فَخَلَسَ  
 ثُمَّ نَادَى : يَا أُورِيَاءَ . فَقَالَ : لَبَّيْكَ ، مَنْ هَذَا الَّذِي قَطَعَ عَلَيَّ لَذَّتِي وَأَيَقُظْنِي؟ قال :  
 أَنَا دَاوُدُ . قال : مَا جَاءَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِمَّا كَانَ مِنِّي  
 إِلَيْكَ . قال : وَمَا كَانَ مِنْكَ إِلَيَّ؟ قال : عَرَّضْتُكَ لِلْقَتْلِ . قال : عَرَّضْتَنِي لِلْجَنَّةِ ،

٢٠ (١) سَيَأْتِي فِي الصَّفْحَةِ الثَّالِيَةِ بَعْضُ هَذَا الدَّعَاءِ .

فَأَنْتَ فِي حَلٍّ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا دَاوُدَ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي حَكَمْتُ عَدْلًا لَا أَقْضِي بِالْغَيْبِ وَالتَّغْيِيرِ ! <sup>(١)</sup> أَلَا أَعْلَمْتَهُ أَنَّكَ قَدْ تَزَوَّجْتَ أَمْرَأَتَهُ ! .

قال : فرجع إليه فناداه ؛ فأجابه فقال : مَنْ هَذَا الَّذِي قَطَعَ عَلَيَّ لَذَّتِي ؟ قال :  
أنا داود . قال : يا نبي الله ، أليس قد عفوتُ عنك ! قال : نعم ، ولكن إنما فعلتُ  
ذلك لِمَكَانِ أَمْرَأَتِكَ فَتَزَوَّجْتَهَا ، فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِبْهُ ، وَعَاوَدَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ عِنْدَ قَبْرِهِ  
وَحُثَا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ نَادَى : الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ لِدَاوُدَ إِذَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ <sup>(٢)</sup>  
الْقِسْطُ [ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ] ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ لَهُ حِينَ  
يُؤْخَذُ بِذَنْبِهِ فَيُدْفَعُ إِلَى الْمَظْلُومِ ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ  
لَهُ حِينَ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مَعَ الْخَاطِئِينَ إِلَى النَّارِ ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ . الْوَيْلُ لِدَاوُدَ  
ثُمَّ الْوَيْلُ الطَّوِيلُ لَهُ حِينَ تَقْرُبُهُ الزَّبَانِيَةُ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَى النَّارِ ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ .  
قال : فَأَنَاهُ نِدَاءً مِنَ السَّمَاءِ : يَا دَاوُدَ ، قَدْ غَفَرْتُ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَرَحِمْتُ بِكَاءَكَ ،  
وَأَسْتَجِبْتُ دُعَاءَكَ ، وَأَقْلَتُ عَثْرَتَكَ . قال : يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ تَعْفُوَ عَنِّي وَصَاحِبِي  
لَمْ يَعْفُ عَنِّي ؟ قال : يَا دَاوُدَ ، أُعْطِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَمْ تَرَعْينَاهُ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أَذْنَاهُ ،  
فَأَقُولُ لَهُ : رَضِيتَ عَبْدِي ؟ نَقُولُ : يَا رَبِّ ، مِنْ أَيْنَ لِي هَذَا وَلَمْ يَبْلُغْهُ عَمَلِي ؟  
فَأَقُولُ لَهُ : هَذَا عِوَضٌ مِنْ عَبْدِي دَاوُدَ ، فَأَسْتَوْهَبُكَ مِنْهُ فَيَهْبُكُ لِي . قال : يَا رَبِّ ،  
الآنَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ قَدْ غَفَرْتَ لِي . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَغْفِرْ رَبِّهِ وَخَرَّ  
رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ، أَيْ ذَلِكَ الذَّنْبُ ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ  
مَآبٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> أَيْ وَإِنَّ لَهُ بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنَ مَرْجِعٍ .

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ التَّلْغِي الْمَخْطُوطَةِ . وَفِي الْمَطْبُوعَةِ : « إِلَّا بِالْحَقِّ » . وَفِي الْأَصُولِ : « بِالتَّعْنَتِ » .

(٢) كَذَا فِي التَّلْغِي . وَفِي الْأَصُولِ : « وَجَعَلَ التُّرَابَ » .

(٣) التَّكْمِلَةُ عَنْ نَسْخَةِ التَّلْغِي الْمَطْبُوعَةِ . (٤) أَيْ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ .

(٥) سُورَةُ ص آيَةُ ٢٤ (٦) سُورَةُ ص آيَةُ ٢٥

قال الثعلبيّ ورفعه إلى وهب بن منبه قال : إن داود — عليه السلام — لما تاب الله تعالى عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعاً ليلاً ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة ، فقسّم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام ، فجعل يوماً للقضاء بين بني إسرائيل ، ويوماً لنسائه ، ويوماً يسبح في الفياق والحبال والساحل ، ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب ، فيجتمع إليه الرهبان ، فينوح معهم على نفسه ، ويساعدونه على ذلك . فإذا كان يوم سياحته يخرج في الفياق ، فيرفع صوته بالمزامير ، فيبكي وتبكي معه الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الساحل فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطير الماء ، فإذا أمسى رجع ، فإذا كان يوم نوحه نادى مُنادٍ : إن اليوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده . قال : فيدخل الدار التي فيها المحاريب ، فتبسط له فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ، ويجيء الرهبان وهم أربعة آلاف ، عليهم البرانس وفي أيديهم العصي ، فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالنوح والبكاء ، ويرفع الرهبان معه أصواتهم ، فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ، ويقع داود مثل الفرخ يضطرب ، فيجيء ابنه سليمان فيحمله ، فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ، ثم يمسح بها وجهه ويقول : يارب اغفر ما ترى . قال : فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله . وقال ثابت : ما شرب داود شراباً بعد المغفرة إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه . وعن الأوزاعي قال : بلغنا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : ” خدت الدموع في وجه داود — عليه السلام — خديد الماء في الأرض “ .



### ذكر ميلاد سليمان بن داود عليهما السلام

- قال الكسائي: كان لداود — عليه السلام — عِدَّةٌ من الولد، فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدًا يرث مُلْكَهُ ، فرزقه الله تعالى سليمان . فنودي إبليس عند ما حَمَلَتْ به أمه : ياملعون ، قد حُمِلَ في هذه الليلة رجل يكون طولُ حزنك على يديه ، ويكون أولادك له خُدَّامًا . ففزع من ذلك وجمع الشياطين وأخبرهم بأمر المولود وما سمعه وقال : إنه لا يكون إلَّا من داود، فإنه خيرُ أهل الأرض .
- قال : فلما وضعته أمه أنت الملائكةُ إلى داود وقالوا : أقتر الله عينك به .
- فبادر داود إلى منزله فرأى أعلام الملائكة منصوبةً ، نخز داود شكرًا لله تعالى، وقرب قُرْبَانًا عظيمًا . ثم جاءه إبليس وقال : يا داود، أقتر الله عينك بولدك ، غير أنه يقتلك ويسلبك مُلْكَكَ ، فأقتله صغيرًا وإلا قتلك كبيرًا ، فغضب منه واعدنه ،
- فأنصرف وقد خاب أمله .

قال : ونشأ سليمان ، فكان داود إذا تلا الزبور حفظ ما يتلوه لوقته ، وحفظ التوراة، وكان يحكم بحضرة أبيه .

### ذكر خبر أنشالوم بن داود

- قال الكسائي: كان من خبر « أنشالوم »<sup>(١)</sup> أنه لما كان من أمر فتنة داود — عليه السلام — ما قدمناه، تكلم بعضُ بني إسرائيل في ذلك وجاءوا إلى « أنشالوم » وهو ابن بنت طالوت ، وقالوا : إن أباك قد كبر وعجز عن سياستنا ، وقد وقع

(١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٥) . وفي تاريخ الطبري (ص ٧٠ هـ من القسم الأول) « أنشا » وفي قصص الأنبياء للنعلي : « شالون » وقيل « إيشا » . وفي قصص الأنبياء للكسائي : « أنشالوم » . وفي الأصل : « إيشالوم » .

في هذه الخطيئة، وأنت أكبر أولاده، والرأى أن ندعو الناس إليك وتقوم مقامه، فتبيع رأيهم وتولى الملك. نخاف داود على نفسه من سفهاء بني إسرائيل، ففارق منزله واعتزل القوم برجلين من أصحابه. ثم جاء رجل من بني إسرائيل اسمه أحيثوفل<sup>(١)</sup> إلى أبشالوم وقال: إنه لا يستقيم أمرك إلا بعد وفاة أبيك، والرأى أن تعاجله وتقتله ما دام في الخطيئة، فهم بذلك ثم صرفه الله عنه. فلما غفر الله تعالى لداود ورجع إلى قومه اعتزل أبنه «أبشالوم» في طائفة من بني إسرائيل. فلما ولد سليمان أرسل داود ابن أخه<sup>(٢)</sup> له يقال له: «يؤاب»<sup>(٣)</sup> إلى أبنه «أبشالوم» وقال: سر إليه فإنه اعتزلى خوفا على نفسه، وما كنت بالذى أقتل ولدى وقد تاب الله تعالى على ورزقنى هذا الولد المبارك، فإن ظفرت به فأنتى به مكرما، وإياك أن تقتله، فإنك إن قتله قتلته به. فسار إليه في نفر من أصحابه، فالتقوا وأقتلوا قتالا شديدا، فانهزم أبشالوم ومن معه. فبينما هو في هزيمته إذ مر بشجرة فعاق برنسه بها، وخرج الفرس من تحته، فأدركه يؤاب فحمله الحرج على قتله فقتله وتركه معلقا في الشجرة، ورجع إلى داود فأخبره الخبر، فغضب وقال: إني قاتلك به لا محالة عاجلا أو آجلا.

قال الثعلبي: فلما حضرت داود الوفاة أمر سليمان أن يقتله، فقتله بعد فراغه من دفن أبيه.

- (١) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٣٠). وفي الأصول: «نوفل».
- (٢) كذا في الأصول والكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٠٤). وفي الثعلبي: «ابن أخ» وهو خطأ.
- (٣) ورد هذا الاسم في الأصول وقصص الأنبياء للكسائي هكذا: «نوال». وفي قصص الأنبياء للثعلبي المطبوعة: «نواب». والتصويب عن الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٢٥) والنسخة المخطوطة من قصص الأنبياء للثعلبي. وهو «يؤاب بن صروية».
- (٤) الحرج: الضيق.

ذكر خبر الزرع الذي رعته الغنم وما حكم فيه سليمان عليه السلام

- قال الكسائي : وبينما داود — عليه السلام — في يوم قضائه وسليمان بين يديه ، إذ تقدم إليه قوم فقالوا : يا نبي الله ، إننا قوم حرثنا أرضا لنا وزرعناها وسقيناها حتى بلغت الحصاد ، فجاء هؤلاء وأرسلوا أغنامهم فيها بالليل ، فرعتها جميعا حتى لم يبق منها شيء . فقال داود لأصحاب الغنم : ما تقولون؟ قالوا : صدقوا . فقال لأصحاب الزرع : كم قيمة زرعكم؟ قالوا : كذا وكذا . وقال لأرباب الغنم : كم قيمة أغنامكم؟ فذكروا قيمتها ، فتقاربت القيم ، فقال : ادفعوا أغنامكم إليهم بقيمة زرعهم . فقال سليمان : يا أبت إن أدنت لي تكلمت . قال : يا بني تكلم بما عندك . فقال سليمان لأرباب الغنم : ادفعوا أغنامكم إلى هؤلاء ينتفعوا بأصوافها وألبانها ونتائجها ، وخذوا أنتم أرضهم فأحرثوها وأزرعوها وأسقوها حتى يقوم الزرع على سوقه ، فإذا بلغ الحصاد فسلموا إليهم أرضهم بزرعها وخذوا أغنامكم ، فرضوا جميعا بذلك . قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۝ ١٠ ﴾ .

- قال : ولما نظر مشايخ بني إسرائيل إلى جلوس سليمان عن يمين أبيه مع صغر سنه حسدوه على ذلك . فأوحى الله إلى داود أن يقيم سليمان خطيبا يسمعهم من الحكمة ما ألهمه الله ليعلموا فضله عليهم . فجمع داود الناس حتى العباد والرهبان وأهل السياحة إلى محرابه ، وكانت سن سليمان يومئذ اثنتي عشرة سنة ، فأخرجه داود إليهم وألبسه لباس النبيين من الصوف الأبيض وقال : هذا أبني قد أخرجته إليكم خطيبا ليُورد عليكم مما علمه الله تعالى . فجلس على منبر أبيه وحمد الله تعالى ووحده ، ووصف عجائب خلقه وصنعه ، فسجدوا شكرا لله ، ونظروا إليه بعد ذلك

ذكر خبر الذين أعتدوا في السبت

قال الكسائي : وكان في زمن داود — عليه السلام — قومٌ من بني إسرائيل من أبناء الذين كانوا مع موسى ؛ وكانوا يتزلون على ساحل البحر بقرية يقال لها : «أَيْلَة» <sup>(٣)</sup> وكان الله قد حرّم على بني إسرائيل أن يشتغلوا يوم السبت ، وأوجب عليهم فيه العبادة ؛ لأنّ موسى — عليه السلام — أمرهم بالعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا : لا ينبغي لنا أن نشغل بعبادة الرب إلا في اليوم الذي فرغ فيه من الخلق ، وهو يوم السبت . فلمّا اختاروه شدّد الله عليهم فيه ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> . وكان موسى يأمر قومه بتعظيمه ؛ فكانوا كذلك مدّة ، وكان على ساحل البحر إلى جانب أَيْلَة حَجْرَان أبيضان ، وكانت الحيتان تخرج إلى أصلهما ليلة السبت ويوم السبت ، لأنها كانت لا تصاد ، فإذا أقبلت ليلة الأحد

(۱) سورة البقرة آية ۶۵

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٣) أيلة : فرضة شهيرة في أودوم واقعة على شاطئ الخليج الشرق من البحر الأحمر، مر بها الاسرائيليون ، وكانت ذات شأن في زمن سليمان . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

- خرجت منهما إلى البحر، فيتعذر عليهم صيدها فيه إلا بمشقة؛ فذلك قوله تعالى :
- ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّاءَ يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ <sup>(١)</sup> ﴾ . فجعل فساق أهل « أيلة » يقول بعضهم لبعض : إنما حرم الله تعالى الأصطياد على آبائنا وأجدادنا لا علينا ، ونحن لا ذنب لنا ، وهذه الحيتان تكثر يوم السبت وليلتها ، فمن المحال تركها ؛ فأصطادوها وطبخوها وشـووا منها ، فشتم المؤمنون رائجتها .
- في يوم السبت ، نخرجوا إلى الفساق ووعظوهم وحذروهم ، فلم يكثرثوا لذلك ولم ينتهوا عنه ، فاجتمع المؤمنون على أبواب القرية بالسلاح ومنعوه من دخولها ، فأشتد ذلك على الفساق وشق عليهم أن يمتنعوا من الأصطياد في يوم السبت لكثرة الحيتان فيه دون غيره من الأيام ، فقالوا : إن هذه [ القرية ] <sup>(٢)</sup> مشتركة بيننا [ وبينكم ] <sup>(٢)</sup> ولا يحل لكم أن تمنعونا منها ، فإما أن تصبروا على أفعالنا أو تقاسمونا القرية فننفرد
- ١٠ عنكم . فراضوا على ذلك وقاسمهم القرية ، وبنوا بينهم حيطانا عالية وبابا يدخلون منه غير بابهم ، وأنفردت كل طائفة ، واشتغل الفساق باللهو واللعب والأصطياد ، وحفروا أنهارا صغارا من البحر إلى أبواب دورهم ، فكانت الحيتان تأتيها في يوم السبت ، فإذا غربت الشمس همت الحيتان بالرجوع إلى البحر ، فيسندون أفواه تلك الأنهار مما يلي البحر ، ويصيدون تلك الحيتان . هذا والمؤمنون
- ١٥ يخوفونهم عذاب الله فلا يرجعون . فلما طال ذلك وتكرر منهم قال بعض المؤمنين لبعض : إلى كم ننصح هؤلاء ولا يزيدون إلا تماديا وعتوا ! قال الله تعالى :
- ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهَاسِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا <sup>(٣)</sup> ﴾ الآية .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣

(٢) الكلمة عن الكسائي .

١٣٤  
١١

قال : وأستغنى الفساق وكثرت أموالهم ، وأشترؤا الضياع وأنهم مكؤا على الفسق .  
فبلغ ذلك داودَ — عليه السلام — فلعنهم ودعا عليهم . فبينما هم في منازلهم في شرِّ  
ما هم فيه إذ زلزلت قريتهم زلزلة عظيمة ، ففزع المؤمنون وخرجوا من بيوتهم ؛  
قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ  
ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .  
فالذين لعنوا على لسان داود هم هؤلاء الذين اعتدؤا في السبت ، والذين لعنوا على  
لسان عيسى الذين سألوه نزول المائدة ، فلما نزلت عليهم كفروا .

قال : فمسخ الله هؤلاء الذين اعتدؤا في السبت قردة ، ومسح أصحاب المائدة  
خنازير — وسندكر إن شاء الله خبر أصحاب المائدة في موضعه من أخبار عيسى  
عليه السلام — قال : فكان أحدهم يأتي حميمه من المؤمنين وعيناه تدرفان دما  
فيقول له : أنت فلان؟ فيشير برأسه ، أى نعم . فيقول لهم المؤمنون : قد أنذرناكم  
عذاب ربكم وعقوبته فلم تتعظوا ، فنزل بكم ما نزل .

قال الثعلبي قال قتادة : صارت الشبان قردة ، والشيخ خنازير ، فما نجا إلا  
الذين نهوا وهلك سائرهم . قال : ثم برز المسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم  
متحيرين ، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ، وكذلك لم يلبث مسخ فوق ثلاثة أيام ،  
ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ؛ ثم بعث الله تعالى عليهم ريحا ومطرا فمحقهم في البحر ،  
فإذا كان يوم القيامة أعادهم الله إلى صُورهم الأولى البشرية ، فسدخلهم النار .  
والله أعلم .

(١) سورة الأعراف آية ١٦٥ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٧ .

## ذكر استخلاف داودَ ابنه سليمانَ عليهما السلام

وخبِر الصحيفة وأبتداء أمر الخاتم

- قال الكسائي — رحمه الله — : ولما أتى على سليمان بضعٌ وعشرون سنة نزل جبريل على داود بصحيفة ، وأمره عن الله تعالى أن يجمع أولاده ويقرأ عليهم ما في الصحيفة من المسائل ، فمن أجاب عمّا فيها فهو الخليفة من بعده . فأحضر داود أولاده ، وكان سليمان أصغرهم سنّاً ، وقرأ عليهم ما في الصحيفة ، فأقروا بالعجز عن معرفتها ، وذلك بحضور مشيخة بني إسرائيل ، فقال داود — عليه السلام — لسليمان — عليه السلام — : أجب عن هذه المسائل . فقال : أرجو أن يهديني الله تعالى إلى جوابها . فقال : يا سليمان ، ما الشيء ؟ قال : المؤمن . قال : فما بعض الشيء ؟ قال : الفاجر . قال : فما لا شيء ؟ قال : الكافر . قال : فما كل شيء ؟ قال : الماء . قال : فما أكبر شيء ؟ قال : الشُّرك . قال : فما أقل شيء ؟ قال : اليقين . قال : فما أمرٌ شيء ؟ قال : الفقر بعد الغنى . قال : فما أحلى شيء ؟ قال : المال والولد . قال : فما أقبح شيء ؟ قال : الكفر بعد الإيمان . قال : فما أحسن شيء ؟ قال : الروح في الجسد . قال : فما أوحش شيء ؟ قال : الجسد بلا روح . قال : فما أقرب شيء ؟ قال : الآخرة [من الدنيا] <sup>(١)</sup> . قال : فما أبعد شيء ؟ قال : الدنيا من الآخرة . قال : فما أشمر شيء ؟ قال : المرأة السوء . قال : فما خير شيء ؟ قال : المرأة الصالحة .

- قال : وكان داود يصدّقه عقيب كل مسألة ، ثم ألقت إلى بني إسرائيل فقال : ما أنكرتم من قول أبي ؟ قالوا : ما أخطأ في شيء ، متعك الله به ، وبارك لنا ولك فيه . قال : أترضون أن يكون خليفتي عليكم ؟ قالوا نعم . هذا ما أورده الكسائي رحمه الله .

(١) الزيادة عن قصص الأنبياء للكسائي .

وقد ذكر الثعلبي في هذه القصة زيادات نذكرها . قال أبو إسحاق الثعلبي  
 — رحمه الله تعالى — قال أبو هريرة — رضى الله عنه — : نزل كتاب من السماء  
 مختوم بخاتم من الذهب على داود فيه ثلاث عشرة<sup>(١)</sup> مسألة ، فأوحى الله تعالى إليه أن  
 أسأل عنها ابنك سليمان ، فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك . قال : وإن داود  
 — عليه السلام — دعا سبعين قسيساً وسبعين حبراً ، ولم يذكر أولاده . قال :  
 وأجلس سليمان بين أيديهم وقال له : يا بُنَيَّ ، إن الله أنزل من السماء كتاباً فيه  
 مسائل ، وأمرت أن أسألك عنها ، فإن أخرجتها فأنت الخليفة من بعدى . قال  
 سليمان : أسأل يا نبي الله عما بدا لك ، وما توفيقى إلا بالله .

قال داود : أخبرنى يا بُنَيَّ ، ما أقربُ الأشياء ؟ وما أبعدُ الأشياء ؟ وما آنسُ  
 الأشياء ؟ وما أوحشُ الأشياء ؟ وما أحسنُ الأشياء ؟ وما أقبحُ الأشياء ؟ وما أقلُ  
 الأشياء ؟ وما أكثرُ الأشياء ؟ وما القائمات ؟ وما المختلفان ؟ وما المتباغضان ؟  
 وما الأمرُ الذى إن ركبهُ الرجل حمداً آخره ؟ وما الأمرُ الذى إن ركبهُ الرجل ذم  
 آخره ؟ .

قال سليمان : أما أقربُ الأشياء فالآخرة . وأما أبعدُ الأشياء فمافاتك من الدنيا .  
 وأما آنسُ الأشياء فبفسد فيه روح . وأما أوحشُ الأشياء فالجسد بلا روح . وأما  
 أحسنُ الأشياء فالإيمان بعد الكفر<sup>(٢)</sup> . وأما أقبحُ الأشياء فالكفر بعد الإيمان .  
 وأما أقلُ الأشياء فاليقين . وأما أكثرُ الأشياء فالشكر . وأما القائمات : فالسماء

(١) كذا في الأصول وقصص الأنبياء للثعلبي . غير أن الثعلبي قد ذكر في كتابه من المسائل أربع عشرة  
 مسألة ، ومن الأجوبة أربعة عشر جواباً ، فزاد في المسائل قوله : وما الساعيان ، وزاد في الأجوبة  
 قوله : وأما الساعيان فالشمس والقمر .

(٢) هذه عبارة الثعلبي في النسخة المخطوطة والمطبوعة . وفي الأصول : « فالروح في الجسد » وهو



والأرض . وأما المختلفان : فالليل والنهار . وأما المتباغضان : فالموت والحياة .  
وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمّد آخره فالحلم . وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل  
ذمّ آخره فالحدة عند الغضب .

- قال : ففكّوا الخاتم ، فإذا جواب المسائل سواءً على ما نزل من السماء . فقال  
القيسسيون والأخبار : لا نرضى حتى نسأله عن مسألة ، فإن هو أخرجها فهو الخليفة .  
قال : سلوه . قال سليمان : سلوني وما توفيقى إلا بالله . قالوا : ما الشيء الذي إذا  
صَلَحَ صَلَحَ كُلُّ شَيْءٍ من الإنساب ، وإذا فسد فسد كُلُّ شَيْءٍ منه ؟ قال : هو  
القلب . فقام داود وصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : إن الله  
أمرني أن أستخلف عليكم سليمان . قال : فضجّت بنو إسرائيل وقالوا : غلام  
حَدَثٌ يَسْتَخْلَفُ عَلَيْنَا وَفِينَا مَنْ هُوَ أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ مِنْهُ ! فبلغ ذلك داودَ ، فدعا رؤوس  
أسباط بني إسرائيل وقال : إنه بلغتني مقاتلتكم ، فأروني عَصِيَّتَكُمْ ، فأى عصا أثمرت  
فإن صاحبها ولى هذا الأمر [بعدى] ، فقالوا : قد رَضِينَا . بخاءوا بعصيتهم ، فقال  
لهم داود : ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه ، فكتبوا . ثم جاء سليمان بعصاه  
فكتب عليها اسمه ، ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسكّر بالأقفال ، وحرسه  
رؤوس أسباط بني إسرائيل . فلما أصبح صلب بهم الغداة ، ثم أقبل وفتح الباب  
وأخرج عَصِيَّتَهُمْ كما هي ، وعصا سليمان قد أثمرت وأورقت . قال : فسالموا ذلك  
لداود ، فأخذ ابنه سليمان ثم سار به في بني إسرائيل فقال : هذا خليفتي فيكم من  
بعدي .

- قال وهب بن منبه : لما استخلف داودُ ابنه وعظه فقال : يا بني ، إياك  
والهزل ، فإن نفعه قليل ويهيجُ العداوة بين الإخوان . وإياك والغضب ، فإن  
.....

وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برّاء. وأقطع طمعك عن الناس؛ فإنه هو الغنى. وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر. وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل. وعود نفسك ولسانك الصدق؛ وألزم الإحسان؛ فإن استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل. وصل صلاة مودّع، ولا تجالس السفهاء، ولا تردّ على عالم ولا تُماره في الدين. وإذا غضبت فألصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك. وأرج رحمة الله فإنها واسعة وسعت كل شيء.

قالوا: ثم إن سليمان بعد أن استخلف أخفى أمره وتزوج امرأة واستتر عن الناس، وأقبل على العلم والعبادة. ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأُمّي، ما أكل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلا أنك في مئونة أبي، فلو أنك دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ألا يخيبك الله. قال سليمان: إني والله ما عمّلت عملاً ولا أحسنه، ثم دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء، فرجع فأخبرها. فقالت له: يكون غدا إن شاء الله.

فلما كان في اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر وإذا هو بصياد، فقال له: هل لك أن أعينك وأعطيني شيئاً؟ قال نعم، فأعانه. فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين، فأخذهما وحمّد الله تعالى، ثم إنه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه وصره في ثوبه، وحمّد الله تعالى، وجاء بالسمكتين إلى منزله، ففرحت امرأته بذلك، فأخرج الخاتم [ولبسه في إصبعه]؛ فعكفت عليه

(١) كذا في نسختي الثعلبي المخطوطة والمطبوعة. وفي الأصول: «أبيك».

(٢) زيادة عن نسخة الثعلبي المطبوعة.

الطير والريح ، ووقع عليه بهاء الملك ؛ ولم يلبث أبوه أن مات . [ فلما ملك حمل المرأة وأبويها إلى إصطخر<sup>(١)</sup> ] .

وقد قيل في أمر الخاتم غير ذلك — على ما أورده الكسائي — وسنذكره إن شاء الله تعالى بعد هذا في أخبار سليمان عليه السلام .

### ذكر وفاة داود عليه السلام

قال الكسائي : كان داود — عليه السلام — شديد الغيرة على النساء ، ويُغلق الأبواب عليهن إذا خرج ، ويحمل المفاتيح معه . فقيل : إنه رجع يوما ففتح باب نسائه ، فرأى رجلا في داره ذا مهابة<sup>(٢)</sup> . فقال له داود — وغضب — : من أنت ؟ ومن أدخلك داري ؟ قال : أدخلني الدار من هو أولى بها منك ، أنا الذي لا أهاب الملوك . ولا يمنعني دونهم الحجاب والجنود ، وأفترق بين الجمع ، أنا ملك الموت . فأرتعد داود وقال : دعني أدخل إلى أهلي لأودعهم . قال : لا سبيل إلى ذلك يا داود . فبكى وقال : من لبني إسرائيل من بعدى ؟ قال : آبنك سليمان . قال : الآن طابت نفسي ، إمض لما أمرت به ، فقبض روحه — عليه السلام — وغسله سليمان وإخوته ، وكفنه بأكفان نزلت عليه من الجنة ، وحمله إلى قبره ،

١٥ (١) زيادة عن نسخة التعليق المخطوطة . وإصطخر : مدينة بفارس قرب مدينة برسبوليس (مدينة الفرس) التي كانت عاصمة تلك البلاد قديما . وهي واقعة في الشمال الشرقي من شيراز ، على ٣٥ ميلا منها في الطريق إلى أصفهان ؛ دخلها اسکندر المقدوني وحرق قصر ملوك الفرس فيها سنة ٣٣١ قبل الميلاد . وأسماها الآن « تشهيل منار » أي ذات الأربعين عمودا . (راجع معجم الخريطة التاريخية للملك الإسلامية للرحوم أمين واصف) .

٢٠ (٢) كذا في الكسائي . وفي الأصول : « في نهاية الجمال » .

ودُفن دون غار إبراهيم — عليه السلام — قال : وعكفت الطير على قبره أربعين يوما .

قال الشعبي في خبر وفاة داود : إن داود كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ، ويقبل داود على ورده في العبادة . فأغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام ، فرأت رجلا قائما في وسط الدار . فقالت : ما أدخلك هذه الدار ! فإن صاحبها رجل غيور ، نخذ حذرنا . فقال : أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن . فسمعه داود ، وكان في المحراب يصلي ، ففزع وأضطرب وقال : عليّ به ، فأتاه . فقال : ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ؟ ! فقال : أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن . قال : فأنت ملك الموت ؟ قال نعم . قال : أجمت داعيا أم ناعيا ؟ قال : بل ناعيا . قال : فهلا أرسلت إلى قبل ذلك وأذنتني لأستعد للموت ؟ قال : كم أرسلت إليك يا داود فلم تنبّه . قال : ومن كانت رسلك ؟ قال : يا داود ، أين أبوك إيشي ؟ وأين أهلك ؟ وأين أخوك ؟ وأين قهرمانك فلان ؟ قال : ماتوا كلهم . قال : أما علمت أنهم رُسلي ، وأن النوبة تبلُغك ! ثم قبضه .

قال أهل التاريخ : كان عمر داود مائة سنة ، ومدة ملكه أربعين سنة .

(١)  
وقد تقدم خبر آدم فيما وهب له من عمره .

(١) هنا ينتهي السفر الحادي عشر من هذا الكتاب من النسختين المأخوذتين بالتصوير الشمسي المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٩ و ٥٩٢ معارف عامة . وصورة ما جاء في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل السفر الحادي عشر على يد كاتبه نور الدين العاملي غفر الله له ولوالديه في تاسع عشر ذي القعدة سنة ٩٦٦ هـ » . وصورة ما ورد في النسخة الثانية : « كل السفر الحادي عشر من نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وذلك في مستهل شهر رجب الفرد سنة ٩٦٦ هـ على يد كاتبه الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ إبراهيم الجبرتي الحنفي ، غفر الله له ولوالديه آمين » .

### ذكر نبوة سليمان بن داود عليهما السلام وملكه<sup>(١)</sup>

- قال الكسائي - رحمه الله - : ولما قام سليمان - عليه السلام - من عزاء أبيه داود وتفرق الطير عن قبره ، دخل محراب أبيه ، فهبط عليه جبريل - عليه السلام - وقال له : إن الله تعالى يخصك بالسلام ويقول لك : المملك أحب إليك أو العلم ؟ . فخر سليمان ساجدا لله تعالى وقال : العلم أحب إلي من الملك ، لأنه أنفع الأشياء . فأوحى الله تعالى إليه : إنك تواضعت وأخترت العلم على الملك ، فقد وهبت لك العلم والمملك ، وأضفت إلى ذلك كمال العقل وزينة الخلق ، ونزعت عنك العجب<sup>(٢)</sup> ، وسأطوى لك الدنيا بأسرها حتى تطأها بجيشك وتشاهد عجائبها . فخر سليمان ساجدا لربه ، ورفع رأسه فإذا الرياح الثمانية قد وقفت بين يديه وقالت له : إن الله سخّرنا لك ، فاركبنا إذا شئت إلى أي موضع شئت . وأقبلت الوحوش والسباع فوقفت بين يديه وقالت : إن الله أمرنا بالطاعة لك . وأقبلت الطير وقالت : قد أمرنا أن نطّلك بأجنحتنا ولا نخالفك في أمر . وفوض الله - عز وجل - إلى سليمان أمر الدنيا شرقها وغربها .

### ذكر حشر الطير لسليمان بن داود عليهما السلام وكلامها له

- قال الكسائي : ولما آتاه الله النبوة والملك أحب أن يستنطق الطير ، فحشرت إليه ، فكان جبريل يحشر طير المشرق والمغرب من البر<sup>(٣)</sup> ، وميكائيل يحشر طير الهواء والجبال . فنظر سليمان إلى عجائب خلقها ، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه
- (١) ابتداء الجزء الثاني عشر من تجزئة الأصل . وقد افتتحه المؤلف بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٢) في الكسائي : « الشج » .
- (٣) في قصص الأنبياء للكسائي : « الأرض » .

ومعاشه فيخبره ، وكان بين يديه سبعة ألوية من ألوية الأنبياء ، يمسكها سبعة من الملائكة .

قال : ولما حُشِرَت الطيرُ له جاءتَه فَوْجًا فَوْجًا ؛ فسأمت عليه « الخطّافة »<sup>(١)</sup> بثلاث لغات وقالت : يا نبيّ الله ، أنا من آخِرتِني نوح وحملني في السفينة ، ومنّي تناسَل كلُّ خطّافة في الدنيا ، ودعا لي آدمُ وقال : إنك تُدركين من أولادى من خلافتُه مثلُ خلافتي ، تُحشَرُ إليه الوحوش والطيورُ والمردّة ، فإذا رأيته فأقرئيه منّي السلام . وقالت له : يا نبيّ الله ، إن معي سورةٌ تعجّب الملائكة من نورها ، ما أُعطيت لأحد من بنى آدم غير أبيك إبراهيم ، فإنها نزلت كرامةً له يوم ألقى في النار ، فهل لك أن تسمعها منّي ؟ قال نعم . فقرأت سورة ﴿ الْحَمْدُ ﴾ حتى بلغت ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ومدّت صوتها بآمين وسجدت ، وسجد معها سليمان عليه السلام .

ثم تقدّم « النّسر » وهو يومئذ في صورة عظيمة فقال : السلام عليك يا ملك الدنيا ، ما رأيْتُ مُدْكا أعظم من مُدْلك ، وإني صَحِبْتُ آدم وساعدته على كثرة حزنه ، وأنا أول من علِمَ بهبوطه إلى الأرض ، وكنتُ معه إلى أن تاب الله عليه وقال : إنه يكون من ذريتي من يحشر له الطير ، فإذا رأيته فأقرئني منّي السلام ؛ وقد أدتُ إليك وديعتَه ، فأصطنعني يا نبيّ الله ، فإني عليم بمعادن الأرض وجبالها ، ومعى آيةٌ عظيمة لا يفتُرُ لسانى عنها ، وهى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> . ثم سجد وسجد معه سليمان ؛ فلما رفع رأسه جعله سليمان ملكا على سائر الطيور .

٢٠ (١) في الكسائي : « بثلاث لغات باللغات التي سلمت بها على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام » .  
(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « مفاوز » .

ثم تقدّمت « العُقَاب »<sup>(١)</sup> فوقفت بين يديه وسلّمت عليه وقالت : يا نبيّ الله ،  
 إن الله حين خلّقني كنتُ أعظم خلقاً من هذا ، غير أن حُزني على هابيل يوم قتله قابيلُ  
 صيّرنِي إلى ما ترى . ولقد توخّشت الأرض والجبال يوم قُتِل . ومعى آية أعطانيها  
 ربّي ، وهى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾<sup>(٢)</sup> . ثم قالت : سلّطني على  
 من شئت ، فإنى قوية سمّية .

ثم تقدّمت « العنقاء » وهى يومئذ شديدة البياض ، وصدرها كالذهب  
 الأحمر ، ووجهها كوجه الإنسان ، ولها ذوائب كذوائب النساء ، ورجلان صفراوان ،  
 ولها تحت أجنحتها يدان ، فى كل يد ثلاثون إصبعا ، فوقفت بين يديه وسلّمت  
 وقالت : إن الله فضّلك على كثير من الملوك حين أبرزنى إليك فى صورتى هذه ،  
 فمرنى بما شئت ، فوالله ما نطقْتُ لأحد إلا لصفوة الله آدم ، فإنى وقفت بين يديه  
 وتعجّب من حسن صورتى ، وقال : ما أشبهك بطيور الجنان ! فمنذ كم خلّقك  
 ربك ؟ قلت : منذ أُلّنى عام . ثم تجتّرت بين يديه فقال : أيها الطائر ، إنك مُعجَبٌ  
 بخلّقك ، والعُجْب يهلك صاحبه ، لقد فاز المفلحون وخسر المبتطلون .

وللعنقاء خبر عجيب نذكره — إن شاء الله — فى آخر خبر الطير على ما تقف

عليه إن شاء الله تعالى .

ثم تقدّم « الغراب » فسلم وقال : يا نبيّ الله ، لقد فضّلك الله على كثير من ولد  
 آدم ، وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ، وإنى كنت أبيض

(١) العقاب : طائر من العنق مؤنثة ، وقيل : العقاب يقع على الذكر والأنثى إلا أن ية ولوا :

هذا عقاب ذكر .

(٢) سورة الأعلى آيتى ١٤ و ١٥

قبل ذلك ، فصرت كما ترى ، لما سمعتمهم يقولون : اتخذ الرحمن ولدا . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا . ولقد دعا إلى أبوك آدم ونوح بطول العمر ؛ وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء ، وهى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ <sup>(١)</sup> ﴾ .

٥ ثم تقدمت « الحمامة » فسلمت عليه وقالت : يا نبي الله ، أنا الحمامة التى اختارنى أبوك آدم لنفسه إلفا وأنيسا ، وكنت آنسُ به وبتسبيحه ؛ وكان اذا ذكر الجنة يصبح صيحة عظيمة ويقول : أترانى أرجع إليها؟ وإن لم أرجع إليها كنت من الخاسرين . وأعلم يا نبي الله أنه قد علمنى كلمات حفظتها عنه ، وهى : الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين . وقد أقبلتُ إليك طائعة لأمرك ، فمرنى بما شئت . ١٠

ثم تقدم « الهدد » فسلم عليه وسجد بين يديه وقال : ما أحببتُ أحدا كما أحببتك ، لأنى رأيت الدنيا ضاحكة لك ، وقد أعطاك الله ملكا عظيما ، فأتخذنى رسولا آتاك بالأخبار ، وأدلك على مواضع الماء . فقال له : أراك أكيس الطيور ، وأرى نخاخ بنى إسرائيل تصطادك ، ولا تغنى عنك كياستك شيئا . قال الهدد : يا نبي الله ، الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر ، وإن الله يضيف إلى عقل المخلوق سبعين ضعفا ثم ينفذ فيه حكمه وقضاه . قال : صدقت . ثم سجد بين يديه مرارا . ١٥

ثم تقدم إليه « الديك » وهو آخر من تقدم ، فوقف بين يديه وهو فى نهاية الحسن ، وضرب بجناحيه ، وصاح صيحة أسمع الملائكة والطيور وجميع من حضر



وقال في صياحه : يا غافلين اذكروا الله . ثم قال : يا نبي الله ، إني كنت مع أبيك آدم وكنت أوقفه أوقات الصلوات ، ومع نوح في الفلك ، ومع أبيك إبراهيم وكنت أسمعهم يقول : « اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتُعزّز من تشاء ، وتُذل من تشاء ، بيدك الخير إنيك على كل شيء قدير » . وأعلم يا نبي الله أني ما صحت صيحة إلا أفزعت بها الجن والشياطين .  
ففرح سليمان به وأمره أن يكون معه حيثما كان . ووقف كل طير بين يديه ، وفرغ من حشر الطيور وعرفها بأسمائها ومنطقها ، وكانوا يعبدون الله بالليل والنهار ، وكذلك الوحوش والسباع ، حتى عرّف كل واحد منهم باسمه وصفته ونعتة<sup>(١)</sup> .

### ١٠ ذكر خبر العنقاء في القضاء والقدر

قال أبو إسحاق الشعبي — رحمه الله تعالى — بسند رفعه إلى جعفر بن محمد الصادق قال : عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها : إنيك تأتين كذا ، وتفعلين كذا ، فقالت له : والله ربّ السماء والأرض ، إنا لنحرص على الهدى ، ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره . قال سليمان : صدقت ، لاحيلة في القضاء . فقالت العنقاء : لست أومن بهذا . قال لها سليمان : أفلا أخبرك بأعجب العجب ؟ قالت بلى . قال : إنه ولد الليلة غلام في المغرب ، وجارية في المشرق ، هذا ابن ملك

(١) هذه عبارة الكسائي في النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٦٦ أدب ، وعبارة الأصول : « قال : ولما فرغ من حشر الطير وعرفها بأسمائها ولغاتها وكانوا يأتونه بالليل والنهار ، وكذلك الوحوش والسباع حتى عرفها بأسمائها والله أعلم » .

وهذه بنت ملك ، يجتمعان في أمنع المواضع وأهولها على سفاح بقدر الله تعالى فيهما . قالت العنقاء : يا نبي الله ، وقد ولدا ؟ قال : نعم الليلة . قالت : فهل أخبرت بهما ؟ من هما وما أسميهما وأسم أبويهما ؟ قال : بلى ، اسمهما كذا وكذا ، وأسم أبويهما كذا وكذا . قالت : يا نبي الله ، فإني أفترق بينهما وأبطل القدر . قال : فإنك لا تقدرين على ذلك . قالت بلى . فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة . ومرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظاما ، ووجهها وجه إنسان ، ويدها وأصابعها كذلك ؛ فخلقت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا وأبصرت كل دار فيها ، وأبصرت الجارية في مهدها قد آحتوشتها الظئور والحوول ، فاختلست المهد والجارية وطارت ، ومرت حتى انتهت بها إلى جبل شاهق في السماء ، أصله في جوف البحر ، وعليه شجرة عالية في السماء ، لا ينالها طائر إلا يجهد ، لها ألف غصن ، كل غصن كأعظم شجرة في الأرض ، كثيرة الورق ، فآتخذت لها فيه وكرا عجيبا واسعا وطيبا ، وأرضعتها وآحتضنتها تحت جناحها ، وصارت تأتيها بأنواع الأطعمة والأشربة ، وتكنيها من الحر والبرد ، وتؤنسها بالليل ، ولا تخبر أحدا بشأنها ، وتغزو إلى سليمان وتروح إلى وكراها . وعلم سليمان بذلك ولم يبده لها ، وبلغ الغلام مبلغ الرجال ، وكان ملكا من ملوك الدنيا ، وكان يلهو بالصيد ويحبّه ويطلبه حتى نال منه عظيم . فقال يوما لأصحابه : كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد تمكنت من صيده ، فلوركبت البحر لأنال من صيده فإنه كثير الصيد كثير العجائب ! . فقال وزير من وزرائه : نعم ما رأيت ، وهو أكثر ما خلق الله صيدا . فأمره بجهازه ، وهيا السفن وجعل يختار من كل شيء يملكه ، وأخذ من الوزراء والندماء والمُشيرين والحواري والغلمان والطباخين والخبازين والبزاة والصقور وغير ذلك مما يريد ويشتيه من الملاهي

- والشراب ، وركب ومّر في البحر يتصيد ويتأذذ لا يعرف شيئا غير ذلك ، حتى سار مسيرة شهر ، فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا عاصفا خفيفة ساقتها حتى وصلت بها الى جبل العنقاء الذي فيه الجارية ، وذلك مسيرة خمسين سنة في خمسين ليلة ، ثم ركبت سفينته بإذن الله تعالى ، وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة ، فأخرج رأسه من السفينة ، فرأى الجبل وهو في لون الزعفران [صفرة<sup>(١)</sup>] ، وطوله لا يُدرى أين منتهاه ولا عرضه ، ورأى الشجرة فإذا هي كثيرة الأغصان والورق ، ورقها عرض آذان الفيلة ليس لها ثمر ، بيضاء الساق ، فقال : إني أرى عجبا ، أرى جبلا شاهقا لم أر مثله ، وأرى شجرة حسنة قد أعجبنى منظرها . فترك سفينته نحو الجبل ، فسمعت الجارية التي في عَشِّ العنقاء صوت الماء وكلام الناس ، ولم تكن سمعت قبل ذلك شيئا من ذلك ، فأخرجت رأسها من العَشِّ ، فتطلعت فرأى الملك صورتها في الماء ، ورأى عجبا من جمالها وكثرة شعرها وذوائبها ، فرفع رأسه إلى الشجرة فرأى الجارية ، فأبصر أمرا عظيما فأخذته القلق ، فنادها : مَنْ أَنْتِ ؟ فأفهمها الله تعالى لغته وقالت : لا أدرى ما تقول ولا مَنْ أَنْتِ إلا أني أراك يشبه وجهك وجهي وكلامك كلامي ، وإني لا أعرف شيئا غير العنقاء ، وهي أمي التي ربّنتي وتسميني بنتها . فقال لها الغلام : وأين العنقاء أمك ؟ قالت : في نوبتها . قال : وما نوبتها ؟ قالت : تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ، ثم تروح وتجيئني وتحدثني بما فعل سليمان وبما حكم وقضى ، وإنه لملك عظيم ، على ما تصف أمي العنقاء ، وإنها تخبرني أنه يشبهني إلا أنها تخبر أنه أحسن وجها وأتم مني .

٢٠

(١) الزيادة عن قصص الأنبياء للكسائي .

قال : فاندعر الغلام وفزع ، ثم قال : قد عرفته ، هو الذى قتل أبى وسبى ذريته ، وإنى لمن طلقائه وممن يؤدى إليه الخراج ، ورسله الطير والرياح ، ثم بكى الغلام . فقالت الجارية : وما يبكيك ؟ قال : أبكى على وحدثك فى مثل هذا الموضع الذى ليس به أنيس ولا أحد ، وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر ، وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقون ويتنعمون ، ويتوالدون أولادا مثل خلقتك وخلقتى ، أرأيت إن هاجت الريح وأزعجتك من وركك من يمسكك أن تقعى فى البحر ، فإن وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك . قال : ففرعت من قوله وقالت : وكيف لى أن يكون معى إنسى مثلك يحدثنى مثل حديثك ، ويحفظنى من خوف ما ذكرت . فقال لها الغلام : أولا تعلمين أن الله الذى آتخذ سليمان نبيا وسخر له الطير والرياح هو الذى رجمك وساقنى إليك إلفا وصاحبا وأنيسا ، وأنى من أبناء الملوك . قالت الجارية : وكيف تصير إلى وأصير إليك ، وهذه العنقاء تنام وتحضننى إلى صدرها بين جناحيها ؟ قال الغلام : تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه إذا أنصرفت إليك ، فإذا قالت لك : ما تخشين وما شأنك ، فأخبريها بحديثك ، ثم أنظري إلى ما يكون ردها عليك فتخبرينى به . فراح العنقاء فوجدتها حزينة كئيبة . فقالت لها : يا بُنية ، ما شأنك ؟ قالت : الوحدة والوحشة ، وإنى لجزعة على نفسى لذلك . فقالت لها : يا بُنية لا تخافى ولا تحزنى ، فإنى أستاذن سليمان أن آتبه يوما وأتخلف عنه يوما . فلمّا أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها : لا تُریدى هذا ، ولكن سأنحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج ما فى جوفه وأقيره وأطينه وأدخل أنا فى جوفه ، وألقيه على قرقور سفيتتى هذه ، فإذا جاءتك العنقاء فقولى لها : إنى

(١) القرقور : ضرب من السفن كبار ؛ ولكن سياق كلام المؤلف يدل على أنه أراد به رأس السفينة .

أرى عجباً ، خلقة مُلقاة على هذه السفينة ، فلو اختطفتها وحملتها إلى وكرى هذا ،  
فأنظر وأستأنس بها ، كان أحب إليّ من كينونتك عندي نهاراً وإمساكك عني خبر  
سليمان . فرجعت العنقاء فوجدتها في مثل حالها ، وشغل سليمان عنها ، فلم تصل إليه  
في استئذانها إياه بالمقام يوماً في منزلها . فقالت لها : إن نبي الله شغل عني اليوم  
بالحكم بين الآدميين فلم أصل إليه . قالت لها : فإنني لا أريد أن نتخلفني عنه نهاراً  
لمكان أخبار سليمان ، وإنني أرى في البحر عجباً ، شيئاً مرتفعاً ما هو ؟ قالت العنقاء :  
هذه سفينة قوم سيارة ركبوا البحر . قالت : فما هذا الذي أرى ملقى على رأس  
هذه السفينة ؟ قالت : كأنه ميتة رموها . قالت : فاحملها إلى لأستأنس بها وأنظر إليها .  
فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس والغلام في بطنها فحملتها إلى عشمها . فقالت :  
يا أقاه ، ما أحسن هذا ! وضحكت ، ففرحت العنقاء بذلك وقالت : يا بنية ، لو علمت  
لقد كنت آتيك بمثل هذا منذ حين . ثم طارت العنقاء إلى نوبتها إلى سليمان ،  
وخرج الغلام من جوف الفرس فلاعبها ومسّها ولامسها وأفتضها فأحبلها ، وفرح  
كل واحد منهما بصاحبه وأستأنس به .

وجاء الخبر إلى سليمان باجماعهما من قبل الريح ، ووافت العنقاء ، وكان مجلس  
سليمان يومئذ مجلس الطير ، فدعا بعرفاء الطير وأمرهم ألا يدعوا طائراً إلا حشروه ،  
ففعلوا ، ثم أمر عرفاء الجن فحشروا الجن من ساكني البحار والجزائر والهواء والفلات  
والأمصار ، ففعلوا وحشروهم ، وأحضروا الإنس وكل دابة ، وأشتد الخوف  
وقالوا : نشهد بالله أن لنبي الله أمراً قد أهمه . فأول سهرهم خرج في تقديم الطير  
منهم الحداة ، وكانت الطير لا تتقدم إلا بسهم ، فتقدمت الحداة وأستعدت على  
زوجها ، وكان قد جردها ولدها ، فقالت : يا نبي الله ، إنه سقذني ، حتى احتضنت  
بيضي وأخرجت ولدي جحدني . فأمر سليمان بولدها فأتى به ، فوجد الشبه واحداً ،

فألحقه بالذكر وقال لها : لا تمكّنيه من السّفاد أبداً حتى تُشهدى على ذلك الطير لكيلا يحدّك بعدها أبداً . فإذا سقّدها ذكّرها صاحت وقالت : يا طيور سقّديني أشهدى ، يا معشر الطير أشهدى .

- ثم خرج سهم العنقاء فتقدّمت ، فقال لها سليمان : ما قولك في القدر؟ قالت : يا نبيّ الله ، إن لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وآتى الخير . قال لها : وأين شَرُّك الذى بينى وبينك أنك تفرّقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام ؟ قالت : قد فعلتُ . قال سليمان : الله أكبر ! فأتيّني بها الساعة والخَلْقُ شهودٌ لأعلم تصديق ذلك ، وأمر عريف الطير ألا يفارقها حتى يوافق بها . فمزت العنقاء ، وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها ، فيبادر الغلام فيدخل جوف فرسه ، فقالت كالفرزة : إن لك لشأنا إذ رجعتِ نهاراً . قالت : لعمرى إن لي لشأنا ، إن سليمان قد أمرنى بإحضارك الساعة لأمرٍ جرى بينى وبينه فى أمرك ، فأنا أرجو نصرتى اليوم فيك . قالت : فكيف تحمّلينى ؟ قالت : على ظهري . قالت : وهل أستقرّ على ظهرك وأنا أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزلّ وأسقط فأهلك ! قالت : ففى منقارى . قالت : وهل أصبر فى منقارك ! قالت : فكيف أصنع ؟ لا بدّ من إحضارك إلى سليمان ، وهذا عريف الطير معى ، وقد دعا بكفيل البومة . قالت : أدخل جوف هذا الفرس ، ثم تحمّلين الفرس على ظهرك أو فى منقارك ، فلا أرى شيئاً ولا أسقط ولا أفزع . قالت : أصبت . فدخلت فى جوف الفرس واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس بما فيه فى منقارها ، وطارت حتى وقعت بين يدي سليمان ، فقالت : يا نبيّ الله ، هى الآن فى جوف الفرس ، فأين الغلام ! فتبسّم سليمان — عليه السلام — طويلاً وقال لها : أتؤمنين

(١) كذا فى التعلي . وفى الأصل : « يا كفور شهرتى » .

- بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ ! إِنَّهُ لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ فِي دَفْعِ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ وَعِلْمِهِ  
السَّابِقِ الْكَائِنِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . قَالَتِ الْعَنْقَاءُ : أَوْ مِنْ بَالِ اللَّهِ وَأَقُولُ : إِنَّ الْمَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ  
وَالْقُوَّةَ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَعْمَلْ خَيْرًا وَمَنْ شَاءَ فَلْيَعْمَلْ شَرًّا . قَالَ سَلِيمَانُ : كَذَبْتَ مَا جَعَلَ  
اللَّهُ مِنَ الْمَشِيئَةِ إِلَى الْعِبَادِ شَيْئًا ، وَلَكِنْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا كَانَ سَعِيدًا ،  
وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا كَانَ كَافِرًا ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدَرَهُ بِحِيلَةٍ  
وَلَا بِفَعْلٍ وَلَا بِعِلْمٍ ، وَإِنَّ الْغَلَامَ الَّذِي قَدْ وُلِدَ بِالْمَغْرِبِ وَالْجَارِيَةَ الَّتِي وُلِدَتْ  
بِالْمَشْرِقِ قَدْ آجَتَمَعَا الْآنَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ عَلَى سِفَاحٍ ، وَقَدْ حَمَلَتْ مِنْهُ الْجَارِيَةُ وَلَدًا .  
قَالَتِ الْعَنْقَاءُ : لَا تَقُلْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا ، فَإِنَّ الْجَارِيَةَ مَعِيَ فِي جَوْفِ فَرْسِي هَذَا .  
قَالَ سَلِيمَانُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! أَيْنَ الْبُومَةُ الْمَتَكَفِّلَةُ بِالْعَنْقَاءِ ؟ قَالَتْ : هَئَانَا . قَالَ سَلِيمَانُ :  
عَلَى مِثْلِ قَوْلِ الْعَنْقَاءِ أَنْتِ ؟ قَالَتْ نَعَمْ . قَالَ سَلِيمَانُ : يَا قَدَرَ اللَّهُ السَّابِقَ قَبْلَ الْخَلْقِ  
أَخْرَجَهُمَا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ . قَالَ : فَأَخْرَجَهُمَا جَمِيعًا مِنْ جَوْفِ الْفَرَسِ .

فَأَمَّا الْعَنْقَاءُ فَتَاهَتْ وَفَزِعَتْ فَطَارَتْ فِي السَّمَاءِ وَأَخَذَتْ نَحْوَ الْمَغْرِبِ ، وَأَخْتَفَتْ  
فِي بَحْرِ مِنَ بَحَارِ الْمَغْرِبِ وَأَمْنَتْ بِالْقَدَرِ وَحَافَتِ لَا يَنْظُرُ الطَّيْرُ فِي وَجْهِهَا أَبَدًا أَسْتَحْيَاءَ  
مِنْهَا .

- وَأَمَّا الْبُومَةُ فَلَزِمَتْ الْآجَامَ وَالْجِبَالَ وَقَالَتْ : أَمَّا بِالنَّهَارِ فَلَا خُرُوجَ وَلَا سَبِيلَ  
إِلَى الْمَعَاشِ . فَهِيَ إِذَا خَرَجَتْ نَهَارًا وَتَجَنَّبَتْ الطَّيْرَ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ لَهَا :  
يَا قَدَرِيَّةَ ، فَهِيَ تَخْضَعُ لِهَذَا .

هَذَا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَنْقَاءِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . فَلَنَرْجِعَ إِلَى أَخْبَارِ سَلِيمَانَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

- (١) كَذَا فِي نَسَخَةِ الثُّعْلِيِّ الْمَطْبُوعَةِ . وَفِي الْأَصُولِ وَالنَّسَخَةِ الْمَخْطُوطَةِ مِنَ الثُّعْلِيِّ :  
« لِلرُّوحَانِيِّينَ » .  
(٢) فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلثُّعْلِيِّ : « أَلَا تَنْظُرُ فِي وَجْهِ طَيْرٍ » .

### ذكر خبر خاتم سليمان عليه السلام

قال الكسائي: وأوحى الله تعالى إلى جبريل — عليه السلام — أنه قد سبق في علمي أني أملك سليمان الدنيا ، ليعلم الجن والإنس أني لم أخلق خلقاً هو أفضل من ذرية آدم ، وأمره أن يأخذ خاتم الخلافة من الجنة ويأتيه به . فجاء جبريل إلى سليمان ومعه الخاتم وهو يضيء كالنوكب الدرّي ، ورائحته كالسك ، وعليه كتابة<sup>(١)</sup> بغير قلم ، وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فأعطاه سليمان وقال له : هنيئاً لك يا ابن داود بهذه الهدية ، وكان في يوم الجمعة لسبع وعشرين خلت من المحرم . فلما صار الخاتم في كف سليمان لم يتمكن من النظر إليه حتى قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وكذلك كل من كان ينظر إليه<sup>(٢)</sup> .

قال وقيل : إن الخاتم أنزل من تحت العرش من نور برهان الله ، وقيل سليمان : لا تنزعه من كفك إلا بأمانة ، وجعل الله عزه فيه ، فتختم سليمان به وصعد على كرسيه وأستقبل الناس بوجهه ورفع إليه الخاتم وهو يلمع ، وقال : هذا الخاتم جمع فيه عزّي وسلطاني وفضلتي به ربّي على العالمين ، وسلطني على كل شيطان مرید . ثم سجد شكراً لله تعالى وسجد معه الناس . ثم نزل عليه بعد نزول الخاتم : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فكان لا يقرأها على شيء إلا خضع وذلّ ، فتلاها على بني إسرائيل فلم يسمعها أحد إلا أمتلاً فرحاً . ثم أمر بعد ذلك بآخذ البيض<sup>(٣)</sup> والسيوف ، فكان عنده اثنا عشر ألف درع من نسج داود

جزوب  
مُعِين التارح  
لأهل التارح

(١) راجع الكسائي في هذا الموضع ففيه تفصيل عما هنا .

(٢) عبارة الكسائي : « ثلاث بقين من شهر رمضان » .

(٣) هذه عبارة الكسائي . وفي الأصول : « فلما صار الخاتم في كفه لم يتمكن من النظر إليه حتى

قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .



وقيل : إن داود لم يعمل أكثر من سبع أدرع ، ثم قال سليمان :  
يا بني إسرائيل ، إني أمرت بجاهدة أعداء الله ؛ ثم جمع الخيول وشرع في الاستعداد  
للحرب .

### ذكر خبر حشر الجن لسليمان بن داود عليهما السلام

- قال الكسائي : وأمر الله — عز وجل — جبريل — عليه السلام — أن  
يحشر الجن ، فنشر جناحه الأيمن على شرق الأرض ، والأيسر على غربها ، ونادى :  
أيتها الجن والشياطين ، أجيئوا سليمان بن داود بإذن الله ، فخرجت من سائر  
الأمكن وهي تقول : لبيك لبيك يا حجة الله . فحشروا إلى سليمان طائفة ذليلة  
تسوقها الملائكة ، وهي يومئذ أربع مائة وعشرون فرقة ، كل فرقة تدين بدين غير دين  
الأخرى ، فوقفت بأجمعها بين يدي سليمان ، فنظر إلى عجائب صورها وسجد لله شكراً ،  
ثم قام على قدميه والخاتم في إصبعه ، فلما نظرت إليه الجن خرت ساجدة ثم رفعت  
رؤوسها وقالت : يا بن داود ، قد حشرنا إليك وأمرنا بالطاعة لك ، نختم على  
أكافهم بخاتمهم وجندهم وصفد مريدتهم بالحديد ولم يتخلف منهم إلا صخر الجنى  
تغيب في جزيرة ، وسندكر خبره إن شاء الله تعالى . قال : وبقي إبليس بغير أعوان  
وفترق سليمان الشياطين في الأعمال المختلفة . من الحديد والنحاس وقطع الصخور  
والأشجار وعمارة القرى والمدن والحصون ، وأمرهم بعمل القدور والحفان ؛  
قال الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ  
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . قيل : كان يأكل من كل جفنة ألف إنسان . وشغل

(١) في الكسائي : « الجنود » .

طائفة منهم بغوص البحار واستخراج الأصداف والجواهر منها ، وأمر بعضهم بحفر الآبار وشق الأنهار والقنوات ، وبعضهم بإخراج الكنوز والمعادن ، وغير ذلك من الأعمال .

ثم حُشِر له بعد ذلك الهوامُّ من الحيات والعقارب وغيرها من الحشرات وُسِّخِرَتْ له . فسأل كلا منها عن آسَمِها <sup>(١)</sup> [وضَرَّها ونفعها] وما كَلَّها ومشربها ومسكنها ومقدار أعمارها وعاداتها وغير ذلك من أحوالها ، فأخبرته ، ثم صرفهم وأمرهم ونهاهم . والله أعلم .

### ذكر خبر مطابخه عليه السلام

قال الكسائي : وأمر سليمان أن تُصَنَعَ الأُطعمة للخلق الذين معه ، حتى كان طبَّاخوه ينادون في عسكره : مَنْ أراد طعاماً فليأت حتى نصنعه له كما يريد ، فإن سليمان نَصَبْنَا لذلك . وكانت موائده منصوبة ، كل مائدة طول ميل وأطول ، ومعه عدَّة من الطباخين ، مع كل طبَّاخ شيطان يُعِينُهُ ، ورتب في كل مخبز ألف خباز ، وفي كل مطبخ ألف طبَّاخ .

قال ويقال : إنه كان يُذَبَّح في مطبخه في كل يوم من الإبل والبقر والغنم زيادة على ثلاثين ألف رأس ، ويستعمل في مطابخه كل يوم كذا وكذا كُتْراً من الملح ، وكانت موائده منصوبة لعامة الناس فقيرهم وغنيهم ، وكان يُأْتَى للطير في كل يوم من الحبوب سبعون ألف كُتْر — والكر عشرة أجرة ، والجريب ثلاثون قَفِيزاً <sup>(٢)</sup> — وكانت تظل البلاد بأجنحتها .

(١) زيادة عن الكسائي .

(٢) القفيز : ميال ثمانية مكايك . والمكوك صاع ونصف . ويقدر الصاع بالكيل المصرى

- ذكر خبر الرزق الذي سأل سليمان الله تعالى أن يجريه على يديه  
قال الكسائي : ولما نظر سليمان — عليه السلام — إلى عِظَم ما آتاه الله  
— عز وجل — من الملك ، سأل الله تعالى أن يجعل أرزاق المخلوقات على يديه .  
فأوحى الله تعالى إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فيوما واحدا ؛ فأوحى  
الله إليه : إنك لا تطيق ذلك . قال : يا رب فساعة واحدة ؛ فأوحى الله إليه :  
إني قد أعطيتك ذلك ، فاستعد الآن لأرزاق خلقى وأجمع لهم . فأخذ في الاستعداد  
حتى جمع ما يُنِيف على حمل مائة ألف بغل وبعير ، وسار يريد ساحل البحر ، حتى  
أتاه ووضع ما جمعه هناك ، ونادى مناديه في سكّان البحر احضروا لقبض أرزاقكم .  
فاجتمع الحيتان والضفادع ودواب البحر على صُور مختلفة ، وإذا بحوت قد أخرج  
رأسه وقال : اشبعني يا بن داود ، وهو على مثال الجبل . فقال سليمان : دونك  
الطعام ، فأكل جميع ذلك ، ثم قال : زدني يا نبي الله ، والله ما أصابني الجوع منذ  
خلفني ربي كما أصابني اليوم حين جُعِل رزقي على يديك . فعجب سليمان منه وقال :  
هل في البحر مثلك ؟ فقال : إني لقي زُمرة من الحيتان فيها سبعون ألف زمرة ،  
كل زمرة مثل عدد الرمل ؛ وفي البحر حيتان لو دخلت أنا في جوف أحدها  
ما كنت إلا نكردلة في أرض فلاة . فبكى سليمان عند ذلك وقال : رب أقلني عثرتي .  
فأقاله الله تعالى ، ثم أوحى إليه : أن قِف يا بن داود حتى ترى جنودي ، فإن ما رأيت  
قليل . فوقف وإذا بالبحر قد اضطرب اضطرابا عظيما وخرج منه شيء أعظم من  
الجبل يشق البحر شقا وهو يقول : سبحان من تكفل بأرزاق العباد ، ثم نادى :  
يا بن داود ، لولا اليد الباسطة عليك لكنت أضعف الخلائق ، وإنك لم تقدر أن  
تُسبغ حوتا واحدا ولا نال كل طعمه ، فكيف تقدر أن تكفل بأرزاق الخلائق !  
ثم ذلك الحوت ، ففظ سليمان ، الخلة ، عظم ، مقال . اله ، ها خاق . خاقا

أكبر من هذا؟ فأوحى الله تعالى إليه : إن في البحر من يحتاج أن يأكل سبعين ألفاً مثل هذا ولا يُشبعه ، ولا يُشبعه إلا نعمتي ولطفي . فعلم سليمان أن الذي أُعطيَه ليس بشيء في قدرة الله عز وجل . والله الواسع المتفضل .

### ذكر خبر بناء بيت المقدس وأبتداء أمره

- ٥ قال أبو إسحاق الثعالبي — رحمه الله تعالى — في سبب بناء بيت المقدس :
- إن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم — عليه السلام — حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يُحصون . فلما كان زمن داود — عليه السلام — لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرةً ، فأعجب داودُ بكثرتهم فأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل فأمر بعدهم ، وبعث لذلك عُرَفاءً ونُقباءً ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ من عدتهم ، فكانوا يعدّون زماناً من الدهر حتى عجزوا وأيسوا أن يحيط عالمهم بعدد بني إسرائيل . فأوحى الله تعالى إلى داود : إني وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ابنه فصديقاً وأتمر بأمرى أن أبارك له في ذريته حتى يصيروا أكثر من عدد نجوم السماء ، حتى لا يحصيهم العادون . وإني قد أقسمت أن أبتليهم ببليّة يقلّ منها عددهم ، ويذهب عنك إعجابك بكثرتهم . وخيره بين أن يبتليهم بالجوع والقحط ثلاث سنين ، وبين أن يسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر ، وبين أن يسلط عليهم الطاعون ثلاثة أيام . فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى إليه وخيره فيه . فقالوا : أنت أعلم بما هو أيسر لنا ، وأنت نبينا فأنظر لنا غير الجوع فلا صبر لنا عليه ، وتسليط العدو أمر فاضح . فإن كان ولا بدّ فالموت ، لأنه بيده لا بيد غيره . فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت ، فأغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراية والأهلين ، وأمرهم داود أن
- ١٠
- ١٥
- ٢٠

يَضْجُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُمْ . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الطَّاعُونَ فَأَهْلَكَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ لَا يُدْرَى عَدْدُهُمْ ، وَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْ دَفْنِهِمْ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ شَهْرَيْنِ .

- فلما أصبحوا في اليوم الثاني خرّ داود ساجداً يبتهل إلى الله تعالى ، فأستجاب الله تعالى منه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت . ورأى داود الملائكة سائلين سيوفهم فأغمدوها وهم يرقون في سُلَمٍ من ذهب من الصخرة إلى السماء . فقال داود لبنى إسرائيل : إن الله قد منّ عليكم ورحمكم بخدّ دوا له شكرا . قالوا : وكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذكر الله تعالى . فأخذ داود في بنائه . فلما أرادوا أن يبتدئوا البناء جاء رجلٌ صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم في بنيانهم ، فقال لبنى إسرائيل : إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ، فلا يحلّ لكم أن تحجبوني عن حقّي . قالوا له : يا هذا ، ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد حقٌّ مثلُ حقّك ، فلا تكن أبخلَ الناس ولا تضايقنا فيه . فقال : أنا أعرف حقّي وأنتم لا تعرفون حقكم . قالوا له : إنا أن نرضى وتطيبّ نفوساً وإلا أخذناه كرها . قال لهم : أوتجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود ؟ ! قال : فرفعوا خبره إلى داود فقال : أرضوه . فقالوا : نعم نأخذه منه يا نبيّ الله بئنه . قال : خذوه بمائة شاة . فقال الرجل : زدني يا نبيّ الله ، فقال : بمائة بقرة . قال : زدني يا نبيّ الله ، قال فمائة بعير . قال : زدني يا نبيّ الله ، فإنما تشتريه لله تعالى . فقال داود : أمّا إذ قلتَ هذا فأحتكم أعطك . قال : تشتريه مني بجائيط مشله زيتوناً ونخلًا وعينباً ؟ قال نعم . قال : أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل . قال : سأل ما شئت أعطك ، وإن شئت أؤجرك نفسي . قال : أو تفعل ذلك يا نبيّ الله ؟

قال : نعم إذا شئت . قال : أنت أكرم على الله تعالى من ذلك ، ولكن تبني حوله  
جداراً ثم تملؤه ذهباً وإن شئت ورقاً . قال داود : هو هين . فالتفت الرجل إلى  
بنى إسرائيل وقال : هذا هو التائب والمخلص . ثم قال لداود : لأن يغفر الله تعالى  
لى ذنباً واحداً أحب إلى من كل ما وهبت لى ، ولكن كنت أختبركم . فأخذوا  
فى بناء بيت المقدس ، وذلك فيما قيل لإحدى عشرة سنة مضت من خلافة داود .  
وكان داود ينقل لهم الحجارة على عاتقه ، وكذلك خیار<sup>(١)</sup> بنى إسرائيل حتى رفعوه قامة .  
فأوحى الله تعالى إليه : إن هذا بيت مقدس ، وأنت سفاك للدماء ، ولست بانيه ،  
ولكن ابن لك أملاً بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى إتمامه  
على يديه ويكون له صيته وذكره .

قال : فصلوا فيه زماناً إلى أن توفى الله نبيّه داود وأستخلف سليمان وأمره  
بإتمام بناء بيت المقدس . فجمع سليمان الإنس والجنّ والشیاطین وقسم عليهم  
الأعمال ، فخص كل طائفة منهم بعمل ، فأرسل الجن والشیاطین فى تحصيل الرخام  
والمها الأبيض الصافى من معادنه ؛ وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفّاح ، وجعلها  
أثنى عشر ربضاً ، وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط . فلما فرغ من المدينة  
آبتدأ فى بناء المسجد ، فوجه الشیاطین فرقاً ، فريقاً منهم يستخرجون الذهب  
والفضة من معادنها ، وفريقاً يغوصون فى البحر ويستخرجون أنواع الدّر ويقلعون  
الجواهر والحجارة من أماكنها ، وفريقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطّيب  
من أماكنها ؛ فأتى من ذلك بشىء لا يحصىه إلا الله تعالى . ثم أحضر الصنّاع

(١) فى نسخة النعلبي المطبوعة : «أخبار» .

(٢) المها : البلور .

(٣) الربض (بالتحريك) هنا : الناحية .

وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر وتثقيبها؛ فكانوا يعالجونها فتصوت صوتاً شديداً لصلابتها . فكره سليمان تلك الأصوات ، فدعا الجن فقال لهم : هل لكم حيلةٌ في نحت هذه الجواهر من غير تصويت ؟ فقالوا : يا نبي الله ، ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر . فأستدعاه . وكان من أمره في حضوره إليه والتلطف في تحصيل حجر السامور ما ذكره — إن شاء الله تعالى — في أخبار صخر .

قالوا : فلما أتى بحجر السامور ، وهو حجر الماس ، استعمله في أدوات الصُّنَاع ، فسهل عليهم نحت الحجارة .

قالوا : فبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر ، وعمَّده بأساطين المَهَا الصافي ، وفصَّصه بالواح الجواهر الثمينة ، وفصَّص سقوفه وحيطانه باللاّلى واليوافيت وسائر الجواهر ، وبسط أرضه بالواح الفَيروزَج ، فلم يكن يومئذ بيت في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد ؛ وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر .

قالوا : فلما فرغ من بنيائه جمع أحرار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله تعالى ، وأن كل شيء فيه خالص لله تعالى . وأتخذ ذلك اليوم عيداً ، فلم يُتخذ في الأرض قطُّ أعظم منه ولا من الأطعمة التي عُمِلت فيه . قيل : إنه ذبح من الخراف خمسين ألفاً ، ومن البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ، ومن الغنم أربعمائة ألف شاة .

قالوا : ومن أعاجيب ما آتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين حيطانه بالحُضرة وصقله ؛ فكان إذا دخله الورع البار استبان خياله في ذلك الحائط أبيض ؛

وإذا دخله الفاجر استبان خياله في الحائط أسود . فارتدع عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والحيانة . ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا آبنوس ، فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم تضره ، ومن مسها من غيرهم احترقت يده .

قالوا : ولما فرغ من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على الصخرة ، ثم قال :  
 اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منّا منك على ، وجعلتني خليفتك في أرضك ، وأكرمتني به من قبل أن أكون شيئاً ، فلك الحمد . اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خصلاً : ألا يدخله أحدٌ فيصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا يدخله مستتيب إلا ثبت عليه ، ولا خائف إلا أمتته ، ولا سقيم إلا شفيته ، ولا مجذبٌ إلا أخصبته وأغنيتَه . وإذا أجبت دعوتي فأجعل علامتها أن تقبل قرباني . قال : فنزلت نارٌ من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء .

وقال سعيد بن المسيب : لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه ، فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه : بصـلوات أبي داود إلا ما فُتِحَتِ الأبوابُ ، ففتحت . ففرغ له سليمان — عليه السلام — عشرة آلاف من قراء بنى إسرائيل ، خمسة آلاف بالليل ، وخمسة آلاف بالنهار ، فلا تأتي ساعةٌ من ليل أو نهار إلا والله عز وجل يُعبد فيها فيه .

وحكى الكسائي في خبر بناء بيت المقدس قال : فأوحى الله تعالى إلى سليمان — عليه السلام — أن تبنى بيت المقدس وترفع قواعده كما رفع إبراهيم قواعده البيت العتيق ، وأن تبنيه على صخرة المعراج . فأمر سليمان الجان أن تقطع الصخور . وتنقل الرخام والأحجار والعمد وآلات العمارة إليه ؛ ثم أمر بالبناء على الأساس



الذى كان داود وضعه . فلما كمل البناء آنهار وأنهدم ؛ فأمر أن يُحْفَرُ أساسه حتى يبلغ الماء ، وعقد البناء بالحجارة المنحوتة بعضها على بعض ، فغلب الماء على البناء فما انعقد الأساس . فأمر أن تُصَنَعَ قِلاَلُ النحاس والرصاص ، وختمها بخاتمته ، وجعلها تحت الأساس . ثم أمر بالبناء فوقها فبنيت وارتفع البناء ، وعمل فيه عشرة آلاف عمود من الرخام الملوّن ، يلى كلّ عمود سارية من الذهب ، وسارية من الفضة ؛ ومحاريب الذهب والفضة ، وكل البناء والزخرفة فى أربعين يوما .

قال : وكان يعمل فيه فى كل يوم ألف عُنُوت من الجن وألف شيطان وألف من الإنس . وفرغ منه يوم عرفة ، وأخذ له قناديل من الذهب بسلاسل الفضة .

قال الثعلبى : فكان بيت المقدس على ما بناه سليمان إلى أن غزاه بُحْتَنَصَر ، ١٠ نخرب المدينة وهدمها ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان فى سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر ، فحمل ذلك معه إلى دار مملكته من أرض العراق . قال : ثم لم يزل خراباً إلى أن بُنى فى الإسلام .

قال الكسائى : ثم أمر الله سليمان بجهاد العدو ، فرغب فى جمع الخيل ، فأهديت ١٥ إليه من جهة ملوك الأطراف الخيول المسومة ، فأجتمع له ما يُنْفى عن سبعين ألف فرس بسروج الذهب والفضة بأجلة الديباج . وسار صوب بلاد الشام . وكان إذا خرج للغزو لا يستصحب شيطاناً ولا جنياً بل العباد من بنى إسرائيل . والله المعين .

### ذكر خبر وادي النمل وما قيل فيه

قال : ولما سار سليمان لقصد الغزوة في طريقه بوادي النمل . قال الثعلبي :  
 إنه مرة بوادي السدير (واد من الطائف) <sup>(١)</sup> فأتى وادي النمل <sup>(٢)</sup> . قال الكسائي : فنظر  
 إليهم وإذا هم يزيدون على مائة ألف كردوس مثل السحاب ، وهم زرق العيون ،  
 ولهم أيدي وأرجل . فقال سليمان : إني أرى سحابة في الأرض لا أعلم ما هي .  
 فحملت إليه الريح قول النملة كما أخبر الله تعالى عنها : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي  
 النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴿ . قال : ونزل الناس معه ، فقال : أتدرون  
 ما هذا السواد ؟ هذه أمة من الأمم يقال لها النمل ، وأخبرهم بقول النملة ، وسجد  
 وسجدوا شكرًا لله تعالى . ودخلت النمل مساكنها زمرة بعد زمرة ، والنملة تناديهم :  
 الْوَحَا الْوَحَا فَقَدْ وَافَقَكُمْ الْخَيْلُ . فصاح بها سليمان وأراها الخاتم بخاءته خاضعة ،  
 فوقفت بين يديه وهي أكبر من الذئب ، فسجدت بين يديه ثم قالت :  
 يا نبي الله ، ما سجدت قبلك إلا لأبيك إبراهيم ، وهأنا بين يديك مررتي بأمرك .  
 فقال : ما الذي تكلمت به قبل وصولي إليك ؟ قالت : يا نبي الله ، إني رأيتك  
 في موكبك وعسكرك ، فتأديت النمل أن يدخلوا مساكنهم لئلا يحطمهم جندك ،  
 وأنا كمثل غيري من الملوك أريد الإصلاح لقومي . فقال لها : كم عددكم ؟

١٠  
١٢

(١) في التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبي حيان (ج ٧ ص ٦٠) : « وادي السدر

من الطائف » .

(٢) وادي النمل : بين بيت جبرون وعسقلان كما ذكره ياقوت في معجم البلدان .

(٣) كردوس : فرقة .

(٤) سورة النمل آية ١٨

(٥) الوحا الوحا (يمد ويقصر) أي أسرعوا أسرعوا .

وما تأكلون وما تشربون ؟ قالت : يا نبي الله ، لو أمرت الجن والشياطين أن يحشرونا إليك لمجزؤوا ، وليس على وجه الأرض وادٍ ولا جبلٌ ولا غابةٌ إلا وفي أكنافها مثل سلطانك كراديس من النمل . ولو تفرق كُردوس واحد في الأرض لما وسعته . ولقد خلقنا قبل أبيك آدم ، وإنا لنا كل رزق ربنا ونشكره . فأمرها أن تعرض النمل عليه . فنادتهم ، فمروا به زمرةً بعد زمرة ، وسلموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم . فقالت مملكة النمل : يا نبي الله ، منّا ما يأوى الجبال ، ومنّا ما يأوى قُرب المياه والأشجار والزرع ، وفي الهواء وهي الطيارة ، فإذا نبئت أجنحتها هلكت وأختطفها الطير . والنملة لا تموت حتى يخرج من ظهرها كراديس من النمل . وليس على ظهر الأرض أحرص من النملة ؛ وإنها لتجمع في صيفها ما يملأ بيتها وهي مع ذلك تظن أنها لا تشبع . وتسبيحها تسأل ربّها أن يوسع الرزق على خلقه . قال الثعلبيّ قال الضحّال : اسم النملة [ التي كلمت سليمان ] « طاحية » وقيل : « حرمي » . والله أعلم .

### ذكر خبر البعوض وما قيل فيه

قال الكسائي : ولما نظر سليمان إلى كثرة النمل قال : إلهي هل خلقت أكثر من النمل ؟ فأوحى الله إليه : نعم وسترى ذلك . ثم أمر الله تعالى ملكَ البعوض أن يحشرها لسليمان ، فحشرها من شرق الأرض وغربها . فأقبلت كراديس البعوض

(١) زيادة عن الثعلبي .

(٢) كذا في نسخة الثعلبي المخطوطة والجزء الخامس من تفسيره المسمى « الكشف والبيان في تفسير

القرآن » المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٧٩٧ تفسير . وفي شرح القاموس مادة « طخى » بالخاء

المعجمة والنسخة المطبوعة من الثعلبي : « طاحية » وقال صاحب شرح القاموس نقلا عن النهاية : اسمها

« عيجلوف » . وفي الأصول : « طاحية » بالجيم المعجمة .

(٣) كذا في الثعلبي المخطوطة والمطبوعة . وفي شرح القاموس نقلا عن أعلام السهيلي : « حرميا » .

وفي الأصول : « حرميا » .

كالسحاب يتبع بعضها بعضاً حتى وقف منهم كُردوس على سليمان ، وأقبل ملكهم وقال : يا نبي الله ، مالك وللضعفاء من خالق ربك ألهيتهم عن التسبيح ! .  
يا بن داود ، إنا في هذه الأرض قبل أبيك آدم بالفى عام ما عرَضنا على آدمي غيرك ، نأكل من رزق ربنا ، ولا نفتر عن ذكره صباحاً ولا مساء . قال : أخبروني كم أتم ؟ وأين مأواكم ؟ ومن أين ترزقون ؟ قال ملكهم : يا نبي الله ، تحت يدي سبعون سخابة ، كل سخابة تملأ المشرق والمغرب ، لكل زمرة موضع معلوم ، تأكل كل واحدة رزقها ، ولولا خوف المعاد لأكلنا ما في الدنيا . ثم سجدوا وأنصرفوا . وكان سليمان إذا أراد أن يدرك قوماً بعث إليهم البعوض فيأكل جميع ما في مدينتهم .

### ذكر خبر الخيل وما قيل فيها

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ \* فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْجَحَابِ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَفِثَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ . قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي في " كتاب البرهان في علوم القرآن " في تفسيره هذه الآية : الصافن من الخيل الذي يجمع بين يديه . وقال الفراء : الصافن هو القائم . وقال مجاهد : صُفُون الفرس إذا رفع إحدى رجليه حتى يكون على طرف الحافر . قال ابن زيد : الخيل أخرجها الشيطان لسليمان من مَرَج من مروج البحر . والصَّفْن أن يقوم الفرس على ثلاث ويرفع رجلاً واحدة ، يكون طرف الحافر على الأرض . قال : وكانت لها أجنحة . قال : والخياد السَّراع . وذكر أنها كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة . قال وقوله : " إني أحببت

(١) سورة ص آية ٣١ وما بعدها .

(٢) الحوفي ( بفتح الحاء المهملة وسكون الواو ) نسبة الى الحوفي : ناحية عمان .

حبّ الخير عن ذكر ربّي حتى توارت بالحجاب“ إنه لها عن الصلاة حتى فاتته .  
 قال قتادة والشديّ : الخير : الخيل . ورؤى عن عليّ - رضي الله عنه - أنه  
 سئل عن الصلاة الوسطى فقال : هي العصر ، وهي التي فتن بها سليمان . ”حتّى  
 توارت بالحجاب“ ، يعنى الشمس حتى تغيب في مغيبها . وقوله : ”ردّوها عليّ“  
 أى الخيل التي عرضت علىّ فشغلتنى عن الصلاة . ”فطفق مسحاً بالسوق والأعناق“ ،  
 أى جعل يمسح فيها السوق وهو جمع ساق . قال بعضهم : عقرها وضرب  
 أعناقها ؛ قاله قتادة والحسن والشديّ . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - :  
 جعل يمسح أعناقها وعراقيبها بيده حبّاً لها . وقيل : كشف عن عراقيبها  
 وضرب أعناقها وقال : لا تشغلني عن عبادة ربّي مرة أخرى . قال أبو إسحاق :  
 يجوز أن يكون الله أباح له ذلك لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب أعظم منه .  
 والله أعلم .

وقال الشعبيّ - رحمه الله - في قصّة الخيل قال الكلبيّ : غزا سليمان أهل  
 نصيبين ، فأصاب منهم ألف فرس . وقال مقاتل : ورث سليمان من أبيه داود  
 ألف فرس ، كان داود أصابها من العمالة .

قالوا : فصلّى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيّه ، فعرض عليه منها  
 تسعمائة فرس<sup>(١)</sup> ، فتنبه لصلاة العصر ، فإذا الشمس قد غابت وفاتته الصلاة ولم يعلم  
 بذلك ، فاغتم وقال : ردّوها عليّ ، فردّت عليه ، فعرقبها بالسيف ، وقربها إلى الله  
 - عز وجل - وبقي منها مائة فرس . فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي  
 من نسل تلك المائة . وقال كعب : كانت الأفراس أربعة عشر فرساً ، فأمر بضرب  
 أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها ، فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً ؛ لأنه ظلم  
 (١) كذا في الشعبيّ وكتب التفسير . وفي الأصول : « أربعائة » ودو لا يتفق مع السياق .

الحيل بقتلها . قال الثعلبي وقال قوم : " فطفيق مسحاً بالسوق والأعناق " حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بِمِيسَمِ<sup>(١)</sup> الصَّدَقَةِ . وروى عن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — أن الله تعالى أمر الملائكة الموكلين بالشمس فردوها ، وصلى سليمان العصر في وقتها .

### ذكر خبر بساط سليمان عليه السلام

قال الكسائي : وكان سليمان إذا ركب الريح تقدم أمام بساطه البعوض ثم الزناير وكل ما يطير في الهواء ، ثم الشياطين . وكان إذا أراد أن يركب الريح دعا الرياح الثمانية : الشمال والجنوب والصبأ والدبور والصرصر والعقيم والكرس والراكي ، فيبسط بعضها على بعض ، ثم يبسط بساطه على هذه الرياح ، وكان من السندس الأخضر ، أخضر البطن أحمر الظهر ، أهده الله تعالى إليه من الجنة ، لا يعلم طولَه وعرضَه إلا الله تعالى . وقيل : كان طولُه ثلاثمائة وسبعين فرسخاً في عرض عشرة آلاف ذراع . وكان سليمان إذا ركب جعل اللون الأخضر مما يلي الأرض ، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه على لون السماء . وكان يجلس على كرسيه وعن يمينه ويساره القضاة والعلماء والأخبار من بني إسرائيل على كراسي معدة لهم ، وهو جالس في وسط البساط وزمام الريح بيده ، ويتغذى على مسيرة شهر ويتعشى على مسيرة شهر ؛ قال الله تعالى : ﴿ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال : وكان سليمان إذا ركب الرياح على بساطه يرى كل شيء عليه من الجن والإنس والشياطين والهوام وغيرهم ، والطير تُظَلِّه ، ولا يقف على مدينة إلا فتحها .

(١) الميسم (بكسر الميم وفتح السين المهملة) : حديدة تكوى بها إبل الصدقة وغيرها لتعرف وتميز عن غيرها من الإبل الملوكة .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « الكريس والدالي » .

## ذكر خبر صخر الجنى

- قال : وجمع سليمان — عليه السلام — عفاريت الجن والشياطين وأمرهم بإحضار صخر الجنى ، فقالوا : يا نبي الله ، إن الله قد أعطاه قوة جماعية منّا ، ويصعب علينا حمله إليك ، وما لنا إلا أمر واحد وهو أنه يأتي في كل شهر إلى عين في جزيرة فيشرب ماءها . والرأى أن ننزفه منها ونملأها نجراً ، فإذا جاء وشربه وسكر ذهبته قوته فيحمله ونأتيك به . ثم خرجوا ففعلوا ذلك ، واختفوا في تلك الجزيرة ، فجاء صخر ليشرب فاشتّم رائحة الخمر وقال : أيتها الخمرة إنك لطيبة غير أنك تسلبين العقل وتجعلين الحليم جاهلاً ، وأمرك كله ندامة ، وأنصرف ولم يشرب . ثم عاد في اليوم الثاني وقد أجهده العطش فقال : ما من قضاء يأتي من الله إلا كان مبرماً ، ثم نزل على العين فشرب حتى امتلأ ، ثم قام ليخرج فسقط ، فتبادرت العفاريت إليه ومعهم طابع خاتم سليمان ، فلما رآه ذلّ وخضع ، فحملوه حتى وقفوه بين يدي سليمان وهو يخرج من فيه لهب النيران ، ومن منخريه الدخان . فلما عاين الخاتم ضعفت قوته ونحرّ ساجداً على وجهه ، ثم رفع رأسه وقال : يا نبي الله ، سيزول هذا الملك عنك ولا يبقى إلا ذكره . قال : صدقت . ثم قال له : يا نبي الله ، ما الذي أحوجك إلى وأنا بالبعد منك لا أخلط بالآدميين ؟ فقال له سليمان : إن الناس قد اشتكوا من وقع الحديد وصوته على الحجر . فقال : عليك بوكر العقاب وعشه وبيضه ، فليس شيء من الطيور أبصر منه ، فأتى به . فوضعه في البرية وغطاه بجام من القوارير شديد الصفاء فوضعه على عش العقاب . فجاء العقاب فلم ير عشه ، فطار في الهواء حتى نظر إلى عشه في تلك البرية ، فأنقض عليه وضرب الجام برجله ليكسره فلم يقدر على ذلك ، فطار وتعلق في الهواء وغاب يومه وليلته ، ثم أقبل صبيحة اليوم الثاني وفي منقاره قطعة من حجر السامور ، فأنقض على الجام بذلك الحجر

$$\frac{12}{12}$$

فَضْرَبَهُ بِهِ ، فَانْشَقَّ الْجَامُ نَصْفَيْنِ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ صَوْتُ ، وَأَخَذَ الْعُقَابُ عُشَّهُ وَبَيْضَهُ وَتَرَكَ حَجَرَ السَّامُورِ هُنَاكَ ، فَأَخَذَهُ صَخْرًا وَهُوَ فِي صَفَاءِ الْمَرَاةِ وَحَرِّ النَّارِ . فَدَعَا سُلَيْمَانَ بِالْعُقَابِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَجْرِ السَّامُورِ مِنْ أَيْنَ أَحْتَمَلُهُ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مِنْ جَبَلٍ شَاخٍ . فَبَعَثَ سُلَيْمَانَ الْجَنِّ وَالشَّيَاطِينَ حَمَلُوا مِنْهُ مَا قَدَرُوا ، فَكَانَ يَقْطَعُ بِهِ الْأَحْجَارَ وَالصَّخُورَ وَالْحَزَرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمَعَ لَهُ وَقَعٌ .

قال : ثم قال صخر : يا نبي الله ، أتحب أن أتخذ لك مدينة ؟ قال نعم ؛ فَأَتَّخَذَهَا . فَعَجِبَ سُلَيْمَانُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ مَدِينَةً دُونَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَحْمِلَهَا مَعَهُ عَلَى بَسَاطَةٍ حَيْثُمَا ذَهَبَ . فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَكَ كُلَّمَا أُرِدْتَ السَّفَرَ مَدِينَةٌ عَلَى أَيْ لَوْنٍ شِئْتَ . فَبَنَى لَهُ مَدِينَةً فِي طُولِ عَسْكَرِهِ وَعَرْضِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبْطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ قَصْرًا فِي طُولِ أَلْفِ ذِرَاعٍ وَعَرْضِهِ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَفِي كُلِّ قَصْرِ بَيْوتٍ وَغُرَفٍ ، ثُمَّ بَنَى بَعْدَ ذَلِكَ مَجْلِسًا مِنَ الْقَوَارِيرِ فِي طُولِ أَلْفِ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضِهِ مِثْلُ ذَلِكَ ، يَجْلِسُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ وَالْقَضَاةُ . وَبَنَى لِسُلَيْمَانَ قَصْرًا عَجِيبًا فِي طُولِ خَمْسَةِ آلَافِ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضِهِ مِثْلَهَا ، وَزَخَرَفَهُ بِالْوَانِ الْقَوَارِيرِ وَرَصَّعَهُ بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ ، وَجَعَلَ فِيهِ جَمِيعَ الصُّورِ وَالْتِمَاطِيلِ وَأَتَقَنَ صَنْعَتَهُ . وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ صَخْرَ لِسُلَيْمَانَ الْكَرْسَى .

١٥ ذكر صفة كرسى سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره

قالوا : وكان مما عمله صخر الجنى لسليمان — عليه السلام — الكرسي ، وكان سليمان أمره بآتخاذه ليجلس عليه للقضاء ، وأمره بأن يعمل به بديعاً مهولاً بحيث إنه إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب .

٢٠ قال : فعَمِلَ لَهُ الْكَرْسَى وَكَانَ مِنْ أَنْيَابِ الْفِيلَةِ وَفَصَّصَهُ بِالْيَاقُوتِ وَالْأَوْثَرِ ، وَالزَّبَرْجَدِ وَأَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ ، وَحَفَهُ بِأَرْبَعِ نَحْلَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، شَمَارِيخُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ



الأحمر والزَّبرجد الأخضر ، على رأس نخلتين طاووسان من ذهب ، وعلى رأس النخلتين الأخريين نسران من ذهب ، بعضها يقابل بعضا ، وجعل مقابل جنبي الكرسي أسدين من ذهب ، على رأس كل أسد منهما عمود من الزُّمرد الأخضر ، وعقد على النخلات أشجار كروم من الذهب ، عناقيدها من الياقوت الأحمر .

٥

قالوا : وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دَوْرَانِ الرِّيح المسرعة ، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ، ويسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وكذلك كان يفعل في كل درجة يصعد فيها سليمان . فإذا استوى سليمان بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعا على رأس سليمان ، ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسور والطاووسان ، والأسدان مائلان برءوسهما إلى سليمان ، ينضجن عليه من أجوافها المسك والعنبر ، ثم تناولهما حمامة من ذهب جاثمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة ، فيفتحها سليمان — عليه السلام — ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء . فإذا دعا بالبيّنات [و] تقدّمت الشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه من جميع ما حوله دَوْرَانِ الرِّيح المسرعة .

١٠

 $\frac{13}{12}$ 

١٥

قال أبو إسحاق الثعلبي قال معاوية لوهب بن منبّه : ما الذي كان يُدير ذلك الكرسي ؟ قال : بلبتان<sup>(١)</sup> من ذهب . قال : فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ، وينشر النسور والطاووسان أجنحتها فتفزع منها الشهود ويدخلهم الرعب الشديد ، فلا يشهدون إلا بالحق .

٢٠

(١) في بعض الأنبياء للثعلبي المخطوطة : « تين عظيم » .

قال : فلما توفي الله سليمان — عليه السلام — وجاء بُخْتَنَصْر إلى بيت المقدس أخذ الكرسي<sup>(١)</sup> وحمله إلى أنطاكية ، وأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا معرفة بأحواله . فلما وضع قدمه على الدرجة رفع الأسد يده اليمنى فضربه ضربة شديدة دقته ورماه ، فحمل بُخْتَنَصْر ، فلم يزل يعرج منها ويتوجع إلى أن مات . وبقى الكرسي<sup>(٢)</sup> بأنطاكية حتى غزاهم ملك من ملوك الشام يقال له كداس بن سدارس فهزم خليفة بُخْتَنَصْر ورد الكرسي إلى بيت المقدس ، فلم يستطع أحد من الملوك الصعود إليه . فوضع تحت الصخرة فغاب فلم يعرف له خبر ولا يُدرى أين هو . والله أعلم بالصواب .

### ذكر خبر بلقيس وأبتداء أمرها

قال الكسائي<sup>(٣)</sup> قال كعب : هي بلقيس بنت ذى شريح ، وهي متولدة من الإنس والجن . وأُمُّها عَمِيرَةُ بنت ملك الجن . وكان لآتصال ذى شريح والد بلقيس بعَمِيرَةَ بنت ملك الجن سبب عجيب نذكره على ما حكاه الكسائي<sup>(٤)</sup> ، قال : أهلك الله تعالى مساكن سبأ بسيل العرم ، على ما نذكر ذلك في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، وهو يلي أخبار ملوك قحطان ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس

(١) كانت في القديم حاضرة سوريا ، وهي واقعة على منعطف من نهر العاصي ، وقد فاقت قديما غيرها من المدائن في الثروة والعلوم والتجارة ، وكان لأهلها امتيازات مدنية خصوصية حتى أنها كانت الثالثة بين مدن مقاطعات الرومان العظيمة . وقد اشتهرت بحسن موقعها وطيب هوائها ، وكانت مخفوفة بغياض السرو الكثيفة ومجارى المياه العذبة . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٢) كذا في كتاب الإكليل للهمداني (ج ٨ ص ٣٠ طبع بغداد) ونسخة ب في بعض المواضع مضبوطة بالقلم بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة . وفي نسخة أ ، ج : « ذواشريح » . وفي تاريخ الطبري (ص ٥٧٦ من القسم الأول) : « هي فيما يقول أهل الأنساب : بلقمة بنت الشريح ، ويقول بعضهم : ابنة ايلي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذى شرح بن ذى جدن بن ايلي شرح بن الحارث بن قيس ... الخ » . وفي الكسائي : « ذوسرح » بالسین المهملة .

١٠

١٥

٢٠

- (١) في السفر الثالث عشر من هذه النسخة . قال : فلما أنقروا وأبادهم الفناء توارثها بعدهم جماعة من الملوك ليس هذا موضع ذكرهم ، حتى انتهى الملك إلى رجل فظ غليظ يقال له شراحى الحميرى . وكان من عادته مع قومه أنه أفترض على أهل مملكته في كل أسبوع أن يأتوه بجارية من بناتهم فيفتضها ثم يردّها إلى أهلها . وكان ذو شرح وزيره وهو من أبناء ملوك حمير من ولد سبأ ، وكان لدى شرح ألف قصر وألف فرس عتيق وألف سيف يمان ، وكان يرجع إلى حُسْنٍ وجمالٍ وعقل ، وكان مولعاً بالصيد ، فكانت الجنّ تتصوّر له في صورة الظبي ، فإذا صادهم وهم بذبحهم كلموه وقالوا له : لا تعجل فإننا إنما جئنا لننظر إلى محاسن وجهك . وكانت الجنّ تؤذى أهل اليمن ، فأقسم ذو شرح أن يقتل ملك الجنّ ويتزوج بآبنته . قال : وكان اسم ملك الجنّ عمير ، وكان حسن الوجه ، وآبنته عميرة . فمَرَّ ذو شرح ذات يوم في وادٍ من بلاد اليمن كثير الأشجار فنزل به ، حتى جنته الليل ، وكان في جمع قليل من أصحابه ، وكان الوادى الذى نزل به من مساكن الجنّ . فلما مضى بعض الليل سمع همهمة الجنّ ، فقام ونادى : يامعشر الجنّ ، قد نزلتُ بكم الليلة على أن تُضيفوني فإنى جائر لكم ، فأسمعوني من أشعاركم . قال : فأنشدته الجنّ من أشعارها ، وجاءته عميرة بنت عمير ملك الجنّ على أحسن صورة . فلما نظر إليها ذهَل عقله من حسنها ، وغابت عن عينه فشغف بحبها فقال : يامعشر الجنّ ، إن أتم زوجتموها منى وإلا كنت حرباً لكم ما عشت أبداً . فنأدوه : ياذا شرح ، إنك آدمى فكيف تقاتل الجنّ ومسكنهم الهواء وظلمات الأرض ! مهلاً أيها الآدمى لا تعرّض نفسك إلى ما لا تقدر عليه وأرجع ، فإن قُدِّر لك أمر فسوف تناله . فلما سمع ذلك أيس

(١) يقع هذا في نحو الجزء السابع عشر من أجزاء هذه الطبعة .

من الترويح وأخذ في مستأنف أمره في مؤالفة الجن ، فكان يُهاديهم بما يصلح لهم  
 من الهدايا ، فصافاه عُمر ملك الجن وآخاه وألفه حتى صار عنده كالأخ . فلما رأى  
 ذلك ذو شَرَح وأنه قد تمكن من ملك الجن قال له : هل لك أن تزوجني أبتك  
 عميرة ليكون لي في ذلك شرف إلى الممات ! فرغب فيه عُمر ملك الجن لحسنه وجماله  
 وشرفه وماله ، فزوجه أبتة بحضرة سادات الجن . وأنصرف ذو شَرَح إلى مدينة  
 سبأ وأهدى هدايا كثيرة إلى ملك الجن وسادات قومه ، ثم زفت إليه فوطئها  
 فحملت منه .

### ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ملكها

قال : وولدت عميرة بنت ملك الجن بلقيس بنت ذى شَرَح على أحسن ما تكون  
 من الصَّوَر ، ثم ماتت أمها بعد ذلك بقليل ، فربتها الجن . فلما بلغت مبلغ النساء قالت  
 لأبيها : إني كرهت المَقَام عند الجن فأحملني إلى بلاد الإنس فإنهم أحب إلي .  
 فقال لها : إن للإنس مآكلاً ظالماً وذكر لها سنته في بلاد قومه ، وأنه يفتض الأبقار  
 ثم يردها إلى أهلها . قالت : لا تخش ذلك عليّ وأنقلني ، وسترى ما يكون مني . فبنى  
 لها قصرًا خارج مدينة سبأ من أعظم ما يكون من الأبنية ، وأتخذ لها عريشًا من  
 العاج والآبنوس والذهب والفضة ، ونقلها إلى القصر وأتخذ لها أواني الجواهر .  
 فأقامت بلقيس في قصرها زمنًا طويلًا ، وانتشر خبرها إلى ملك سبأ ، فركب  
 في موكبه حتى وقف على باب القصر ورأى حُسْنَ بِنائِه ، فرجع وأرسل بجارية من  
 جواريه إلى بلقيس ، فدخلت عليها ونظرت إليها وإلى ما في قصرها من التَّحَفِ  
 العظيمة وما عندها من جوارى الإنس والجن ، فعادت إلى الملك وأخبرته بما هي  
 عليه من الجمال وأنها أبنة وزيره . فأحضره وأنكر عليه وقال : كيف آتخذت

- مثل هذا القصر ولك مثل هذه البنت وأنت وزيرى ولم تعلمنى ولا استأذنتنى  
 فى بنائه ! . فقال : أيها الملك ، أتما القصر فإنى أنفقت عليه المال الذى ورثته  
 من أبى . وأتما البنت فإنها أبنه عميرة بنت ملك الجن ، ورغبت فى السكن فى بلاد  
 الإنس ، فحملتها الى هذا المكان ، فهذه قصتها . فقال : صدقت فزوجنيها ولا بد  
 من ذلك . فقال : أحتاج فى ذلك إلى إذنها . قال : استأذنها . بجاء إليها وقال :  
 يا بُنَيَّة ، قد وقعتُ فيما كنت أخشاه عليك ، وذكر لها مقالة الملك . فقالت :  
 زوجنى منه ولا تخف ، فإنه لا يصل إلى . فزوجها منه بحضور أكابر أهل المملكة .  
 ولما تم التزويج كتب الملك كتابا إليها يقول : إنى قد عشتُ اسمك قبل أن  
 أنظر إليك ، فإذا قرأت هذه الرقعة فعجلى بحضورك إلى . فكتبت إليه : إنى  
 لمشتاقة إلى وجهك أشوق منك إلى ، غير أن قصرى هذا هو من بناء الجن ، وفيه  
 عجائب كثيرة ، وقد جمعت فيه مالا يصلح إلا لملك . فإن رأيت أن نتحول إلى قصرى  
 فافعل . فلما ورد جوابها عليه ركب لوقته فى حشمه وجنوده وسادات قومه .  
 فبلغ بلقيس فقالت لأبيها : امضى إلى الملك وقل له : إن أبنتى من بنات الجن  
 ولم تنظر قط إلى مثل هذه الجنود ، ففرق هؤلاء وأدخل إليها منفردا . فقال ذلك  
 للملك ، ففرق جنوده وأتى إليها بمفرده ، ودخل القصر وله سبعة أبواب . وكانت  
 بلقيس قد جعلت عند كل باب جارية من بنات الجن من أحسن ما تكون من  
 النساء ، وفى أيديهن أطباق الذهب فيها الدنانير والدرهم والطيب ، وأمرتهن أن  
 ينثرن ذلك على الملك . فلما دخل توهم أن كل واحدة منهن أمرته وهم بالتزول  
 عليها ، فتقول : أنا خادمتها وهى أمامك ، حتى انتهى إلى آخر الأبواب ، فتقدمت  
 إليه جارية وأصعدته إلى العرش ، فنظر إلى القصر وما فيه من الآلات والزينة ،  
 فرأى ما لم يخطر بباله . ثم أقبلت بلقيس والحوارى بين يديها ينثرن على الملك من

١٥  
١٣

أنواع النثار وعلى رأسها تاج ، فصعدت على عرشها . فلما رآها الملك قُتن بها وكاد  
يذهل عقله . وأخذت في محادثته وملاعبته ، ثم أمرت بالطعام فأحضروا بين يديه .  
فامتنع من الأكل وقال : ما أريد أن أغفل عن وجهك . فأمرت بإحضار الشراب  
فأتى به في آلات الجوهر النفيس . وأخذ في الشرب ، فلم تزل به حتى أسكرته وغاب  
عن عقله ووقع على قفاه لا يعقل من أمره شيئاً . فذبحته بلقيس ، ثم دعت بأبيها وأعلمته  
بما فعلت . ففرح وكتب إلى خزان الملك عن الملك : إني قد أحببت الزول  
بهذا القصر فأجمعوا ما في الخزائن من الأموال وأنفذوه إلى عندي . فجمعوا الأموال  
وأنفذوها إلى القصر . ثم أمرت بعد ذلك باتخاذ الأطعمة فصنعت ودعت سادات  
ملوك اليمن . فلما جلسوا قدمت إليهم الأطعمة فأكلوا ، ثم قدم إليهم الشراب  
فشربوا . فلما أخذ منهم أشرفت بلقيس عليهم وقالت : إن الملك يأمركم أن  
توجهوا إليه بنسائكم وبناتكم . فغضبوا وقالوا : أما يكفيه أنه فضح بنات العرب  
حتى طمع فينا نحن ! . فقالت لهم : لا تغضبوا حتى أرجع إليه وأعرفه غضبكم .  
ثم أمرت أن يعاد عليهم الشراب ثانياً فشربوا ساعة ، فعادت إليهم وقالت :  
قد أخبرت الملك بغضبكم ومقاتلكم فقال : لا بد من ذلك . فأزداد القوم غضباً  
وصاحوا . فقالت : على رسلكم حتى أراجعه وأسأله . ومضت وعادت فقالت :  
إني عدت إلى الملك فوجدته قد نام ، فما رأيكم في أمر أفعله وأريحكم مما أتم  
فيه من شره على أن تملكوني على أنفسكم ؟ قالوا نعم . فحلفتهم على ذلك وأخذت  
عليهم العهود والمواثيق ، وغابت ساعة وعادت ومعها رأس الملك فألقته إليهم ،  
ففرحوا بذلك وأستبشروا وملكوها عليهم . فملك بضعة عشرة سنة حتى بعث الله  
سليمان نبياً .

(١) في الكسائي : « وأتوني بها » وهي أفصح لغة .

## ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها

قال : وكان سبب اتصال خبرها بسليمان عليه السلام أنه بينما هو يسير على بساطه ، وكان الهدهد دليله على الماء لأنه يراه من عدة فرائخ ، فارتفع في الهواء لطلب الماء ، فنظر الى هدده قد أقبل من ناحية اليمن ، فالتقيا . فقال له الهدهد السليمانى : من أين أنت ؟ قال : من اليمن . وسأله الآخر فقال : أنا من الشام من طيور الملك سليمان . قال : ومن سليمان ؟ قال : نبي الله ملك الجن والإنس والطيور وجميع المخلوقات . قال : إن هذا ملك عظيم . قال : وهل فى اليمن ملك ؟ قال : نعم ، ملكة يقال لها « بلقيس » تحت يدها عشرة آلاف قائد ، تحت يد كل قائد كذا وكذا ألفا من العساكر .

١٠ وحكى الثعلبى أنه قال لما أخبره بملك سليمان : إن لصاحبكم ملكاً عظيماً ، ولكن ليس ملك بلقيس دونه ، فإنها ملكة اليمن وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قبل مائة ألف مقاتل — والليل هو القائد باغة أهل اليمن — فهل أنت منطلق معى حتى تراها ؟ قال نعم . فأنطلق الهدهدان حتى أتيا بلاد اليمن وصارا إلى قصرها ، فنظر إليها [الهدهد السليمانى] وإلى قصرها وملكها . وحضر وقت الصلاة لسليمان فلم يجد الهدهد ، فقال ما أخبر الله به عنه : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ۝ ١٥ ۝ ١٠ ﴾ (١) أى بحجة بينة . ثم دعا العقاب وقال : أنت عريف الطير ، فتعرف لى خبر الهدهد . فطار فى الشرق والغرب ، وإذا هو بالهدهد قد أقبل من جهة اليمن ، فجاء به إلى سليمان . فاستخبره عن سبب غيبته فقال : « أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ

يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم .  
 وذ كر صفة عرشها وما فيه من أصناف الجواهر وغيرها ثم قال : « وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا  
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وخر ساجداً لله ، ثم رفع رأسه وقال : « أَلَا يَسْجُدُوا  
 لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ<sup>(١)</sup> فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . قال سليمان : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ  
 أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ » ! . ثم سأله عن الماء فقال : هو تحت قائمة كرسيك .

فأمر سليمان بتحويل البساط ، حَقُول ونقر الهدهد بمنقاره نخرج الماء ، فشرب الناس  
 وصلوا . ثم قال للهدهد : « اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ  
 مَاذَا يَرْجِعُونَ » وأقبل سليمان على آصف بن برخيا وقال : اُكْتُبْ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ

١٦  
١٢

كِتَابًا لَطِيفًا . فدعا بصحيفة من فضة وكتب : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنه من  
 سليمان . أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مَسْلَمِينَ » . وختم الكتاب وبعثه مع الهدهد في زُمرَةٍ من  
 الطير ، فأقبلوا نحو اليمن وأنقضوا على قصرها ، ودخل الهدهد إلى قُبَّتِهَا مِنْ كُوَّةٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ  
 كَوَى الْقُبَّةِ وَهِيَ نَائِمَةٌ ، وَقَسِدَ وَضَعَتْ خَاتَمَ مُلْكِهَا عَلَى صَدْرِهَا ، فَوَضَعَ الْكِتَابَ  
 عَلَى نَحْرِهَا وَطَارَ . فلما استيقظت أخذت الكتاب وجمعت قومها ثم قالت : « إِنِّي  
 أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ » وفتحته وقالت : إنه من سليمان ، وقرأته عليهم وعلمت أنه  
 مِنْ قِبَلِ رَجُلٍ عَظِيمٍ . وجمعت أكابر قومها وأهل العقل والعلم الذين في مملكته  
 و « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ » . قالوا  
 نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » . فعلمت عند  
 ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَلُوا الرَّأْيَ فِي عَزْمِهِمْ عَلَى الْحَرْبِ وَ « قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا  
 قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ  
 فَنَظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ » .

(١) خب الأرض : نباتها . وخب السماء : مطرها . (٢) الكوة : الخرق في الخائط .



قال : وأرادت أن تختبر حال سليمان عليه السلام فقالت : إن طلب الدنيا أرضيناه بالمال وصرفنا أذاه عنا ، وإن كان من الأنبياء ولم ترغبه الدنيا لم يكن لنا أمرٌ إلا الطاعة له ، فمَضَوْا على رأيها ، فأمرت بآخذ الهدايا . فعاد الهدهد إلى سليمان وأخبره بما كان من أمرها مع قومها . فأمر سليمان أن يُفرش مِبدانه بِلَبَنِ الذهب والفضة ، وأن يُبنى حول المِبدان حائِطٌ من الفضة شُرْفاته من الذهب ، على كل شُرْفَةٍ تاجٌ من الذهب مرصع بالجوهر ، وأمر الجن أن يأتوا بأولادهم من الذكور والإناث ، وأمر بإحضار كل فرس عجيب الخلق .

قال الثعلبي : إن سليمان عليه السلام سأل الجن عن أحسن دوابٍ رأوها في البحر . قالوا : رأينا دوابً في بحر كذا وكذا منكرة منقطة مختلفة ألوانها ، لها أجنحة وأعراف ونواصٍ . قال : على بها الساعة ، فأتوه بها . قال : شدوها عن يمين المِبدان ويساره ، ففعلوا . قالوا : وأمر سليمان الشياطين أن يُظهروا من التهويلات ما لم يُظهروه قبل ذلك اليوم .

قال الكيساني : وكانت بلقيس قد أعدت مائة لينة من الذهب ، ومائة لينة من الفضة ، ومائة غلام أمرد ، لكل غلام ضفائر كضفائر النساء ، ومائة وصيفة مضمومات الشعر .

قال الثعلبي : وأختلفوا في عددهم ، فقال الكلبي : عشرة غلمان وعشر جوارٍ . وقال مقاتل : مائة وصيف ومائة وصيفة . وقال مجاهد : مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب : خمسمائة غلام وخمسمائة جارية . وألبست الغلمان ثياب الوصائف ، وألبست الوصائف ثياب الغلمان .

وقال الثعلبي : قال وهب وغيره من أهل الكتب : عمدت بلقيس إلى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام ، فألبست الجوارى لباس الغلمان ، وألبست الغلمان

لباس الجوارى ، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب ، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب ، وفي آذانهم أقراطاً وشنوفاً<sup>(١)</sup> من ذهب مرصعة بالوان الجواهر ، وحملت الجوارى على خمسمائة رَمَكَةٍ<sup>(٢)</sup> والغلمان على خمسمائة بِرْدُونٍ ، على كل فرس لحام من ذهب مرصع بالجواهر ، وغواشيها من الديباج الملوّن ، وبعثت إليه خمسمائة كَبِينَةٍ من ذهب ، وخمسمائة لَبِينَةٍ من فضة .

قالوا : وعمدت الى تاج من ذهب مرصع بالجواهر ، ومائة فرس من جياذ خيول اليمن ، عليها براقع الحرير وأجلة الديباج ، وبعثت بحقة من ذهب فيها دُرّة غير مثقوبة ، وجرع يمانى مثقوب معوج الثقب<sup>(٣)</sup> ، [وقارورة] وبعثت ذلك مع وزيرها ، وكتبت جواب كتاب سليمان وقالت : قد بعثت إليك بمائتي وصيف ووصيفة على سن واحدة ، وأحب أن تميز ذكورهم من إناثهم من غير أن تكشف عنهم ، ودُرّة غير مثقوبة تأمر من يثقبها من غير أن تستعين بأحد من الإنس والجن والشياطين ، وجرع مثقوب تدخل فيه خيطاً ، وقارورة تملؤها ماءً ما نزل من السماء ولا ينبع من الأرض .

فلما جاء الرسول ونظر الى ميدان سليمان وحيطانه وما على شرفاتها من التيجان والخيول حول الميدان ، دخل على سليمان بالجوارى والغلمان والحقة والقارورة ، ولم يظهر الذهب والفضة والخليل لأنه استحققها بالنسبة إلى ما رآه .

(١) الاشناف جمع شنف ( بفتح الشين المعجمة وسكون النون ) وهو ما يعلق في أعلى الأذن .  
وأما ما يعلق في أسفلها فهو قرط ( بضم القاف وسكون الراء المهملة ) .

(٢) الرمكة : الفرس .

وقال الثعلبي : إنه كان مما بعثته خمسمائة لينة من ذهب ، وخمسمائة لينة من فضة . قال : فلمّا دنا القوم من الميدان ونظروا الى مُلْك سليمان ورأوا الدوابَّ تَرَوْتُ على لَيْنِ الذهب والفضة رموا ما معهم من الهدايا . قال : وفي بعض الروايات أنّ سليمان لمّا أمر بفراش الميدان بلَيْنِ الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللَّيْنَات التي معهم . فلمّا رأت الرسل موضع اللَّيْنَات خالياً وكل الأرض مفروشة خافوا أن يُتَّهَمُوا بذلك ، وطرحوا ما معهم في ذلك المكان .

$$\frac{17}{12}$$

قال : ثم مرّوا على الشياطين ، فلمّا نظروا إليهم فزعوا . فقليل لهم : جُوزُوا فلا بأس عليكم . وكانوا يمتزون على كُرْدُوسٍ<sup>(١)</sup> كُرْدُوس من الجنّ والإنس والطير والسباع والوحش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام .

قال الكِسَائِيُّ : فُقِّدَ الكتابُ إلى سليمان ، فأخبر سليمانُ الرسولَ بما فيه قبل فتحه وقراءته ، وميّز الوَصَفَاء من الوَصَائِف ، وأمر دودةً فنقبت الدّرة وأدخلت الخيط في الجَزَع ، وأمر أن تُساق الخيلُ حتى تعرق وتُمَلَأ القارورة من عرقها ، وأقبل على وزير بلقيس وقال : ارجعْ إلى صاحبك بما جئت به من الهدية وقل لها : « أتمدوني بمالٍ فما آتاني اللهُ خيراً ممّا آتاكم بلّ أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بخنودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون » . قال : فعاد الوزير إليها بما جاء به من الهدية وأخبرها بما كان من أمر سليمان . فقالت لقومها : هل علمتم الآن أنّ رأيي كان أصوب من رأيكم في ترك المحاربة ؟ ومن أين لنا طاقةٌ بحرب نبيّ !! ثم جمعت أموالها وكنوزها وأستصحبته ذلك معها .

(١) الكردوس : الكتبية من الخيالة .

إلا عرشها فإنها تركته بقصرها وأغلقت عليه سبعة أبواب وسارت إلى سليمان ومعها ملوك اليمن وأكابرها وساداتها، فبلغ ذلك سليمان .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى : شخّصت بلقيس إلى سليمان عليه السلام في آثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل منهم مائة ألف . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وكان سليمان رجلاً مهيباً ، لا يتبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه . نخرج يوماً بجلوس على سرير ملكه فرأى رجلاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس . قال : وقد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ .

قال : فأقبل حينئذ سليمان على جنوده فقال : « يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ يَا تُبْنِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » قال : أريد أسرع من ذلك . « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ — وَهُوَ آصِفُ بْنُ بَرْخِيَا — أَنَا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » . قال : وكان عنده اسم الله الأعظم . « فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » . ثم قال سليمان : « نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ » . فأقبل عفريت من الجن وقال : يا نبي الله ، إن رجليها كخافر حمار . قال له سليمان : إن كان ذلك كما قلت وإلا عاقبتك . قال : يا نبي الله ، أريد أن ألتخذ لك صرحاً<sup>(٢)</sup> من قوارير ، وأجرى فيه ماء ، وأنزل فيه الحيتان والسمك ، فلا يشك من رآه أنه

٢٠ (١) الحج : الغبار أو ما أثير منه .

(٢) الصرح : القصر .

ماءٌ جارٍ ، فَاتَّخَذَهُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ شَكَرَهُ . فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَعْفُ عَنِّي فَإِنِّي كَذَبْتُ عَلَى بَلْقَيْسَ فِي رِجْلَيْهَا ، فَعَفَا سَلِيمَانُ عَنْهُ .

وَأَقْبَلَتْ بَلْقَيْسُ بِجَعَاتٍ تَنْظُرُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ قِيَامٌ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمَّا قَارَبَتِ الصَّرْحَ الْمُرْدَّ إِذَا بِعَرْشِهَا ، فَتَعَجَّبَتْ . فَقِيلَ : أَهَكَذَا عَرْشُكَ ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَأَنَّهُ مِنْ قُدْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

قَالَ : فَلَمَّا أَقْبَلْتُ إِلَى الصَّرْحِ حَسِبْتُهُ جُلَّةً وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا . فَنَادَاهَا سَلِيمَانُ : إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَزَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ . فَأَرْسَلْتُ ثَوْبَهَا عَلَى سَاقِيهَا حَيَاءً مِنْ سَلِيمَانَ ، ثُمَّ « قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ثُمَّ أَسْلَمَ قَوْمُهَا .

١٠ قَالَ الشَّعْلَبِيُّ : ااخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَمْرِهَا بَعْدَ إِسْلَامِهَا ، فَقَالَ أَكْثَرُهُمْ : لَمَّا أَسْلَمْتُ بَلْقَيْسُ أَرَادَ سَلِيمَانُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا . فَلَمَّا هَمَّ بِذَلِكَ كَرِهَ مَا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ شَعْرِ سَاقِيهَا وَقَالَ : مَا أَقْبَحَ هَذَا ! . فَسَأَلَ الْإِنْسَ : يَمَّ يَذْهَبُ هَذَا ؟ فَقَالُوا : بِالْمَوْسَى . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : لَمْ يَمَسِّنِي الْحَدِيدُ قَطُّ ، فَكَرِهَهُ سَلِيمَانُ . فَسَأَلَ الْجَنِّ ، فَقَالُوا : لَا نَدْرِي . فَسَأَلَ الشَّيَاطِينَ فَمَكَرُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَحْلَحَ عَلَيْهِمْ قَالُوا : نَحْنُ نَحْتَالُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ كَالْفَضَّةِ الْبَيْضَاءِ ، فَاتَّخَذُوا لَهَا النُّورَةَ<sup>(١)</sup> وَالْحَمَامَ . قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ١٥

هُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ أُتُّخِذَتْ فِيهِ النُّورَةُ . وَقَالَ الْكِسَائِيُّ فِي سِيَاقَةِ خَبَرِهِ : ثُمَّ قَالَتْ بَلْقَيْسُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَرَى خَاتَمَكَ مَنقُوشًا ، فَمَا الَّذِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . قَالَتْ : وَمَنْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَأَمَنْتُ

١٨  
١٢

(١) النُّورَةُ : حَجَرُ الْكَلَسِ ثُمَّ غَلَبَ عَلَى أَخْلَاطِ تَضَافُ إِلَى الْكَلَسِ مِنْ زَرْنِيخٍ وَغَيْرِهِ وَيُسْتَعْمَلُ لِإِزَالَةِ

بلقيس به . ثم قال لها بعد إيمانها : أتحبين أن ترجعي إلى بلادك وما كنت فيه؟  
قالت : لا ، بل أكون معك من بعض نسائك ، فترج بها سليمان عليه السلام .

هذا ما أورده الكسائي . وفيه زيادات نقلها أبو إسحاق الثعلبي قد ذكرناها  
في أثناء القصة ونبها عليها ونسبناها إلى قائلها . وحكى الثعلبي أيضا في هذه القصة  
زيادات قد رأينا إثباتها ؛ فمن ذلك وصف قصرها وعرشها .

### ذكر صفة القصر الذى بنته بلقيس وصفة عرشها

قال أبو إسحاق الثعلبي قال الشعبي : يروى أن بلقيس لما ملكت أمرت  
خُيَل إليها خمسمائة أسطوانة من الرُخام ، كلُّ أسطوانة خمسون ذراعا ، وأمرت  
بها فنُصبت على تل قريب من مدينة صَنْعَاء ، وَخَطَّت بين كلِّ أسطوانتين عشرة  
أذرع ، ثم جعلت على ذلك سَقْفًا مَبْسُوطًا بِالْأَوْاحِ الرُّخَامِ وَالْحِمَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ  
بِالرِّصَاصِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا لَوْحٌ وَاحِدٌ . ثُمَّ بَنَتْ فَوْقَ ذَلِكَ قَصْرًا مَرْبَعًا مِنْ آجُرٍّ  
وَجَعَلَتْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ قُبَّةً مِنْ ذَهَبٍ مُشْرِفَةً فِي الْهَوَاءِ ، وَفِي بَيْنِ ذَلِكَ  
مَجَالِسُ حَيَاطُنِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ مُرَصَّعَةً بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ الْمَلَوْنَةِ ، فَكَانَتْ الشَّمْسُ  
إِذَا طَلَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ أَلْتَهَبَ الذَّهَبُ وَالْجَوْهَرُ فَيَكَادُ يُعْشِي الْعَيُونَ وَتَحَارُ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ . وَجَعَلَتْ بَابَ ذَلِكَ الْقَصْرِ مِمَّا إِلَى الْمَدِينَةِ بِدَرَجٍ مِنَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ  
وَالْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ ، وَفِي جَانِبِهِ حُجْرًا لِحُجَّابِهَا وَبَوَابِهَا وَحَرَسِهَا وَخَدَمِهَا وَحَشَمِهَا عَلَى  
قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ .

قال : وأما صفة عرشها فكان مُقَدَّمُهُ مِنْ ذَهَبٍ مَفْصَّصٌ بِالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ  
وَالزُّمُرَّدِ الْأَخْضَرِ ، وَمُؤَنَّرُهُ مِنْ فِضَّةٍ مَكَّالٍ بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ ، وَلَهُ أَرْبَعُ قَوَائِمَ :

قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أصفر، وقائمة من زمرد أخضر، وقائمة من درّ أصفر، وصفائح السرير من ذهب . وعليه سبعة بيوت، على كل بيت باب مغلّق، وكان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً، فذلك قوله : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . أى سرير ضخم .

### ذكر خبر وادى القردة

قال الكسائي : وبنينا سليمان عليه السلام مع بلقيس ذات يوم إذ قال لها : أكل اليمن في طاعتك ؟ قالت : نعم ، إلّا وادٍ عن يمين سبأ ، فيه أشجار ومياه غلبت عليه القردة وأزاحوا عنه سُكَّانه ، وهو وادٍ طويل عريض ، وهم في كثرة ، وإنهم على سنن اليهود لا يتبايعون يوم السبت . فبعث سليمان العقاب ليأتيه بخبرهم . فطار إلى الوادى وعاد إليه قبل أن يقوم من مقامه ذلك ، وأخبره بكثرتهم . فركب سليمان الريح على بساطه في قبة القوارير ، وسار في نفر من بني إسرائيل حتى نزل على شفير الوادى ، فعلم القردة أنه سليمان ، فبادروا إلى طاعته وأتوه ، وقالوا : يا نبي الله ، إنا من نسل اليهود الذين أعتدوا في السبت ، ونحن على دين موسى نعمل بأحكام التوراة ، وسألوه أن يُقرّهم في ذلك الوادى ، فأقرهم فيه وكتب لهم سجلاً على لوح من نحاس وجعله في عُنق كبيرهم يتوارثونه ، ثم أنصرف عنهم . هكذا نقل . والصحيح أن الذين أعتدوا في السبت وغيرهم ممن مُسِخ لم يُعقبوا . وفي الصحيح : إن الله لم يجعل لمسيح<sup>(١)</sup> نسلًا .

(١) مسيح ، أى مسوخ .

## ذكر خبر الرجل الذي قبض بأرض الهند

- ١٩ قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام قد سأل الله تعالى أن يرّيه ملك الموت فأراه إياه، وكان يعودده ويأتيه في كل خميس. فأتاه في بعض الأيام على صورة البشر، وجعل يطيل النظر إلى رجل في مجلس سليمان حتى اربع ذلك الرجل. فلما فارق ملك الموت قال: يا نبي الله، لقد فرغني هذا الرجل الذي كان في مجلسك من نظره إليّ، فمن هو؟ قال: هو ملك الموت. قال: يا نبي الله أسألك أن تأمر الريح أن تحملني إلى أرض الهند، فأمرها سليمان فحملته من مجلسه ووضعه بأرض الهند. ثم جاء ملك الموت إلى سليمان، فقال له: قد كنت اليوم عندي وأنت تنظر إلى ذلك الرجل نظراً شافياً حتى خاف منك. قال: يا نبي الله، إني كنت قد أمرت بقبض رُوحه في موضع من أرض الهند في هذا اليوم، فلما رأيته عندك عجبْتُ متى يصل إلى الهند، فإذا الريح قد جاءت به، فألقته في البقعة التي أمرت بقبض رُوحه فيها، فقبضت رُوحه هناك. فعجب سليمان عليه السلام من ذلك.

## ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه

- ١٥ قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام كلما نزل بمنزل من البراري بنيت الجن والشياطين له قصرًا بديعًا، فإذا تحول عنه خربوه. وكان له قصر على ساحل البحر من بناء الجن، فأمرهم أن يتركوه على حالته. بخاء سليمان إلى ذلك القصر فنزله، وكان صخر الجنى معه وهو شديد الحرص على أن يسلبه الخاتم؛ لأنه كان قد علم أن ملكه في خاتمه. وكان لسليمان جارية اسمها «الأمينة» فكان إذا أراد الدخول إلى الخلوة بنسائه يسلم الخاتم إليها، فإذا اغتسل أخذ خاتمه منها، وكذلك إذا أراد الوضوء. بخاء سليمان في بعض الأيام فنزل ذلك القصر وأراد



الوضوء، فدفَعَ الخاتم إلى الجارية . فجاء صخرٌ وقد أُلْقِيَ على نفسه صورة سليمان ، فقال للجارية : هاتِ الخاتمَ ، فناولته إياه وهي لا تعلم . فلما صار الخاتمُ في يد صخر لم يستقر في يده لأنه شيطان ، فرماه في البحر ، فجاء حوتٌ بإذن الله فأبتَلَعَهُ . ومضى صخر وهو على صورة سليمان يجلس على كرسيه ومعه الناس وهم يظنون أنه سليمان ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾<sup>(١)</sup> قيل : الجسد هو صخر الجنى .

- قال : وخرج سليمان من الخلاء وقد غير الله صورته إلى صورة صخر ، فطلب الخاتمَ ، فقالت الجارية : أعوذ بالله منك ، قد دفعتُ الخاتمَ إلى سليمان . فعلم أن الله قد أوقع به البلية ، فخرج يريد القصر ويقول للناس : أنا سليمان ، والناس يهزءون بقوله ويقولون : لستَ سليمان أنت صخر الجنى . بفعل سليمان يدور على جميع الناس وهم على كلمة واحدة في إنكاره ، وجعل يدور في القرى ويقول : أنا سليمان والناس يَسْتَمُونَهُ حتى لَزِقَ بطنُه بظهره من الجوع ، فقال : إلهي إنك آبتليت كثيرا من الأنبياء ولم تحرمهم رزقك . إلهي إنني تائب إليك من خطيئتي . فلم يزل سليمان كذلك أربعين يوما لم يَطْعَمْ شيئا ، ثم وجد قُرْصَةً يابسةً مُلَقَاةً ، فأخذها ولم يقدر على أكلها ليُبْسِها ، فأقبل إلى ساحل البحر وقعد يبُلُّ القرصة فأستلبتها الأمواج من يده .
- فقال : إلهي رزقتني بعد أربعين يوماً قُرْصَةً يابسةً نزلتُ حتى أبلَّها فأستلبتها الأمواج من يدي وأنت المتكفل بأرزاق العباد ، وأنا عبدك المذنب ، فارزقني فأنت الرزاق الكريم . ثم جعل يمشي على الساحل وهو يبكي ، فإذا هو بقوم يصطادون السمك ، فسألهم شيئا من الطعام فمنعوه وطرده وقالوا له : انصرف عنا ، فما رأينا أوحش من وجهك . قال : ما عليكم من وجهي إذا أطعمتموني؟! . قالوا : وحقَّ سليمان

- ٢٠  
١٢
- إِنْ قُمْنَا إِلَيْكَ لَنُوجِعَنَّكَ ضَرْبًا إِنْ لَمْ تَرْحَ عَنَّا . قَالَ : يَا قَوْمَ ، فَأَنَا وَاللَّهِ سَلِيمَانُ .  
فَضْرَبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : أَتَكْذِبُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ! فَبَكَى حَتَّى بَكَتِ الْمَلَائِكَةُ  
لِبَكَائِهِ وَرَحِمَهُ أَوْلَئِكَ الْقَوْمُ وَنَاولوه سَمَكَةً وَأَعْطَوْهُ سَكِينًا ، فَشَقَّ بَطْنُهَا لِيَصْلَحَهَا  
وَيَسْوِيَهَا وَيَأْكُلَهَا ، فَخَرَجَ الْخَاتَمُ مِنْ بَطْنِهَا فَغَسَلَهُ وَجَعَلَهُ فِي إصْبَعِهِ ، وَعَادَ إِلَيْهِ حَسَنُهُ  
وَجَمَالُهُ ، فَوَضَعَ السَّمَكَةَ وَسَارَ يَرِيدَ قَصْرَهُ ، فَجَعَلَ يَمْزُ بِتِلْكَ الْقُرَى ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ قَدْ  
أَنْكَرَهُ عَرَفَهُ وَتَجَدَّدَ لَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ صَخْرًا الْجَنَى فَهَرَبَ . وَعَادَ سَلِيمَانُ إِلَى قَصْرِهِ وَاجْتَمَعَ  
لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَالسَّبَاعُ وَالْهَوَامُّ كَمَا كَانُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ . فَبَعَثَ الْعِفَارِيتَ  
فِي طَلَبِ صَخْرَافَاتِهِ بِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يَنْقُرُوا لَهُ صَخْرَتَيْنِ وَصَفْقَدَهُ بِالْحَدِيدِ وَجَعَلَهُ بَيْنَهُمَا  
وَأَطْبَقَهُمَا عَلَيْهِ وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِهِ وَطَرَحَهُ فِي بُحِيرَةٍ طَبَرِيَّةٍ . فَيَقَالُ : إِنَّهُ فِيهَا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الرِّيحَ أَنْ تَحْشُرَ لَهُ سَائِرَ الشَّيَاطِينِ فَخُشِرَتْ لَهُ ، فَصَفَّقَدَ  
مَرَدَّتَهُمْ بِالْحَدِيدِ وَحَبَسَهُمْ . هَذَا مَا أوردته الْكِسَائِيُّ فِي قِصَّةِ الْفَتْنَةِ ، وَهُوَ أَوْلَى  
مَا أوردته وَأَشْبَهَ مَا نَقَلَ .
- ١٠
- وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي خَبَرِ الْفَتْنَةِ قَالَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ  
بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : سَمِعَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ فِي جَزِيرَةٍ  
مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ «صَيِّدُونَ» مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ  
عَلَيْهِ سَبِيلٌ لِمَكَانِهِ فِي الْبَحْرِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ فِي مِثْلِهِ ،  
وَفِيهَا عَجَائِبُ كَثِيرَةٌ وَأَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ ، وَفِي وَسْطِهَا مَجْلِسٌ عَلَى عِمَدٍ مِنْ مَرْمَرٍ مَلُونٍ ،  
وَالْمَجْلِسُ مِنْ ذَهَبٍ مَفْصَلٌ بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ يُشْرَفُ عَلَى جَمِيعِ الْجَزِيرَةِ . وَقِيلَ :  
إِنَّهُ كَانَ سَاحِرًا ، فَبَكَتِ الْجَنُّ تُطِيفُ بِهِ وَتَعْمَلُ لَهُ الْعَجَائِبَ ، فَدُلَّ سَلِيمَانُ  
عَلَيْهَا فَغَزَاهُ .
- ٢٠

(١) كَذَا فِي الْكِسَائِيِّ . وَفِي الْأَصُولِ : « تَمَرٌ » .

- نَرْجِعُ إِلَى سِيَاقِ الثَّعْلَبِيِّ قَالَ : فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ إِلَى الْجَزِيرَةِ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ حَتَّى نَزَلَ بِهَا بِجَنُودِهِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، فَقَتَلَ مَلَكَهَا وَسَبَى مَا فِيهَا ، وَأَصَابَ فِيهَا أَصَابَ بِنْتَ الْمَلِكِ وَأَسْمُهَا «جَرَادَةُ» لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهَا حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَأَصْطَفَاهَا سُلَيْمَانُ لِنَفْسِهِ ، وَدَعَاَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ عَلَى جَفَاءٍ مِنْهَا وَقَلَّةٍ ثَقَّةٍ ، وَأَحَبَّهَا سُلَيْمَانُ حُبًّا لَمْ يَحِبَّ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ ، وَكَانَتْ مَنَزَلَتُهَا عِنْدَهُ مَنَزَلَةً عَظِيمَةً ، وَكَانَ لَا يَذْهَبُ حَزْنُهَا وَلَا تَرْقَا <sup>(١)</sup> دَمْعُهَا هـ عَلَى أَبِيهَا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ وَقَالَ لَهَا : وَيْحَكِ ! مَا هَذَا الْحَزْنُ الَّذِي لَا يَذْهَبُ ، وَالْدَمْعُ الَّذِي لَا يَرْقَا ! . قَالَتْ : إِنِّي أَذْكُرُهُ وَأَذْكُرُ مُلْكَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ وَمَا أَصَابَهُ فَيَحْزُنُنِي ذَلِكَ . قَالَ سُلَيْمَانُ : فَقَدْ بَدَّلَكَ اللَّهُ مُلْكًا أَعْظَمَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَسُلْطَانًا أَعْظَمَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَهَذَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ . قَالَتْ : إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ إِذَا ذَكَرْتَهُ أَصَابَنِي مَا تَرَى مِنَ الْحَزَنِ . وَلَوْ أَنَّكَ أَمَرْتَ الشَّيَاطِينَ فَصَوَّرُوا لِي صُورَتَهُ فِي دَارِي أَرَاهَا بُكَرَةً وَعَشِيَّةً لَرَجَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يَسْكُنَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي . فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الشَّيَاطِينَ أَنْ يُمَثِّلُوا صُورَةَ أَبِيهَا فِي دَارِهَا حَتَّى لَا تَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَمَثَلُوهُ لَهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى أَبِيهَا بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا رُوحَ فِيهِ . فَعَمَدَتْ إِلَيْهِ حِينَ صَنَعُوهُ فَأَزْرَتْهُ وَقَمَصَتْهُ وَعَمَمَتْهُ بِمِثْلِ ثِيَابِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُ .
- ١٥ ثُمَّ كَانَتْ إِذَا خَرَجَ سُلَيْمَانُ مِنْ دَارِهَا تَغْدُو عَلَى ذَلِكَ التَّمَثَالِ هِيَ وَلَا تُدْهِأُ فَيَسْجُدُنَ لَهُ كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ ، وَتَفْعَلُ ذَلِكَ بُكَرَةً وَعَشِيَّةً وَسُلَيْمَانُ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وَبَلَغَ ذَلِكَ أَصْفَافَ بْنِ بَرِّخِيَا ، وَكَانَ صَدِّيقًا ، وَكَانَ لَا يُرَدُّ مِنْ بَابِ سُلَيْمَانَ مَتَى أَرَادَ دُخُولَهُ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، فَأَنَاهُ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَثُرَتْ سَنِي ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَنَفَدَ عَمْرِي ، وَقَدْ حَانَ مِنِّي الذَّهَابُ ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقُومَ مَقَامًا قَبْلَ الْمَوْتِ أَذْكُرُ فِيهِ مِنْ مَضَى مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ بِعِلْمِي ، وَأُعَلِّمُ النَّاسَ
- ٢٠

(١) لَا تَرْقَا : أَيْ لَا تَجْفُفُ وَلَا تَنْقَطِعُ .

- ما يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال : افعل . فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا ، فذكر من مضى من أنبياء الله وأثنى على كل منهم بما فيه ، وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى سليمان ، فقال : ما كان أحلمك في صغرك ، وأورعك وأفضلك في صغرك ، وأحكم أمرك في صغرك ، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك ، ثم انصرف .
- فوجد سليمان في نفسه من ذلك . فلما دخل سليمان داره أرسل إلى أصف بن برخيا فقال : ذكرت من مضى من أنبياء الله ، وأثبت عليهم خيرا في كل زمانهم ، وفي كل حال من أمورهم ، فلما ذكرتني جعلت تُثنى عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري ، فماذا أحدثت في آخر أمري ؟ قال : لأن غير الله يُعبد في دارك أربعين يوما في هوى امرأة . قال سليمان : في داري ! قال : نعم في دارك .
- فاسترجع سليمان ثم دخل داره فكسر ذلك الصنم ، وخافت تلك المرأة . ثم أمر سليمان بثياب الطهر فأتى بها ، وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبقار ولا تمسسها امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائبا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد تذللًا لله تعالى وتضرعا إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمسى ، ثم رجع إلى داره . وكان له وليدة يقال لها «الأمينة» ، فكان إذا دخل لحاجته أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمها عندها حتى يتطهر ، فوضعه يوما من الأيام عندها ثم دخل لقضاء حاجته ، فأتاها صخر الجنيّ على صورة سليمان لا يُنكر منه شيء ، فقال لها : يا أمينة ، خاتمي ، فناولته إياه ، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الجن والإنس والطير . وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغير عن حليته وهيئته عند كل من يراه . فقال : يا أمينة . قالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود . قالت : كذبت لست سليمان ، وقد جاء سليمان وأخذ خاتمته وهو جالس على سريرته في ملكه ،

٢١  
١٢

فَعَرَفَ سَلِيمَانُ أَنَّ خَطِيئَتَهُ قَدْ أُدْرِكَتْهُ ، فَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى الدَّارِ مِنْ دُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
فَيَقُولُ : أَنَا سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، فَيَحْثُونُ عَلَيْهِ التَّرَابَ وَيَسْبُونَهُ وَيَقُولُونَ : اُنْظُرُوا  
إِلَى هَذَا الْمَجْنُونِ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَلِيمَانُ . فَلَمَّا رَأَى سَلِيمَانُ ذَلِكَ عَمَدَ إِلَى الْبَحْرِ ، فَكَانَ  
يُنْقَلُ الْحَيَّاتَانِ لِأَصْحَابِ الْبَحْرِ مِنْهُ إِلَى السُّوقِ فَيُعْطُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ ، فَإِذَا أَمْسَى  
بَاعَ إِحْدَى سَمَكَتَيْهِ بِأَرْغَفَةٍ وَيَشْوِي الْأُخْرَى فَيَأْكُلُهَا . فَكُنْتُ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا  
عَدَّةً مَا كَانَ ذَلِكَ الْوُثْنُ فِي دَارِهِ .

قَالَ : وَأَنْكَرَ آصِفُ وَعِظَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ حُكْمَ عَدُوِّ اللَّهِ الشَّيْطَانِ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ .  
فَقَالَ آصِفُ : يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ اخْتِلَافِ حُكْمِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ  
مَا رَأَيْتُمْ ؟ قَالُوا نَعَمْ . قَالَ : أُمَهْلُونِي حَتَّى أُدْخَلَ عَلَى نِسَائِهِ وَأَسْأَلَهُنَّ هَلْ أَنْكَرْنَ  
مِنْهُ فِي خَاصَّةِ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْنَاهُ فِي عَاقَةِ أَمْرِ النَّاسِ . فَدَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَقَالَ : وَيَحْكُنُّ !  
هَلْ أَنْكَرْتُنَّ مِنْ أَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ مَا أَنْكَرْنَاهُ ؟ فَقَالْنَ : أَشَدَّ وَأَعْظَمَ ، مَا يَدْعُ امْرَأَةً  
مَتَا فِي دَمِهَا ، وَلَا يَغْتَسِلُ مِنْ جَنَابَةِ . فَقَالَ آصِفُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،  
إِنْ هَذَا لَهَوُ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : مَا فِي الْخَاصَّةِ أَعْظَمُ  
مِمَّا فِي الْعَاقَةِ . فَلَمَّا مَضَتْ أَرْبَعُونَ صَبَاحًا طَارَ الشَّيْطَانُ عَنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ مَرَّ بِالْبَحْرِ  
فَقَذَفَ الْخَاتَمَ فِيهِ ، فَأَبْتَلَعَتْهُ سَمَكَةٌ وَأَخَذَهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ ، وَقَدْ عَمِلَ لَهُ سَلِيمَانُ  
صَدْرَ يَوْمِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ أَعْطَاهُ سَمَكَتَيْهِ ، فَأَعْطَى السَّمَكَةَ الَّتِي أَبْتَلَعَتْ  
الْخَاتَمَ ، وَحَمَلَ سَلِيمَانُ سَمَكَتَيْهِ فَبَاعَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا الْخَاتَمُ بِالْأَرْغَفَةِ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى السَّمَكَةِ  
الْأُخْرَى فَبَقَرَهَا لِيَشْوِيَهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْخَاتَمُ مِنْ جَوْفِهَا فَأَخَذَهُ ، فَجَعَلَهُ فِي يَدِهِ وَوَقَعَ  
سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ وَالْجَنُّ . وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ  
وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ بِإِحْضَارِ صَخْرٍ فَأَدْخَلَهُ فِي صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ ،  
ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ أُخْرَى ، ثُمَّ أَوْثَقَهُمَا بِالْحَدِيدِ وَالرِّصَاصِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقَذَفَ فِي الْبَحْرِ .

- هذا حديث وهب . وقال السُّدِّيُّ في سبب الفتنة : كان سليمان مائة امرأة وكانت منهن امرأة يقال لها « جَرَادَةُ » وهي آثر نسائه وآمنهنَّ عنده ، وكان إذا أجنبَ أو أتى حاجته نزع خاتمَه ولم يَأْتَمِنْ عليه غيرها . بخاءها يوما من الأيام فقالت له : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وإنى أحب أن تقضىَ له إذا جاءك . قال نعم ، ولم يفعل ؛ فأَبْتُلِيَ بقوله وأعطاهَا خاتمَه ودخل المَذْهَبُ<sup>(١)</sup> ، فخرج الشيطان في صورته فقال لها : هاتى الخاتم ، فأعطته إيَّاه ، بخاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعده فسألها أن تُعْطِيَه الخاتم فقالت : ألم تأخذه؟ قال : لا ! وخرج من مكانه . ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما ، فأنكر الناس حكمه ، فأجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم بخاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا حكمه<sup>(٢)</sup> ، فأبكى النساء عند ذلك . فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا التوراة فقرءوها ، فطار الشيطان من بين أيديهم حتى وقع على شُرْفَةٍ والخاتم معه حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم في البحر فأبتلعه الحوت . فأقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صيادين وهو جائع فأستطعمهم من صيدهم وقال : إني سليمان بن داود . فقام إليه بعضهم فضربه بعصاه فشجّه . بفعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبه الذي ضربه وقالوا : بئسما صنعتَ حيث ضربته . فقال : إنه زعم أنه سليمان بن داود !

٢٢  
١٢

(١) المذهب : المتوضأ .

(٢) كذا في الأصول . وعبارة التعلي : « واجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم بخاءوا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لمن أنكرنا هذا فقالوا : ونحن قد أنكرنا هذا فإن كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك ، فبكى النساء عند ذلك ... الخ » . ٢٠

فأعطاه سمكتين . فقام إلى ساحل البحر فشق بطونهما وجعل يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه وابسه وردّ الله تعالى عليه مُلكه وبهاءه ، وجاءت الطير فعكفت عليه ، فعرفه القوم فقاموا يعتذرون إليه مما صنعوا . فقال : ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألوكم على ما كان منكم ، هذا ما كان لا بد منه . وجاء حتى أتى مُلكه ، فأخذ الشيطان بجمعه في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بتمفل وختمه .<sup>(١)</sup> بخاتمه ، ثم أمر به فألق في البحر ، وهو فيه كذلك إلى يوم القيامة .

قال : وفي بعض الروايات أن سليمان لما أفتن سقط الخاتم من يده ، فأخذه سليمان فأعاده إلى يده ، فسقط من يده . فلما رآه لا يثبت في يده أيقن بالفتنة . وقال آصف لسليمان : إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يماسك أربعة عشر يوما ، ففرّ إلى الله تعالى تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرتك حتى يتوب الله عليك ويردك إلى مُلكك . ففرّ سليمان هاربا إلى ربه ، وأخذ آصف الخاتم ووضعها في يده فثبت . وإن الجسد الذي قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ هو آصف كاتب سليمان ، وكان عنده علم من الكتاب . فأقام آصف في مُلك سليمان يسير سيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما ، إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائبا إلى الله تعالى ، وردّ الله تعالى عليه مُلكه ، وقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت فيها .

قال أبو إسحاق : وقيل في سبب ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام ، فأوحى الله تعالى إليه أن يا سليمان احتجب عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم ولم تُنصف مظلوما من ظالم . وذكر

حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما تقدم، وقال في آخره: قال علي: فذكرت ذلك للحسن فقال: ما كان الله لیسَّطه على نسائه<sup>(١)</sup>.

قال وقال بعض المفسرين: كان سبب فتنة سليمان أنه أمر ألا يتزوج امرأة إلا من بنى إسرائيل، فتزوج من غيرهم فعُوقب على ذلك.

وقيل: إن سليمان لما أصاب ابنة الملك صيدون أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت وأمتنعت، فخوفها فقالت: إن أكرهتني على الإسلام قتلت نفسي. فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوج بها وهي مشركة أربعين يوما، وكانت تعبد صنما لها في خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعُوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما.

قال وقال الشعبي في سبب ذلك: إن سليمان ولد له ولد، فأجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخره، وما لنا إلا أن نقتل ولده أو نخبئه. فعلم سليمان بذلك، فأمر السحاب أن يأخذ ابنه، وأمر الريح فحملته، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من مضرة الشيطان. فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشيطان، ومات الولد فألقي ميتاً على كرسيه، فهو الجسد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾.

(١) في نسخة التعلي المطبوعة بعد هذه العبارة ما نصه: « ونعوذ بالله أن يسلم الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة. وكيف يعتمد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح. وهذا قول أصح الأقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب إلى التقوى... الخ ».



ذكر عن سلميان عليه السلام أن يطوف على نسائه

قال الكسائي: كان سلميان عليه السلام قد أُعطيَ من القوة ما إنه يأتي على خمسمائة حرة وسبعمائة سُرِّيَّة . فقال في يوم : لأطوفنَّ على ألف امرأة وأجامعهنَّ كلهنَّ ، فتحمل كل واحدة منهنَّ بغلامين فارسين يركبون الخيل ويفزون البلاد ، ولم يقل إن شاء الله . وطاف عليهنَّ فلم تحمل منهنَّ غير واحدة ، حملت بنصف إنسان ، قيل : إنه الجسد الذي أُلقيَ على كرسي سلميان . والله تعالى أعلم .

والذي ثبت من هذه القصة ما روينا من صحيح البخاري بسندنا المتقدم اليه .

قال البخاري حدثنا خالد بن محمد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” قال سلميان بن داود لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأةً تحمِل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل ، ولم تحمِل شيئا إلا واحدا ساقطا إحدى شقيقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله . قال شعيب وأبن أبي الزناد تسعين وهو أصح<sup>(١)</sup> .

٢٣  
١٢

ذكر وفاة بلقيس زوجة سلميان عليه السلام

قال الكسائي: أقامت بلقيس عند سلميان سبع سنين وسبعة أشهر ثم توفيت ، فدفنها بمدينة تدمر من أرض الشام تحت حائط ، ولم يعلم أحد بموضع قبرها إلى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان .

(١) راجع صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٢٦ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٢) تدمر : مدينة قديمة معناها بالعبرانية « النخيل » وكانت عامرة ذات تجارة واسعة ، وهي

واقعة بطرف بادية الشام في الشمال الشرقي من دمشق ، تمر عليها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل الميلاد . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية) .

قال موسى بن نصير : بُعِثَتْ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ إِلَى مَدِينَةِ تَدْمُرَ وَمَعِيَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِخَاءِ مَطَرٍ عَظِيمٍ فَأَنْهَارُ بَعْضِ حَائِطِ الْمَدِينَةِ ، فَأَنْكَشَفَتْ عَنْ تَابُوتِ طَوْلِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا مَتَّخِذٍ مِنْ حَجَرٍ كَالزَّعْفَرَانِ مَكْتُوبٍ عَلَيْهِ : « هَذَا تَابُوتُ يَأْقَمِيسَ الصَّالِحَةِ أَسَلِمَتْ لثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً خَلَتْ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَتَزُوجُ بِهَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ مُلْكِهِ ، وَتُوقِفُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ ، وَقَدْ دُفِنَتْ لَيْلًا فِي حَائِطِ مَدِينَةِ تَدْمُرَ ، وَلَمْ يَطَّاعَ عَلَى دَفْنِهَا إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ وَلَا شَيْطَانٌ » . قَالَ : فَرَفَعْنَا غَطَاءَ التَّابُوتِ وَإِذَا هِيَ غَضَّةٌ كَأَنَّهَا دُفِنَتْ لَيْتَمًا . فَكَتَبْنَا بِذَلِكَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَمَرَ بِتَرْكِهِ فِي مَكَانِهِ ، وَأَنْ يُدْنِيَ عَلَيْهِ بِالصَّيْخِرِ وَالْمَرْمَرِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ .

### ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الكسائي : مَلِكُ سُلَيْمَانَ شَرْقُ الْأَرْضِ وَغَرْبُهَا وَطَافَ أَقْطَارَهَا حَتَّى آتَى إِلَى السَّيِّدِ الَّذِي هُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ جَبَلِ قَافٍ <sup>(٢)</sup> ، فَوَقَفَ هُنَاكَ ثُمَّ قَالَ لِلرَّيْحِ : هَلْ

(١) هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي بَنَاهُ الْإِسْكَانْدَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِسَيِّدِ بَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . وَقَدْ أُرْسِلَ الْخَالِيفَةُ الْوَاتِقُ بِاللَّهِ سَنَةَ ٢٣١ هـ بَعْنَةُ عِلْمِيَّةٍ بِرِيَاسَةِ سُلَامِ التَّرْجَمَانِ مَرْزُوقَةَ بِالْمَالِ وَالْمَاءِ وَالزَّادِ لِتَأْتِيَهُ بِخَبْرِهِ وَحَالِهِ . وَابْنُ خَرْدَاذْبِهِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَوَى خَبْرَ هَذِهِ الْبَعْنَةِ الْعِلْمِيَّةِ عَنْ نَفْسِ رَئِيسِهَا ثُمَّ اسْتَمْلَاهُ مِنَ الْكُتَّابِ الَّذِي كَانَ كَتَبَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِتَخْلِيفَةِ الْوَاتِقِ بِاللَّهِ ( رَاجِعِ الْمَسَالِكَ وَالْأَمْثَالَ طَبِيعَ لَيْسَدَنْ سَنَةَ ١٣٠٦ هـ ص ١٦٢ — ١٧٠ ) . وَعَنْ ابْنِ خَرْدَاذْبِهِ نَقَلَ جَمِيعَ الْمُؤَلِّفِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُ مِثْلُ الْإِدْرِيسِيِّ وَابْنِ رُسْتَه وَابْنِ الْقَفْطِيهِ الْهَمْدَانِيُّ وَالْمَقْدِسِيُّ . أَمَّا سَنَةُ إِسْرَافِ هَذِهِ الْبَعْنَةِ فَتَمَدَّ أَخَذْنَاهَا عَنْ ابْنِ تَغْرِي بَرْدِي فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ( ج ٢ ص ٢٥٩ ) .

(٢) كَانَ الْإِعْتِقَادُ السَّائِدُ قَدِيمًا أَنَّ هُنَاكَ جَبَلًا وَاحِدًا مُحِيطًا بِأَكْثَرِ بَسِيطِ الْمَعْمُورِ ، وَابْنُ هُوَ كَالْبَحْرِ مُحِيطًا بِجَمِيعِ كُرَةِ الْأَرْضِ ، هُوَ جَبَلُ قَافٍ ، وَلَا يَعْرِفُ فِي الْجَنُوبِ إِلَّا هَذِهِ التَّسْمِيَةَ ، وَيَعْرِفُ فِي الشَّمَالِ بِجَبَلِ قَافُونَا . وَلَهُمْ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْجَبَلِ وَمَنْهَاهُ رَأْيٌ تَرَاهُ مَبْسُوطًا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ مَسَالِكَ الْأَبْصَارِ لِابْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمَرِيِّ ( ص ٤٧ ) . وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ نَجْمَةِ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ( ص ٢٢ ) بِاسْمِ « قَافُونِيَا » بِالْفَاءِ فِي رَوَايَةٍ وَ( بِالْقَافِ ) فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى . وَسَمِيَ كَذَلِكَ بِاسْمِ « اصْطِيفُون » أَوْ « اصْطِيقُون » .

- جريت هاهنا قط؟ قالت : لا يا نبي الله، وإنه آخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى . ثم أمر الريح فأحتملته حتى نظر إلى التين المحديق بالعالم ، فسار أياها على طرف من أطرافه فإذا هو بملك ، فقال : يا ابن داود إن هذا التين محيط بالعالم الذي هو مسيرة خمسمائة عام . ثم أرتفع إلى مستقر الغمام ونظر إلى مجمع القطر، ونزل من هناك إلى مسكن الليل والنهار فإذا هو بملك يقول : اللهم أعط كل منفق خلفاً . وكل ممسك تلقاً . ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة ، وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوماً . وكان في طول سفرته هذه يرى شخصاً بين يديه يسبق كل شيء ، فسأله من هو ؟ فأخبره أنه ملك الموت ، ف وقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل ابنه رحبهم خليفته ، وأوصى الناس بالسمع والطاعة له . وأخذ في الصوم والصلاة طول ليله ، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلى به . فخرج في بعض الأيام فرأى نباتاً غريباً لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم . فقال : أيها النبات ما أنت ؟ قال : أنا الخرنوب الذي لا أنبت في موضع إلا خربته . فقال سليمان : فما تصنع هاهنا فليست من نبات الرياض بل من نبات البراري ؟ قال : قد أمرت أن أنبت هاهنا . فعاد سليمان من الغد وهو على حاله وقد زاد نباته . فقال له سليمان : ألم أمرك أن تلاحق بموضعك من البراري ! . قال الخرنوب : يا نبي الله، إن هذا الموضع سيخرب عن قريب ، فسكت سليمان . فلما ضعف عن العبادة توكأ على عصاه . فبينما هو في محرابه متوكئاً قائماً يتلو الزبور والتوراة إذ أتاه ملك الموت ، فرفع رأسه إليه فناوله شمة فشتمها فمات . وبقى سليمان على حاله لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال . فهابوه وما جسروا أن يتقدموا إليه . وقالوا : إنه لم يمّت ، ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحش

والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة ، ثم وقعت الأرضة في أسفل العصا ؛  
 فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ  
 تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ نفخ سليمان عند ذلك كالخشب اليابسة ، وكانت الجن قبل ذلك  
 تدعى علم الغيب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَحَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ  
 الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ <sup>(١)</sup> أى في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان  
 وغير ذلك .

وحكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في خبر وفاة سليمان عليه السلام :  
 قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله عليه تعمل له الجن  
 ما يشاء من محاريب وتمائيل وجنمان كالجوابي وقدر راسيات وغير ذلك ،  
 ويعذب من الشياطين من يشاء ، ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث  
 أحب . فأتاهم إبليس وهم في العمل فقال : كيف أنتم ؟ فقالوا : ما بنا طاقة  
 لما نحن فيه . فقال لهم : تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فرأغا لا تحملون شيئا ؟  
 قالوا نعم . قال : فأنتم في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يحملوا  
 ذاهبين وراجعين . فقال لهم إبليس : تعملون بالليل ؟ قالوا لا . قال : فأنتم  
 في راحة . فأبلغت الريح ذلك سليمان ، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار . فأتاهم إبليس  
 فسألهم فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار . فقال لهم إبليس : وفعلها ؟ قالوا :  
 نعم . قال : فتوقعوا الفرج ، فقد بلغ الأمر منتهاه . فلبثوا إلا يسيرا حتى مات  
 سليمان .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يتحنّث<sup>(١)</sup> في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر، يدخله ومعه طعامه وشرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها . قال : وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوماً يُصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرةٌ فيسألها سليمان ما أسمك ؟ فتقول الشجرة : أسمى كذا وكذا . فيقول : لأي شيء تصلحين ؟ فتقول : الكذا وكذا ؛ [فيأمر بها<sup>(٢)</sup> فتقطع] ، فإن كانت تنبت لغرس غرسها ، وإن كانت لدواء كتب عليها الكذا وكذا . فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرةً بين يديه ، فقال لها : ما أسمك ؟ فقالت : الخرنوبه . قال : ولأي شيء نبتي ؟ قالت : لخراب هذا المسجد . فقال سليمان : ما كان الله ليخبر به وأنا حي ، أنت الذي على وجهك دلاكي وخراب بيت المقدس . فزرعها وغرسها في حائط له ، ثم قال : اللهم عمّ عن الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب . وكانت الجن يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب وأنهم يعلمون ما في غد .

قال : ثم دخل سليمان المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه ، فمات على تلك الحالة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ من الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم .

قال وقال عبد الرحمن [بن زيد<sup>(٢)</sup>] قال سليمان لملك الموت : إذا أمرت بي فأعلمني . قال : فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك وقد بقيت لك سويعة . فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب ، فقام يصلي وآنكأ على عصاه ، فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

(١) يتحنّث : يتعبد .

قال وفي رواية أخرى: أن سليمان قال ذات يوم لأصحابه: قد آتاني الله من الملك ما ترون، وما مرّ عليّ يوم في ملكي بحيث صفوا لي من الكدر، وقد أحببت أن يكون لي يومٌ واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغتم فيه، وليكن ذلك غداً. فلما كان من الغد دخل قصره، وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوءه، ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره وآنكأ عليها ينظر في ممالكه، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه، عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب قصره فقال: السلام عليك يا سليمان. فقال سليمان: وعليكم السلام، كيف دخلت هذا القصر وقد منعت من دخوله؟ أما منعك البواب والحجاب! أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذن!! فقال: أنا الذي لا يحجبني حاجب، ولا يمنعني بواب، ولا أهاب الملوك، ولا أقبل الرشا، وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن. فقال سليمان: فمن إذن لك في دخوله؟ قال: ربه. فأرتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت. فقال له: أنت ملك الموت؟ قال نعم. قال: فيم جئت؟ قال: جئت لأقبض رُوحك. قال: يا ملك الموت، هذا يوم أردت أن يصفو لي وما أسمع فيه ما يغمي. قال له: يا سليمان، إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه، وذلك اليوم لم يُخلق في الدنيا، فأرض بقضاء ربك فإنه لا مردّ له. قال: فأقبض كما أمرت، فقبض ملك الموت رُوحه وهو متكئ على عصاه.

قال النعلبيّ قالوا: وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومُصَلَّاه أينما كان. وكان للحراب كُوى بين يديه ومن خلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يدخل يقول: ألسْتُ جليداً إن دخلتُ فخرجت من ذلك الجانب، فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر. فدخل شيطان من أولئك فمتر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان

في المحراب إلا احترق، فـتـ ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع ولم يسمع، ثم رجع فوق في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً، نخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوه عنه وأخرجوه ووجدوا منسأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة<sup>(٢)</sup>، فكشوا يداً بون له من بعد موته<sup>(١)</sup> حولاً كاملاً، فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان، فلم يلبثوا في العذاب سنة يعملون .

قال : ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب طعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل إليك الماء والطين . قال : فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ممّا تأتيها به الشياطين شكراً لها ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ وهي الأرضة ، ويقال لها القادح أيضاً ، وهي دويبة تأكل العيدان ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ أى عصاه ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ ... ﴾ الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدة ملكه أربعين سنة ، ومُلك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

وقال الكسائي قال وهب : عاش سليمان ستين سنة ، منها في الملك والنبوة أربعون سنة . قال : وتفرقت الإنس والجن وغيرهم ، فتفرق بنو إسرائيل بعده

(١) الذي في كتب اللغة أن المنسأة اسم آلة ، من نسأت الدابة إذا زجرتها ليزداد سيرها .

(٢) هذه الجملة لم ترد في الأصول وقد نقلناها عن الثعلبي ، وقد أورد بعدها هذه العبارة : « فلم يعلموا

منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك . وفي رواية ابن مسعود : فكشوا ... الخ » .

ثلاث فرق : فرقة كفروا وآتبعوا السحرة ، وفرقة أعتزلوا وقالوا : لانطيع بعده أحدا ، وفرقة آتبعوا ابنه رجبهم <sup>(١)</sup> .

قال الثعلبي : ملك بعد سليمان عليه السلام ابنه رجبهم ، وكان قد استخلفه فنبأه الله تعالى ولم يكن رسولا ثم قبض ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه أيشا <sup>(٢)</sup> بن رجبهم ، وكان ملكه ثلاثا وستين سنة . ثم ابنه أينا .

وقال الكسائي : ملك بعد رجبهم ابنه لاي ، وملك بعد لاي ابنه أيشا بن لاي ، ثم بعث الله تعالى بعد أن قبض أيشا ، شعيا وهو من ولد هارون بن عمران .

وقال الثعلبي في سياقه : لما ملك أينا بن أيشا ، وكان رجلا صالحا ، وكان أعرج ، وكان به عرق النساء ، فطمعت الملوك فيه لضعفه ، واقتربت ملوك بني إسرائيل ، فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له « زرج الهندى » <sup>(٣)</sup> في جمع كثير ، فبعث الله تعالى عليهم ملائكة فهزموهم ، فقتلوا البحر حتى ركبوه جميعا ، فبعث الله تعالى عليهم الرياح والأمواج حتى ضربت سفنهم بعضها ببعض ، فتكسرت وغرق زرج ومن كان معه ، وألقت الأمواج أثقالهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة بني إسرائيل ، ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله وكونوا فيه من الشاكرين . ثم لم يزل يغزوهم الملك بعد الملك من ملوك العراق وغيرهم ، فبهاكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم الظلم والفساد ، وفشت فيهم المعاصي ، وعبد بعض ملوكهم الأصنام ، فكان من أمرهم ما نذكركه إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٦١٩ من القسم الأول) وتاريخ مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٥٥ طبع بيروت) وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٧٦) : « رجبام » . وفي الأصول : « رجبهم » .  
(٢) كذا في الأصول . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٥٨٣) : « أيشام » .  
(٣) كذا في الأصول وتاريخ الطبرى (ص ٦٣٧ من القسم الأول) . وفي القاموس المحيط : « شعيا » بالسين المهملة والشين لغة . وفي الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « شعيا » .  
(٤) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٦١٩ من القسم الأول) : وفي الأصول « روح » .



## الباب الثالث

## من القسم الثالث من الفن الخامس

في أخبار شعيا وإرميا عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود

## ذكر قصة شعيا عليه السلام

- قال أبو إسحاق النعلبي رحمه الله : كان الملك إذا ملك من بني إسرائيل بعث الله معه نبياً يرشده ويستدده ويكون فيما بين الناس وبين الله تعالى ، ولا ينزل الله تعالى عليه كتاباً إنما يأمر بأحكام التوراة وينهى عن المعصية ، ويدعو الناس إلى ما تركوا من الطاعة . وكان ممن ملك منهم « صديقة » . فلما ملك بعث الله تعالى شعياً بن أمصيا<sup>(١)</sup> ، فلما ملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، ثم كثرت في بني إسرائيل الأحداث ، فبعث الله سنحاريب ملك بابل ، معه ستمائة ألف راية ، فأقبل حتى نزل حول بيت المقدس والملك إذ ذاك مريض في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعيا عليه السلام فقال للملك بني إسرائيل : أنت سنحاريب ملك بابل قد أقبل ونزل بك في ستمائة ألف راية ، وقد هابهـم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك وقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله

(١) في الكتاب المقدس (ج ٢ ص ٣٢٤) : « آوص » .

(٢) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٣٧) وتاريخ الطبري (ص ٦٣٨ من القسم الأول) ومختصر تاريخ الدول لابن العسبري (ص ٦٤) وورد في هامشه : أن معنى سنحاريب « القمر يكثر الإخوة » ومن هنا يؤخذ أن الآشوريين كانوا يتفاءلون بالأسماء كالعرب . فسمى هذا سنحاريب تفاؤلاً بكثرة الإخوة . وفي الأصول : « سنحاريب » بالجم المعجمة وهو تحريف .

- تعالى بنا وسنحاريب ؟ قال : لم يأتني وحي . فبينما هم كذلك أوحى الله تعالى إلى شعياً أن آت ملك بنى إسرائيل فمُرهُ أن يُوصى بوصية ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته . فأتاه شعياً فقال : إن ربك عز وجل قد أوحى إلى أن أمرك أن تُوصى وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت . فلما قال له شعياً ذلك أقبل صديقة الملك على القبلة فصلى ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عز وجل بقاب مخلص وتوكل وصبر : [ اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس ، يارحمنا يرحم ، يارءوف يامن لاتأخذه سنة ولا نوم ، اذكُرني بنيتي وفعل وحسن قضائي في بنى إسرائيل ، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به متى سرى وعلا نيتي لك ] ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، وكان عبدا صالحا . فأوحى الله تعالى إلى شعياً أن أخبر صديقة أن الله استجاب له وقبل منه ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب وجنوده . فأتاه شعياً فأخبره بذلك ، فذهب عنه الحزن وخر ساجدا لله تعالى ودعا . فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعياً أن قل للملك صديقة يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحة ساقه فيشفى ويبرأ ، ففعل ذلك فشفي . وقال الملك لشعياً : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله تعالى لشعياً : قل له إنى كفيتك عدوك وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه . فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة : ياملك بنى إسرائيل ، إن الله تعالى قد كفاك أمر عدوك ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فخرج الملك فالتبس سنحاريب فلم يوجد في الموتى . فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلَبُ في مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم

- بُجْتَنَصَرُ، فجعلوهم في الجوامع<sup>(١)</sup> ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خروا ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟! فقال سنحاريب: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت علي وعلى من معي. فقال صديقه: الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء. إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه، ولكنك إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا. ولقد مك ودُم من معك أهون على الله تعالى من دم قرادة لو قُتلت.
- ثم أمر صديقه أمير جيشه أن يقذف في رقابهم الجوامع، فطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وإيليا، وكان يرزقهم في كل يوم خبزيين من شعير لكل رجل. فقال سنحاريب للملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا، فأفعل ما أمرت. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل. فأوحى الله تعالى إلى شعيا: أن قل للملك بني إسرائيل: يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وأن يُكرّمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم.
- فبلغ شعيا الملك ذلك، ففعل ما أمر به، وخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل.

(١) الجوامع: القيود. (٢) ورد في معجم البلدان لياقوت: أن إيليا (بكسر أوله واللام وياء) وألف ممدودة) اسم مدينة بيت المقدس، قيل معناه بيت الله، وحكى الحفصي فيه القصر. وفيه لغة نالته حذف اليا. الأولى فيقال: إيليا (بسكون اللام والمدة). قال أبو علي: وقد سمى البيت المقدس إيليا بقول الفرزدق: ويتنان بيت الله نحن ولاته \* وقصر بأعلى إيليا مشرف

وسميت إيليا باسم بانها وهو إيليا بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. (٣) بابل: مدينة من أقدم وأكبر مدن العالم القديم، على الجانب الأيسر من نهر الفرات، بناها الكلدان، وهي مدينة الفروذ، اشتهرت في الأزمان الغابرة بالثروة والحضارة وفيها مات الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وحملت جثته إلى الاسكندرية. وهذه المدينة الآن خراب لا يوجد غير أطلالها وفي مكان أطلالها قرية الحلة. (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك وقاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا).

فلما قَدِمُوا جَمَعَ سَنَحَارِيْبُ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ فَعَلَ اللَّهُ بِجُنُودِهِ . فَقَالَ لَهُ  
كُفَّاهُ وَتَحَرَّتْهُ : قَدْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ خَبَرَ رَبِّهِمْ وَخَبَرَ نَبِيِّهِمْ وَوَحَىَّ اللَّهَ إِلَى نَبِيِّهِمْ ، فَلَمْ  
تُطِيعُنَا ، وَهِيَ أُمَّةٌ لَا يَسْتَطِيعُهَا أَحَدٌ مِنْ رَبِّهِمْ . وَلَبِثَ سَنَحَارِيْبُ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ  
وَمَاتَ . وَأَسْتُخْلَفَ بِمُخْتَصَرِّ ابْنِ أَبِيهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ جَدُّهُ ، فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ وَقَضَى  
بِقَضَائِهِ ، فَلَبِثَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى صَدِيقَةَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَمَرَجَ  
أُمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَنَافَسُوا الْمُلْكَ حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَنَبِيِّهِمْ شَعْيًا مَعَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ  
إِلَيْهِ وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ . فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَعْيَا : أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ  
أَوْجَ عَلَى لِسَانِكَ . فَلَمَّا قَامَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ وَأَنْطَقَهُ بِالْوَحَى فَقَالَ : يَا سَمَاءُ  
أَسْمِعِي ، وَيَا أَرْضُ أَنْصِتِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَرِيدُ أَنْ يَقْصُ شَأْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ  
بِنِعْمَتِهِ ، وَأَصْطَنَعَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَخَصَّصَهُمْ بِكَرَامَتِهِ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَسْتَقْبَلَهُمْ  
بِالْكَرَامَةِ ، وَهُمْ كَالْغَنَمِ الضَّائِعَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا ؛ فَأَوَى شَارِدَهَا ، وَجَمَعَ ضَالَّهَا ،  
وَجَبَرَ كَسِيرَهَا ، وَدَاوَى مَرِيضَهَا ، وَأَسْمَنَ مَهْزُولَهَا ، وَحَفِظَ سَمِينَهَا . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا  
تَنَاطَحَتْ بِكَاشَمِهَا فَقَتَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَظَمٌ صَحِيحٌ يُجَبَّرُ إِلَيْهِ آخَرُ كَسِيرٍ .  
فَوِيلٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ . إِنَّ الْبَعِيرَ مِمَّا  
يَذْكُرُ وَطَنَهُ فَيَأْتِيهِ ، وَإِنَّ الْحِمَارَ مِمَّا يَذْكُرُ الْآرِيَّ<sup>(٢)</sup> الَّذِي يُشَبَّعُ عَلَيْهِ فَيَرَا جُعُهُ ، وَإِنَّ  
الثَّوْرَ مِمَّا يَذْكُرُ الْمَرْجَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي يَسْمَنُ فِيهِ فَيَنْتَابُهُ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَدْرُونَ مِنْ  
أَيْنَ جَاءَهُمُ الْخَيْرُ وَهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ لَيْسُوا بِبَقَرٍ وَلَا حَمِيرٍ ، وَإِنِّي ضَارِبٌ لَهُمْ  
مَثَلًا فَلْيَسْمَعُوهُ .

٢٧  
١٢

(١) مرج الأمر : فسد واختلط واضطرب . وفي الأصول : « نخرج » وهو تحريف .

(٢) الآري : محبس الدابة . (٣) المرج : الموضع الذي ترعى فيه الدواب .

- قل لهم : كيف تَرَوْنَ في أرض كانت جُرْزاً زَمَانًا نَحْرِبَةً مَوَاتَا لَا عُمْرَانَ فِيهَا ،<sup>(١)</sup>  
 وَكَانَ لَهَا رَبٌّ حَكِيمٌ قَوِيٌّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا بِالْعِمَارَةِ وَكَرِهَ أَنْ تَحْرَبَ أَرْضُهُ ، فَأَحَاطَ عَلَيْهَا  
 جِدَارًا وَشَيْدَ فِيهَا قَصْرًا وَأَنْبِطَ فِيهَا نَهْرًا ، وَصَنَّفَ فِيهَا غِرَاسًا مِنَ الزَّيْتُونِ وَالرَّمَانِ  
 وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَأَلْوَانَ الثَّمَارِ كُلِّهَا ، وَوَلَّى ذَلِكَ وَأَسْتَحْفَظْهُ ذَا رَأْيٍ وَهَمَّةٍ حَفِيفًا  
 قَوِيًّا أَمِينًا ، فَأَنْتَظَرُهَا ، فَلَمَّا أَطْلَعَتْ جَاءَ طَلْعُهَا خَرُوبًا ؟ ! . قَالُوا : بَنَيْتِ الْأَرْضَ  
 هَذِهِ ! نَرَى أَنْ يُهْدَمَ جِدَارُهَا وَقَصْرُهَا وَيُدْمَرَ نَهْرُهَا وَيُقْبَضَ قِيَمُهَا وَيُحْرَقَ غِرْسُهَا  
 حَتَّى تَصِيرَ كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ خَرَابًا مَوَاتَا لَا عُمْرَانَ فِيهَا . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ : إِنْ  
 الْجِدَارَ ذِقْتِي ، وَإِنَّ الْقَصْرَ شَرِيعَتِي ، وَإِنَّ النَّهْرَ كِتَابِي ، وَإِنَّ الْقِيَمَ نَبِيِّي ، وَإِنَّ الْغِرَاسَ  
 هُمْ ، وَإِنَّ الْخَرُوبَ الَّذِي أَطْلَعَ الْغِرَاسُ أَعْمَالُهُمُ الْخَبِيثَةُ ، وَإِنِّي قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُمْ  
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَإِنَّهُ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لَهُمْ . يَتَقَرَّبُونَ إِلَى بَذِيحِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَلَيْسَ بِنَالِي  
 ١٠ اللَّهُمَّ وَلَا آكُلُهُ . وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْبَتَقَوَى وَالْكَفِّ عَنْ ذَبْحِ الْأَنْفُسِ الَّتِي  
 حَرَّمْتُهَا ، فَأَيْدِيهِمْ مَخْضُوبَةٌ مِنْهَا ، وَثِيَابُهُمْ مَرْمَلَةٌ<sup>(٢)</sup> بَدْمَاءُهَا ، يُشِيدُونَ لِي الْبُيُوتَ مَسَاجِدَ  
 وَيَطْهَرُونَ أَجْوَأَهَا ، وَيَنْجَسُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ وَيُدَنِّسُونَهَا . فَأَيُّ حَاجَةٍ لِي إِلَى  
 تَشِيدِ الْبُيُوتِ وَلَيْسَتْ أَسْكُنُهَا ! وَأَيُّ حَاجَةٍ لِي إِلَى تَزْوِيقِ الْمَسَاجِدِ وَلَيْسَتْ أَدْخُلُهَا !  
 ١٥ إِنَّمَا أَمَرْتُ بِرَفْعِهَا لِأَذْكُرَ فِيهَا وَلَا أُسَبِّحَ ، وَلَتَكُونَ مُصَلًّى لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصَلِّيَ فِيهَا .  
 يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ اللَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ أَلْفَتَنَا لَجَمَعَهَا ، وَلَوْ كَانَ اللَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُفْقِهَ  
 قُلُوبَنَا لَأَفْقَهَهَا ، فَأَعْمِدْ إِلَى عُودَيْنِ يَابَسَيْنِ ثُمَّ آتِ بِهِمَا نَادِيَهُمْ فِي أَجْمَعٍ مَا يَكُونُونَ ،  
 فَقُلْ لِلْعُودَيْنِ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكُونَا عُودًا وَاحِدًا . فَلَمَّا قَالَ لَهَا ذَلِكَ أَخْتَاطَا  
 فَمَصَارَا وَاحِدًا . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى [ قُلْ ] لَهُمْ :<sup>(٣)</sup> إِنِّي قَدْ قَدَّرْتُ عَلَى أَنْ أَفْقِهَ الْعُودَيْنِ الْيَابَسَيْنِ ،

(١) الجزر : الأرض التي قطع نباتها . (٢) مرملة : منلطة . ٢٠

(٣) : إني قد قدرته .

وعلى أن أؤلف بينهما ، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ! أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتهما ! . يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئاب ، فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا . قال الله تعالى : فسألهم : ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ! ألسنت أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المحبين ، وأرحم الراحمين ! ألا ذات يدي قلت ! وكيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيرى ! . أولأن رحمتى ضاقت ! فكيف ورحمتى وسعت كل شىء ، إنما يترأخ المتراحمون بفضلها ! . أولأن البخل يعترينى ! أولست أكرم الأكرمين . والنفاق بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل ! . لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم [النور] فبنذوها واشتروا بها الدنيا ، إذا لأبصروا من حيث أتوا ، وإذا لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم . فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام ! وكيف أتور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني وينتهك محارمى ! أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ! إنما أجر عليها أهلها المغصوبين . أم كيف أستجيب لهم دعاءهم ، وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد ! . إنما أستجيب الداعى البر ، وإنما أسمع قول المستعفف المستكين . وإن من علامة رضائى رضا المساكين . فلورحوا المساكين ، وقربوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدلوا للغائب ، وأدوا إلى اليتيم والأرملة والمسكين وكل ذى حق حقه ، ثم لو كان ينبغى لى أن أكلم البشر إذا تكلمتهم ؛ وإذا لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ؛ وإذا لدعمت أركانهم فكنت قوة أيديهم وأرجلهم ؛ وإذا لثبت ألسنتهم وعقولهم .

- يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي إنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ،  
وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ،  
وأن يطلعوا على علم الغيب بما يوحى إليهم الشياطين لأطلعوا ، وكلهم يستخفي بالذي  
يقول ويُسِرّه ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يُبدون  
وما يكتُمون . وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبتته على نفسي  
وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع ، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب  
فليُخبروك متى أنفذه ، وفي أي زمان يكون . وإن كانوا يقديرون على أن يأتوا  
بما يشاءون فليأتوا بمثل القدرة التي بها أفضى ؛ فإني مُظهره على الدين كله ولو كره  
المشركون . وإن كانوا يقديرون على أن يؤلفوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي  
أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين . فإني قضيت يوم خلقت السموات  
والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء <sup>(١)</sup> ، وأجعل الملك في الرعاء ، والعز في الأذلاء ،  
والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والثروة في الأفلاء ، والمدائن في الفلوات ،  
والآجام في المفاوز ، والترى في الغيطان ، والعلم في الجهالة ، والحكم في الأميين .  
فسلهم متى هذا ومن القيم به وعلى يدي من أسببه ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره .  
وإن كانوا يعلمون فإني باعثٌ لذلك نبياً أمياً لا أعمى من العميان ولا ضالاً من  
الضالين ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحاب في الأسواق ، ولا مترين بالفحش ،  
ولا قوال للحناء أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ،  
والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو  
والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، أحمد  
أسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهر

(١) الأجراء : جمع أجير وهو من سلم نفسه بمعرض .

(٢) الآجام : جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف .

به بعد النِّكَرَةِ ، وأَكْثَرُ به بعد القِلَّةِ ، وأَغْنَى به بعد العَيْلَةِ ، وأَجْمَعُ به بعد الفُرْقَةِ ؛  
وأُولَفُ به قلوباً مختلفةً ، وأَهْوَأَ مُتَشَتِّتَةً ، وأَمَّا متفرقة ، وأجعل أُمَّته خير أُمَّة  
أُخْرِجْتُ للناسِ ، يأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ ، إِيْمَانًا بِي ، وتوحيدًا لِي ،  
وإِخْلَاصًا بِي <sup>(١)</sup> ، يُصَلُّونَ قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَرُكْعًا وَسُجُودًا ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صَفُوفًا  
وَزُحُوفًا ، وَيُخْرِجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَبْتِغَاءَ رِضْوَانِي [أَوْفَا] <sup>(٢)</sup> . أَلْهِمُهُمُ التَّكْبِيرَ  
والتَّوْحِيدَ ، والتَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ ، فِي مَجَالِسِهِمْ وَمَسِيرِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُتَقَلَّبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ ؛  
يَكْبُرُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَقْدِّسُونَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْرَافِ ، وَيُطَهِّرُونَ لِي الْوُجُوهَ  
وَالْأَطْرَافَ ، وَيَعْقِدُونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ ؛ قُرْبَانِهِمْ دِمَائِهِمْ ، وَأَنَاجِيَهُمْ صُدُورُهُمْ ؛  
رُهْبَانُ اللَّيْلِ ، لِيُوثَّ بِالنَّهَارِ . ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .  
قال : فَلَمَّا فَرِغَ نَبِيُّهُمْ شَعْيًا مِنْ مَقَاتِلِهِ عَدُّوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ فَهَرَبَ مِنْهُمْ فَأَنْفَلَتْ لَهُ  
شَجَرَةٌ فَدَخَلَ فِيهَا ، فَأَدْرَكَهُ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَ بِهَيْدَبَةٍ مِنْ ثَوْبِهِ فَأَرَاهُمْ إِيَّاهَا ، فَوَضَعُوا  
الْمَنْشَارَ فِي وَسْطِهَا فَنَشَرُوهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَقَطَعُوهُ فِي وَسْطِهَا .

### ذكر قصة إرميا عليه السلام

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : اسْتَخْلَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بَعْدَ قَتْلِهِمْ شَعْيًا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ « نَاشِيَةُ بْنُ أَمْوَس » ، وَبَعَثَ  
لَهُمُ الْخَضِرَ نَبِيًّا . قَالَ : وَأَسْمُ الْخَضِرِ إِرْمِيَا بْنُ حَلَقِيَّا ، وَكَانَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ  
ابْنِ عِمْرَانَ . قَالَ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَاسٍ عَلَى قَرُوءَةٍ بَيْضَاءَ فَقَامَ عَنْهَا وَهِيَ  
تَهْتَرُ خَضِرَاءَ <sup>(٣)</sup> . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِرْمِيَا حِينَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ : يَا إِرْمِيَا ،  
مَنْ قَبْلَ أَنْ خَلَقْتُكَ أَخْتَرْتُكَ ، وَمَنْ قَبْلَ أَنْ أَصْوَركَ فِي بَطْنِ أُمِّكَ قَدَسْتُكَ ، وَمَنْ

(١) هذه الكلمة ليست في الثعلبي ، وتعدية الإخلاص هنا بالباء لا ترضاه اللغة .

(٢) زيادة عن الثعلبي . (٣) في الثعلبي المطبوعة : « تزهى » .



- ٢٩  
١٢
- قبل أن أُخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السَّعَى نبأتك ، ولأمرٍ  
عظيمٍ أجبتك ؛ فذكر قومك نِعَمِي ، وعرفهم أحداثهم ، وأدعهم إلى . وكانت  
الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل فركبوا المعاصي وأستحلوا المحارم . فقال  
إرميا : إني ضعيف إن لم تُقَوِّنِي ، عاجز إن لم تنصُرْنِي . فقال الله عز وجل :  
أنا ألهمك . فقام إرميا فيهم ولم يدر ما يقول ، فألهمه الله عز وجل خطبة  
طويلةً بليغةً ، بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية ، وقال في آخرها : وإني  
أحلف بعزتي لأقيضن لهم فِتْنَةً يتخبر فيها الحكيم ، ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا قابله ،  
ألبيه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة ، يتبعه عددٌ مثل سواد الليل المظلم . ثم أوحى  
الله تعالى إلى إرميا : إني مهلك بني إسرائيل بيافت ، ويافت أهل بابل ، وهم من ولد  
يافت بن نوح . فلما سمع ذلك إرميا صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه .  
١٠ فلما سمع الله عز وجل تضرعه وبكاه ناداه : يا إرميا ، أشق عليك ما أوحيتُ  
إليك ؟ قال : نعم يارب ، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به .  
فقال الله عز وجل : وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك  
من قبلك . ففرح بذلك إرميا وطابت نفسه وقال : لا والذي بعث موسى بالحق  
لا أَرْضَى بهلاك بني إسرائيل . ثم أتى الملك فأخبره بذلك ، وكان ملكا صالحا ،  
١٥ ففرح وأستبشر وقال : إن يعدبنا ربنا فبذنوب كثيرة ، وإن عفا عنا فبرحمته .  
ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلّا معصيةً وتماديا في الشر ، وذلك  
حين أقرب هلاكهم ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا ، فسלט الله عليهم بُخْتَنَصْر  
نفرج في ستمائة ألف راية يريد بيت المقدس . فلما فصل سائرا أتى الخبر الملك  
فقال لإرميا : أين ما زعمت أن الله أوحى إليك ؟ فقال إرميا : إن الله عز وجل

(١) فصل فلان من البلد : خرج منه .

- لا يُخْلِفُ الميعاد وأنا به واثقٌ . فلَمَّا قُرِبَ الأجلُ وعزمَ الله عز وجل على هلاكهم بعث الله تعالى إلى إرميا مَلَكًا فتمثل له رجلا من بني إسرائيل فقال له : يا نبي الله ، أَسْتَفْتِيكَ في أهل رَجِي ، وصلتُ أرحامَهُم ولم آتِ إليهم إلا حُسْنًا ، ولا يزيد إكرامِي إياهم إلا إسْخاطًا لي ، فَأَفْتِنِي فيهم . فقال له : أَحْسِنُ فيما بينك وبين الله وصِلْهُم وأبشِرْ بخير . فَانصرفَ المَلَكُ فمَكَثَ أَيامًا ثم أَقبلَ إليه في صورة ذلك الرجل فقمعد بين يديه ، فقال له إرميا : أوما ظَهَرْتَ أخلاقَهُم لك بعدُ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ما أعلمُ كرامةً يَأْتِيها أحدٌ من الناس إلى أهل رَجِي إلا قَدَّمْتُها إليهم وأفضَلَ . فقال له إرميا : ارجعْ إلى أهلِكَ وأحْسِنْ إليهم ، وأسألِ الله تعالى الذي أصلَحَ عبادَه الصالحين أن يُصَلِّحَهُم . فقامَ الملكُ فمَكَثَ أَيامًا وقد نزلَ بِمُخْتَصَرٍ وجنودُه حَوْلَ بيتِ المقدسِ بأكثر من الجراد ، ففزعَ منهم بنو إسرائيل وشقَّ عليهم . فقال مَلَكُهُم لإرميا : يا نبي الله ، أين ما وَعَدَكَ الله ؟ قال : إني بربٍّ واثق . ثم أَقبلَ الملكُ إلى إرميا وهو قاعد على جِدارِ بيت المقدس وهو يضحك ويستبشر بنصر ربِّه الذي وعده ، فقمعد بين يديه وقال له : أنا الذي أَتَيْتُكَ في شأنِ أهلي مَرَّتَيْنِ . فقال إرميا : ألم يَأْنِ لَهُم أن يُفَيِّقُوا من الذي هم فيه ؟ فقال الملك : يا نبي الله ، كل شيء يُصَيِّبُنِي منهم قَبْلَ اليومِ كُنْتُ أَصْبِرُ عليه ، فالْيَوْمَ رَأَيْتُهُم في عملٍ لا يُرِضِي الله عز وجل . فقال إرميا : على أيِّ عملٍ رَأَيْتَهُم ؟ قال : على عملٍ عظيمٍ من سُخْطِ الله ، فغَضِبْتُ الله ولك وأتَيْتُكَ لأخْبِرَكَ . وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا مادَعوتَ الله عليهم ليهلكهم . قال إرميا : يا مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إن كانوا على حقٍّ وصوابٍ فأَبْقِهِم ، وإن كانوا على سُخْطِكَ وعَمَلٍ لا تَرْضاهُ فأهْلِكْهُمْ . فلَمَّا خَرَجَتِ الكلمة من فَمِ إرميا أَرسلَ الله عز وجل صاعقةً من السماءِ في بيتِ المقدسِ فَالْتَهَبَ مَكَانُ القُرْبَانِ وخُسِفَ بِسَبْعَةِ أَبْوابٍ من أبوابِها .

- فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ونَبَذَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : يَا مَلِكِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَيْنَ مِيعَادُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ! فَنُودِيَ : إِنَّهُ لَمْ يُصِبْهُمْ الَّذِي أَصَابَهُمْ  
إِلَّا بِقُتْيَاكَ وَدَعَائِكَ . فَاسْتَيْقَنَ إِرْمِيَا أَنَّهَا قُتْيَاهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ السَّائِلَ كَانَ رَسُولَ رَبِّهِ .  
فَطَارَ إِرْمِيَا حَتَّى خَالَطَ الْوُحُوشَ . وَدَخَلَ بِخُتْنَصْرَ وَجُنُودِهِ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَوِطِئَ الشَّامَ  
وَقَتَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَفْنَاهُمْ وَخَرَّبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ أَنْ يَمْلَأَ كُلَّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ تَرْسَهُ تَرَابًا ثُمَّ يَقْدِفُهُ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَقَدَفُوا فِيهِ التَّرَابَ حَتَّى مَلَأُوهُ ؛  
ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا مَنْ كَانَ فِي بِلْدَانِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ كُلِّهِمْ ، بِخَمْعُوا عَنْدهُ كُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ  
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْتَارَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ صَبِيٍّ ، وَقِيلَ سَبْعِينَ أَلْفَ صَبِيٍّ . فَلَمَّا خَرَجَتْ  
غَنَائِمُ جُنْدِهِ لَتُقَسَّمَ قَالَ لَهُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَكَ غَنَائِمُهَا كُلُّهَا ، فَأَقْسِمُ  
بَيْنَنَا هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ آخَرْتَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ  
مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ غَنَائِمَةٍ . وَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْغُلَّامَانِ دَانِيَالُ وَحَنَانِيَا وَعِزْرَارِيَا وَمِيشَائِيلُ ،  
وَسَبْعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ يَوْسُفَ  
ابْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَخِيهِ بَنِيَامِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنْ سِبْطِ أَشْرَسَ<sup>(٢)</sup> بْنِ يَعْقُوبَ ،  
وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ رِيَالُونَ بْنِ يَعْقُوبَ وَنَفْتَالِي بْنِ يَعْقُوبَ ،<sup>(٤)</sup> وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ  
مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ سِبْطِ رُوبِيْلَ<sup>(٥)</sup> وَلَاوِي ابْنِ يَعْقُوبَ ،  
وَمَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

$$\frac{30}{12}$$

- (١) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ٢ ص ٦٢٥) : « حَنَانِيَا ... وَعِزْرَارِيَا » . وَرَاجِعْ مَا كَتَبَهُ  
عَنْهُمُ الدَّكْتُورُ جُورْجُ بُوْسْتُ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ .  
(٢) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « أَشِير » .  
(٣) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « زَبُولُون » .  
(٤) كَذَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٨٦) . وَوَرَدَ فِي الْأَصُولِ بِحُرُوفٍ مُهْمَلَةٍ .  
(٥) فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (ج ١ ص ٥٠) : « رَاوِيْن » .

قال : وجعل بُخْتَنَصْرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فُتِلُّنَا أَقْرَبَ بِالشَّامِ ،  
وُتِلُّنَا سَبَى ، وَتِلُّنَا قَتَلَ . وَذَهَبَ بَأْنِيَّةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَسَلَبَ حُلِيَّهِ حَتَّى أَقْدَمَ ذَلِكَ  
بَابِلَ ، فَكَانَ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفًا وَمِائَةً أَلْفٍ عَجَلَةً مِنْ حُلِيِّ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا \*  
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ يَعْنِي بِبُخْتَنَصْرَ  
وَأَصْحَابِهِ ﴿ بَخَّاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا <sup>(١)</sup> ﴾ فَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ الْأُولَى الَّتِي  
أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَخْتِلَافِهِمْ وَظُلْمِهِمْ . وَلِنُصِلَ هَذَا الْفَصْلَ بِخَبَرِ بُخْتَنَصْرَ .

### ذكر خبر بختنصر وأبتداء أمره وكيف ملك

يُقَالُ فِي اسْمِهِ : بُخْتَنَصْرَ ( بِتَشْدِيدِ الصَّادِ وَإِسْكَانِهَا ) وَيُقَالُ فِيهِ : بُخْتَنَاصِرَ .  
وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهُ مَلَكُ الدُّنْيَا أَجْمَعِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَلَكُ  
بَابِلَ وَمَا أَفْتَتَحَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا كَانَ مَرْزُبَانًا لِلْهَرَاسِفِ الْفَارِسِيِّ . وَقَالَ قَوْمٌ :  
كَانَ أَصْلُهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ مِنَ الْفُقَرَاءِ . وَسَنَدُ كَرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تَعَالَى مَا نَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الثُّعْلُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ  
قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ... ﴾ الْآيَاتِ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ  
إِلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقْرَأُ التَّوْرَةَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ  
« بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ » بَكَى وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ أَطْبَقَ الْمَصْحَفَ  
وَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أَرْنِي هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي جَعَلْتَ هَلَاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيْهِ ؟ فَأَرَى

(١) الَّذِي فِي الثُّعْلُبِيِّ : « فُجِعِلَ بِبُخْتَنَصْرَ سَبَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ آيَتِي ٤ ، ٥ .

(٣) وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : « نَبُوخَذَنْصَرُ » وَ « نَبُوكَدَنْصَرُ » . ( رَاجِعْ تَارِيخَ الْمَشْرِقِ لِمَاسِيَرِو )

في المنام مسكينٌ ببابلَ يقال له بُخْتَنْصَرُ، فأنطلق بمال وأُعْبِدْ له وكان رجلاً مُوسِراً . ففعل له : أين تريد؟ قال : أريد التجارة . فسار حتى نزل ببابلَ ، فنزل داراً فأكترها ، ليس فيها أحدٌ غيره ، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحدٌ إلا أعطاه . فقال : هل بقي مسكينٌ غيركم؟ قالوا : نعم ، مسكينٌ بفتح آل فلان مريضٌ يقال له بُخْتَنْصَرُ . فقال لِعَلْمَتِهِ : أنطلقوا بنا ، فأنطلق حتى أنه فقال له : ما أسْمُكَ؟ قال بُخْتَنْصَرُ . فقال لِعَلْمَتِهِ : احتملوه ، فنقله إليه فمترضه حتى برئ ، فكساه وأعطاه نفقةً ، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بُخْتَنْصَرُ . فقال له الإسرائيلي : ما يُبْكِيكَ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك به . قال : بلى ، شيئاً يسيراً . فقال له : وما هو؟ قال : إن مُلِّكْتَ أطعني . فجعل يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعني من أن يُعْطِيَهُ ما سأله إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمت ما يمنعك مما سألتك إلا أن الله تعالى يريد أن يُنْفِذَ ما قد أمضى وكتب في كتابه .

قال : وضرب الدهر ضرباً به فقال صِيْحُون وهو ملك فارس ببابل : لو أنا بعثنا طليعةً إلى الشام؟ قالوا : وما ضرك لو فعلت؟ قال : فمن ترون؟ قالوا : فلان . فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف فارس ، وخرج بُخْتَنْصَرُ في مطبخه لا يخرج إلا لياكل من مطبخه [ ويعيش منه <sup>(٣)</sup> ] . فلمَّا قَدِمَ الشام رأى صاحبُ الطليعة أكثر خلق الله فرساناً ورجالاً ، فكسر ذلك في ذَرْعِهِ فلم يسأل . فجعل بُخْتَنْصَرُ يجلس في مجالس

(١) ضربان الدهر : حدثانه .

(٢) كذا في الأصول وتاريخ الطبري (ص ٦٥٦ من القسم الأول) . وفي تاريخ الطبري أيضاً

(ص ٦٥٧ من القسم الأول) : « صيحاتين » . وفي الأصول في بعض المواضع : « صحانين » .

أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ! فلو غزوتموها فما دون بيت ما لها شيء . قالوا : لا نُحسِن القتال ولا نُقاتل ، حتى انتفد مجالس أهل الشام . ثم رجع أمير الطليعة فأخبر الملك بما رأى . وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إلى الملك فدعاه ، فقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله كراءاً<sup>(١)</sup> ورجالاً كسر ذلك في ذرعه ولم يسألهم عن شيء ، وإنني لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهلَه فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا . فقال صاحب الطليعة لبختنصر : بصحبتى لك مائة ألف دينار وتزعم عما قلت . قال : لو أعطيتنى بيت مال بابل ما نزعت . فضرب الدهر ضرباً به فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساعاً ساعوا وإلا استلبوا ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرك لو فعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان . قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى . فدعا بختنصر وأرسله وأنتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فأنطلقوا بجاسوسا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا . ومات صيحون الملك ، فقالوا : استخلفوا رجلاً . فقالوا : على رساكم حتى يأتى أصحابكم فإنهم فرسانكم . فأمهلوا<sup>(٢)</sup> [وأخروا ذلك] حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه ، فقسّم ذلك فى الناس . فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا فملكوه .

قال : وقال السدى بإسناده : إن رجلاً من بنى إسرائيل رأى فى المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بنى إسرائيل على يدى غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم . فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو محتطب . فلما جاء وعلى رأسه الحطب ألقى الحزمة ثم قعد فى جانب

(١) زيادة عن الثعلبى .

(٢) أكارع الأرض : أطرافها القاصية .

- من البيت ، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال : اشتر بهذه طعاما وشرابا ، فاشترى بدرهم لحما ، وبدرهم خبزا ، وبدرهم نحرابا ، فأكلوا وشربوا ، حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به كذلك ، وفي اليوم الثالث كذلك . ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أمانا إن أنت مَلَّكتَ يوما من الدهر . قال : تسخر مني ؟ قال : إني لا أسخر منك ، ولكن ماعليك أن تتخذها عندى يدا ! فكلمته أمه فقالت : ماعليك إن كان ، وإلا لم ينقصك شيئا ، فيكتب له أمانا . فقال له : أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فأجعل لي آية تعرفني بها . قال : ترفع صيفتك على قصبة فأعيرك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يُكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويُدني مجلسه ويستشير في أمره ولا يقطع أمرا دونه ، وإنه هوى أن يتزوج بنت امرأته .
- ١ : — قال وقيل : كانت بنت أخيه ، قال الثعلبي : وهو الأصح إن شاء الله — فسأله عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها وقال : إن أرضاها لك . فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى عليه السلام حين نهاه أن يتزوج بنتها ، فعمدت أم الجارية حين جالس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رفاقا حمراء وطبقتها وألبستها من الحلى ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك ، وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض إليه ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يؤتي برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت . فلما أخذ منه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تُعطيني ما أسألك . قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك

(١) ذكر الثعلبي تأييدا لصحة قوله مانصه : « لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الخواريين يعلون الناس . فكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الأخ . قال : وكانت للملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن ينكحها وكانت لها في كل يوم حاجة يقضيها ، فسأل يحيى بن زكريا عن ذلك فنهاه عن نكاحها ... الخ » .

- أن تبعث إلى يحيى بن زكريّا فُتَوِّى برأسه فى طَسْتٍ . فقال : وَيَحْيَ ! سَابِنِي  
غير هذا . قالت : ما أريد إلا هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فَأَتَى برأسه ، والرأس  
يتكلم حتى وُضِعَ بين يديه وهو يقول : لا يَحِلُّ لك . فلما أصبح إذا دُمُهُ يَغْلِي ، فأمر  
بترابٍ فَأُلْقِيَ عليه ، فرَقِيَ الدَّمُ فوق التراب يَغْلِي ، فَأُلْقِيَ عليه أيضا فارتفع الدَّمُ فوقه ،  
فلم يزل يُلْقَى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يَغْلِي . فبلغ صَيِّحُونَ  
ملك بابل ذلك فنَادَى فى الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشا [ ويؤمر عليهم رجلا ] .  
فأتاه بختنصر فكلّمه وقال : إِنْ الذى كُنْتَ أَرْسَلْتَ تلك المِرَّةَ ضَعِيفٌ ، وإِنِّى قد  
دخلتُ المدينة وسمعتُ كلام أهلها [ فأبعثنى ] فبعثه . فسار بختنصر ، حتى إذا بلغوا ذلك  
المكان تحصنوا منه فى مدائنهم فلم يُطَقُّهُمْ . فلما اشتدَّ عليه المُقَامُ وجاع أصحابه  
وأرادوا الرجوع خرجت امرأةٌ عجوزٌ من عجائز بنى إسرائيل فقالت : أَيْنَ أميرُ الجُنْدِ ؟  
فَأَتَى بها إليه . فقالت : إنه بلغنى أنك تريد أن ترجع بجُنْدِكَ قبل أن تفتح هذه  
المدينة . قال : نعم ، قد طال مُقَامى وجاع أصحابى ، فليستُ أستطيع المُقَامَ فوق  
الذى كان منى . فقالت : أَرَأَيْتَكَ إِنْ فُتِحَتْ لك المدينةُ أُعْطِيتَ ما أسألك ،  
فَتَقْتُلَ مَنْ أَمْرُكَ بقتله ، وتُكْفَى إذا أَمْرُكَ أن تكفّ ؟ فقال لها نعم . قالت :  
إذا أصبحتَ فأقسِمُ جُنْدَكَ أربعةَ أرباع ، ثم أجعلُ فى كل زاوية رُبْعًا ، ثم أرفعوا  
أيديكم إلى السماء فنادوا : إِنَّا نُسْتَفْتِحُك يا الله بدم يحيى بن زكريّا ، فإنها سوف  
تَسَاقُطُ ، ففعلوا ، فتساقطت المدينةُ فدخلوا من جوانبها . فقالت : كُفَّ يَدُكَ وَأَقْتُلْ  
على هذا الدم حتى يسكن ، وأنطلقت به الى دم يحيى بن زكريّا ، وهو على تراب كثير ،  
فقتل عليه حتى سَكَنَ ، فقتل سبعين ألفا . فلما سكن الدم قالت له : كُفَّ يَدُكَ  
فإن الله تعالى إذا قُتِلَ نَبِيٌّ لم يَرْضَ حتى يُقْتَلَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ رَضِيَ قَتْلَهُ . وأتاه



صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته ، ونحرب بيت المقدس وأمر أن تُطرح الحيف فيه ، وقال : مَنْ طَرَحَ فِيهِ جِيفَةً فَلَهُ حِزْبُهُ تِلْكَ السَّنَةُ . قال : وأعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا .

قال : فلمّا خرب به بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسرّاتهم وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت الملك ، فلمّا قدّم وجد صيحوون ملك بابل قد مات فملك مكانه .

### ذكر خبر بختنصر مع دانيال

قال : ولما سار بختنصر إلى بابل وملك بعد موت الملك كان معه دانيال ، وكان أكرم الناس عليه هو وأصحابه ، فحسداهم المجوس على ذلك ، فوشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل ، إن لنا رباً نعبد ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم . فأمر أن يُخَدَّ لهم <sup>(١)</sup> أخدودٌ نُخَدَّ لهم وألقوا فيه وهم ستة ، وألقيَ معهم سبعٌ ضارٍ لياكلهم ، ثم قال : اذهبوا بنا لنأكل ونشرب ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم عادوا فوجدوهم سبعة والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يَخِدْش منهم أحداً . فقالوا : ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة ! نفرج السابع <sup>(٢)</sup> إلى بختنصر ، وكان ملكاً من الملائكة ، فلطمه لطمَةً فصار من الوحش [ومسخه الله] سبع سنين ، [ثم رده الله إلى صورته وردّ عليه ملكه] . هذا ما حكاه السدي .

وروى الثعلبي بسنده إلى وهب قال : لما سار بختنصر إلى بابل وملك بعد موت ملكها وأستتب أمره لبث على ذلك مدة ، ثم رأى رؤيا عجيبة فأفرغته وسأل عنها الكهنة والسحرة فعجزوا عن تعبيرها . فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن

(١) يَحْدُ : يحفر . والأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض . (٢) زيادة عن الثعلبي .

- مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمنه . فقال له دانيال : إنك قد أحسنت إلى ، وإن صاحبكم قد رأى رؤيا ، فدلّه على لا عبرتها له .
- بجاء السجن فأخبر بختصر بقصة دانيال ، فاستدعاه بجاء إليه . وكان من عادة من حضر بين يدي الملك أن يسجد له ، فلما أتوا بدانيال قام بين يديه ولم يسجد له . فقال : ما الذي منعك من السجود؟ فقال : إن لي رباً آتاني العلم والحكمة وأمرني ألا أسجد لغيره ، نخشيتُ إن سجدتُ لغيره أن يترع مني الحكمة والعلم ويهلكني . فأعجب به وقال : نعم ما فعلت حيث وقّيت بعهدك ، وأجالت علمك ، ثم قال : هل عندك علم هذه الرؤيا ؟ قال : نعم وأبشر ، فأخبره برؤياه قبل أن يخبره الملك بها ، وعبرها له . قال الثعلبيّ : وكانت الرؤيا على ما أخبرنا به عبد الله بن حامد في إسناده عن وهب بن منبه قال : إن بختصر رأى في آخر زمانه صنماً رأسه من ذهب ، وصدره من فضة ، وبطنه من نحاس ، ونخذه من حديد ، وساقاه من نحّار ، ثم رأى حجراً من السماء وقع عليه فدقه ، ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها في الأرض وفرعها في السماء ، ثم رأى عليها رجلاً بيده فأس وسمع منادياً ينادي : اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها ، وتفرق الدواب والسباع من تحتها ، وأترك أصلها قائماً . فعبرها دانيال عليه السلام له فقال : أما الصنم الذي رأيت ، فأنت الرأس وأنت أفضل الملوك . وأما الصدر الذي من فضة فأنتك يملك من بعدك . وأما البطن الذي رأيت من نحاس فملك يكون بعدك . وأما ما رأيت من الفخذين من حديد فيتفرق الناس فرقتين في فارس يكون أشدّ الملوك . وأما النحّار فأحرملكهم يكون دون الحديد . وأما الحجر الذي رأيت قد ربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله تعالى في آخر الزمان فيفرق ملكهم كلّ ، ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب .

٣٣  
١٢

وأما الشجرة التي رأيت والطير التي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها ، فيذهب ملكك ويردك الله طائرا تكون نسرا ملك الطير ، ثم يردك الله ثورا ملك الدواب ، ثم يردك الله أسدا ملك السباع والوحش سبع سنين ، وفي كل ذلك قلبك قلب إنسان ، حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، يقدر على الأرض ومن عليها ، وكما رأيت أصلها قائما فإن ملكك قائم .

٥

قال : فُسيخ يختنصر نسرا في الطيور ، وثورا في الدواب ، وأسدا في السباع ، فكان مسخه كله سبع سنين ، ثم رد الله تعالى إليه ملكه ، فأمن ودد الناس إلى الله تعالى .

قال : وسئل وهب بن منبه : أكان يختنصر مؤمنا ؟ فقال : وجدت أهل

الكتاب قد اختلفوا فيه ، فمنهم من قال : مات مؤمنا ، ومنهم من قال : مات كافرا ،

لأنه حرق بيت المقدس وكتب الله وقتل الأنبياء ، فغضب الله تعالى عليه ولم يقبل توبته .

١٠

قالوا : فأتى عبر دانيال لبختنصر رؤياه أكرمه وصحبه وأستشاره في أموره

وقربه منه حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه ، ففسده المجوس على ذلك

وشؤا به وبأصحابه إلى لبختنصر فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا

ياكلون ذبيحتك . فدعاهم وسألهم فقالوا : إن لنا ربنا نعبده ولسنا نأكل من ذبائحكم .

١٥

فأمر لبختنصر بأخدود ، فخذ لهم وألقوا فيه ، وهم ستة ، وألقى معهم سبع ضار

ليأكلهم ، ثم قالوا : انطلقوا لنا كل ونشرب ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم

جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يحدش منهم أحدا ولم ينكأهم بشيء ،

ووجدوا معهم رجلا فعادوهم فوجدوهم سبعة ، فقالوا : ما بال هذا السابع وإنما

(١) ينكأهم : يجرحهم .

كانوا ستة ! . فخرج إليهم السابع ، وكان ملكا من الملائكة ، فإطمم بختنصر لطمعة فصار في الوحوش ، ومسحه الله تعالى سبع سنين ثم رده الله تعالى إلى صورته ورد عليه ملكه .

قال السدي : ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ ورد الله تعالى عليه ملكه ، كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه ، ففسدته المجوس ووشوا به ٥  
ثانية فقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول ، وكان ذلك فيهم عار . بفعل بختنصر لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا وقالوا للبوابين : أنظروا أول من يخرج إليكم ليبول فأضربوه بالطبرزين<sup>(١)</sup> ، وإن قال لكم أنا بختنصر فقولوا له : كذبت ، بختنصر أمرنا بهذا . فحبس الله تعالى عن دانيال البول ، وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر ، فقام مدلا وذلك ليلا ، فخرج يسحب ثيابه ، فشده عليه البواب فقال : أنا بختنصر . فقال : كذبت ، بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج ، فضربه فقتله .

وحكى محمد بن إسحاق بن يسار في سبب هلاك بختنصر غير ما حكاه السدي ، وذلك أنه قال بإسناده : لما أراد الله تعالى هلاك بختنصر أنبعث فقال لمن كان في يده من بني إسرائيل : رأيتم هذا البيت الذي نحرّبته ، وهؤلاء الناس الذين قتلهم من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهله ، كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعذّوا وعصّوا ، فسأطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم ، يكرمهم ويمنعهم

(١) الطبرزين : جمعه طبرزينات . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (نبر ، تبر) ومعناها الفأس ،

وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعاقبونها في المرح ليسخدمها الفارس في وقت الزال والبراز . (راجع شفاء الغليل وصحيح الأعشى ج ١ ص ٣٦٥ وقاموس دوزي) .

- ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله تعالى وسأط عليهم غيرهم . قال : فأخبروني ما الذى يطلع بى الى السماء العليا لعلّ أطلع إليها وأقتل من فيها وأتخذها ملكاً فإنى قد فرغت من الأرض ومن فيها؟ قالوا : ما يقدر على هذا أحد من الخلائق . قال : لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم . فبكوا وتضرّعوا إلى الله تعالى ، فبعث الله عز وجل عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت فى منخره ثم ساخت فيه حتى عَضَّتْ بِأَمِّ دِمَاغِهِ فَمَا يَقْتَرُ وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى يُوجَأَ لَهُ رَأْسُهُ عَلَى أَمِّ دِمَاغِهِ . فلما عرف أنه الموت قال لخاصته من أهله : إذا مُتْ فَشُقُّوا رَأْسِي فَأَنْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي قَتَلَنِي . فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأَمِّ دِمَاغِهِ لِيرِيَّ الله تعالى عباده قُدرته وسلطانَه ، ونجى الله تعالى مَنْ بَقِيَ فى يديه من بنى إسرائيل وردّهم إلى إيليا والشام ، فبنوا فيه وربوا وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه . قال : ١٠ فيزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الموتى الذين قُتلوا ولحقوا بهم . قال : ثم إنهم لما رجعوا الى الشام وقد أُحرق التوراة وليس معهم عهد من الله تعالى جدد الله عز وجل توراتهم وردّها عليهم على لسان عزير ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .
- قال : وكان عُمرُ بختنصر بأيام مَسْخِهِ نَيْفًا وخمسين سنة وخمسين يوما . فلما مات بختنصر استخاف [أبنه] <sup>(٢)</sup> بلسطاس . وكانت آنية بيت المقدس التى حملها ١٥ بختنصر إلى بابل باقية ، فنجسها بلحوم الخنازير وأكل وشرب فيها ، وأقصى دانيال ولم يقبل منه ، وأعتزله دانيال . فبينما بلسطاس ذات يوم إذ بدت له كف بغير ساعد وكتبت ثلاثة أحرف بمشهد ثم غابت ، فعجّب من ذلك ولم يدر ما هى ، فاستدعى دانيال واعتذر اليه وسأله أن يقرأ تلك الكتابة ويخبره بتأويلها . فقرأها دانيال ، فإذا

٣٤  
١٢

٢٠ (١) يوجأ : يضرب . (٢) زيادة عن النعلبي .  
(٣) فى تاريخ ابن العبري (ص ٧٨) : « بلسطاسر » .

هى : « بسم الله الرحمن الرحيم . وَزَنَ نَخْفَ ، وَوَعِدَ فَنَجَزَ ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ » . فقال دانيال : أما قوله وَزَنَ نَخْفَ ، أى وَزَنَ عَمَلُكَ فى الميزان نَخْفَ . وَوَعِدَ مُلْكُكَ فَنَجَزَ اليوم ، وَجُمِعَ فَنَفَرَقَ ، أى جُمِعَ لك ولوالدك من قَبْلِكَ مُلْكُكَ عَظِيمٌ فَنَفَرَقَ اليوم فلا يرجع إلى يوم القيامة . فلم يلبث إلا قليلا حتى أهلكهم الله تعالى وضعف ملكهم ، وبقي دانيال بأرض بابل إلى أن مات بالسُّوس .<sup>(١)</sup>

فهذه الأقاويل التى وردت فى مختصر هى على ما جاء فى التفسير والمبتدا . وأما قول من قال إنه كان مَرَزُ بَابًا لِلْهَرَّاسِفِ الْمَلِكِ الْفَارَسِيِّ فسند كره إن شاء الله تعالى فى أخبار ملوك الفُرس ، على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى فى موضعه وهو فى الباب الثالث من القسم الرابع من هذا الفن فى السفر الثالث عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا . وهذه الاخبار التى قدمنا ذكرها أوردها أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره وفى كتابه المترجم بـ « سيواقيت البيان فى قصص القرآن » . وقال فى تفسيره : إلا أن رواية مَنْ رَوَى أن بختنصر غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام غلط عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين . وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعبيا وفى عهد إرميا بن حلقيا عليهم السلام ، وهى الواقعة الأولى التى قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَخَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ يعنى بختنصر وجنوده . قال الثعلبى قالوا : ومن عهد إرميا وتخریب بختنصر البيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعائة سنة وإحدى وستون سنة . والله أعلم .<sup>(٢)</sup>

(١) فى الأصول : « ... وزن نخف ... وجمع نفرق ... » وقد أثبتناه كما فى الثعلبى لوضوحه .  
(٢) السوس التى بها قبر دانيال عليه السلام : بلدة بخوزستان (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ١٨٨ طبع أوربا) . (٣) هو الكشف والبيان فى تفسير القرآن لأبى إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ومنه بعض أجزاء مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية .  
(٤) هو اسم كتاب أيضا .

ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن حربه بختنصر

وخبر الذي مرّ على قرية

قال الله عز وجل : ﴿ أَوَكَلَّيْ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... ﴾ الآية .

- ٥ قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله : اختلفوا في ذلك المار من كان ، فقال  
عكرمة وقتادة والرّبيع بن أنس والضحاك والسّدي وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة<sup>(٢)</sup>  
وسلم الخواص : هو عزير بن شرخيا . وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد  
ابن عمير : هو إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران ، وقد تقدّم ذكره .

- قال : وأختلفوا أيضا في القرية التي مرّ عليها ، فقال وهب وعكرمة وقتادة  
والرّبيع : هي بيت المقدس . وقال الضحاك : هي الأرض المقدسة . وقال ابن زيد :  
١٠ هي الأرض التي أهلك الله تعالى بها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر  
الموت . وقال الكلبي : هي دير سابرأ باز . وقال السّدي : هي سلماباذ . وقيل :  
هي دير هزقل<sup>(٣)</sup> . وقيل : هي قرية العنب ، وهي على فرسخين من بيت المقدس .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

- (٢) كذا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٨) طبع دار الكتب المصرية وتهذيب  
التهذيب لابن حجر (ج ٤ ص ١٧٤) . وفي الأصول : «يزيد» وهو تحريف .  
(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت وذكر أنه (بكسر أوله وزاء معجمة ساكنة وقاف مكسورة) وقال :  
وأصله حزقل ثم نقل إلى هزقل ، وهو دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم (خاص بالمجانين) ، ولليبرد حكاية  
فيه مع أحد عقلاء المجانين ، وقد ذكره دعلج بن علي حين هجا أبا عباد كاتب المأمون فقال :  
٢٠ فكانه من دير هزقل مفلت \* حق يحجز سلاسل الأقياد  
وفي الأصول والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٣ ص ٢٨٩) طبع دار الكتب المصرية : «هرقل»  
بالراء المهملة وهو خطأ . (راجع ياقوت ج ٢ ص ٥٤٢ ٦٠٦ طبع أوروبا ومسالك الأبصار لابن فضل الله  
العمري ج ١ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) .

قال فالذى يقول : إن المزار إرميا وإت القرية بيت المقدس ، هو ما رواه محمد  
 ابن إسحاق بن يسار عن وهب بن منبه : أنه لما كان من أمر إرميا ما قدمناه ،  
 وأنه طار لما ألتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبواب بيت المقدس  
 حتى خالط إرميا الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ونحرب كما تقدم . فلما  
 رجع بختنصر عن بيت المقدس أقبل إرميا على حمار له معه عصير عنب في ركوة<sup>(١)</sup>  
 وسلّة تين حتى غشي إيلياء<sup>(٢)</sup> . فلما وقف عليها ورأى خرابها قال : « أتى يحيى هذه الله  
 بعد موتها » ! . قال : ثم ربط إرميا حماره بجبل جديد ، فألقى الله تعالى عليه النوم ،  
 فلما نام نزع منه الروح مائة عام وأمات حماره ، وعصيره وتينه عنده ، وأعمى الله تعالى  
 عنه العيون فلم يره أحد وذلك حتى ، ومنع الله السباع والطير لحمه . فلما مضى من  
 نومه سبعون سنة أرسل الله عز وجل مائكا إلى ملك عظيم من ملوك  
 فارس يقال له : « بوسك<sup>(٣)</sup> » فقال له : إن الله عز وجل يأمرك أن تنفّر  
 بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أحسن ما كانت ، فانتدب  
 الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل ، فجعلوا يعمرونها فعمرت ،  
 ونجى الله تعالى من بقي من بنى إسرائيل ولم يمت ببابل أحد منهم وردّهم الله تعالى  
 إلى بيت المقدس وعمروها ثلاثين سنة حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه ، وذلك  
 بعد أن نحرّبت سبعين سنة . فلما مضت المائة سنة أحيا الله عز وجل  
 منه عينيه وسائر جسده ميت ، ثم أحيا جسده وهو ينظر ، ثم نظر إلى حماره فإذا  
 عظامه متفرقة بيض تلوح ، فسمع صوتا من السماء : أيتها العظام البالية إن الله

(١) الركوة : إناء صغير من جلد .

(٢) إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس . معناه بيت الله .

(٣) كذا في الأصول . وفي قصص الأنبياء للتعلي المطبوعة : « بوشك » . وفي المخطوطة :

« نوشك » . وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ج ٤ ص ٢٩١ ) : « كوشك » .



- يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ بِبَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَأَتَّصِلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . ثُمَّ نُودِيَ :
- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكْتَسِيَ لِحْمًا وَجِلْدًا فَكَانَ كَذَلِكَ . ثُمَّ نُودِيَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَحْيَا ، فَقَامَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَهَقَ . وَعَمَّرَ اللَّهُ تَعَالَى إِرْمِيَا ، فَهُوَ الَّذِي يُرَى فِي الْفَلَوَاتِ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ أَيْ أَحْيَاهُ ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَاتَهُ صُحَّى فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ ٥
- فِي آخِرِ النَّهَارِ قَبْلَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : « لَبِثْتُ يَوْمًا » ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرُبَتْ ، ثُمَّ آلَفَتْ فَرَأَى بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ : « أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ » ، بِمَعْنَى بَلْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ ﴾ يَعْنِي التَّيْنَ ﴿ وَشَرَابِكَ ﴾ يَعْنِي الْعَصِيرَ ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ أَيْ لَمْ يَتَغَيَّرْ ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٠
- قَالَ وَهَبُ : لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ كَلْبٌ وَلَا حِمَارٌ إِلَّا كَلْبُ أَصْحَابِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَحِمَارُ إِرْمِيَا الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ . هَذَا قَوْلٌ مِنْ قَالَ إِنَّهُ إِرْمِيَا بْنُ حَلْقِيَا .



- وَأَقَامَ مِنْ قَالَ إِنَّهُ عُزَيْرٌ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ نَحَرُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَتَلُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ قُرَّاءِ التَّوْرَةِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَبَا عُزَيْرٍ وَحَدَّهُ . وَكَانَ عُزَيْرٌ يَوْمَئِذٍ غُلَامًا قَدْ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَتَمَدَّدَ فِي الْعِلْمِ ، وَأَقْدَمَهُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ . فَلَمَّا نَجَّى عُزَيْرٌ مِنْ بَابِلَ آرْتَحَلَ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى دِيرٍ هَزَقِلَ عَلَى شَطِّ دِجْلَةَ ، وَطَافَ فِي الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَرَفِهَا أَحَدًا ، وَعَامَّةُ شَجَرِهَا حَامِلٌ ، فَأَكَلَ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَأَعْتَصَرَ مِنَ الْعَنْبِ وَشَرِبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ فَضْلَ الْفَاكِهَةِ

في سَلَّة وفضل العصير في زِق . فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال : ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ، وساق فيه نحو ما تقدم في خبر إرميا .

وقال قوم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لم يُمِيتْ حماره فأحيا الله تعالى عينيه ورأسه وسائر جسده مَيِّتٌ فقال له : « أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ » فنظر إلى حماره قائما كهيئته يومَ ربطه حيا ، لم يَطْعَمْ ولم يَشْرَبْ مائةَ عام ، ونظر إلى الرِّقَّة في عُنُقِهِ جديدة ، وهذا قول الضحَّاك وقتادة . وقال الآخرون : أراد عظام حماره كما تقدم في قصة إرميا . وقوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت . وقال الضحَّاك : وهو أنه عاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس والحية .

١٠ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أحيا الله تعالى عُزَيْرًا بعد مائة سنة ، فركب حماره حتى جاء محلته<sup>(١)</sup> ، فأنكره الناس وأنكر الناس ومنازلَه ، فأنطلق على وهِم حتى أتى منزله ، وإذا هو بعجوز عمياء قد أتى عليها مائة وعشرون سنة ، وكانت أمة لهم ، فخرج عنهم عُزَيْرٌ وهى ابنة عشرين سنة ، وكانت قد عرفتَه وعَقَلَتَه ؛ فلما أصابها الكِبَرُ والزَمَنُ<sup>(٢)</sup> قال لها عُزَيْرٌ : يا هذه ، هذا منزل عُزَيْرٍ<sup>(٣)</sup> ؟ قالت : نعم هذا منزل عُزَيْرٍ وبكت وقالت : ما رأيتُ أحداً من كذا وكذا سنة يذكُر عُزَيْرًا وقد نَسِيَ الناس . قال : فإني عُزَيْرٌ . قالت : سبحان الله ! فإنَّ عُزَيْرًا قد فقدناه من مائة

سنة . قال : فإني أنا عُزَيْرٌ ، إِنَّ اللَّهَ أَمَاتَنِي مائة سنة ثم بعثنى . قالت : فإنَّ عُزَيْرًا كان رجلاً مُجَابَّ الدعوة ، يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء ، فادعُ الله

٣٦  
١٢

(١) كذا في الثعلبي . ووردت محذوفة في الأصول . (٢) الزمن : مصدر زمن يزمن

(٣) مثل فرح) زَمَنًا وزَمَنَةً وزَمَانَةً . وعبارة الثعلبي : « فلما أصابها الكِبَرُ لحقتها زمانة » .

(٣) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « هذه منازل » ولا تتفق مع السياق .

يردّ على بصري حتى أراك ، فإن كنت عزيزاً عرفتك . فدعا ربّه تعالى فاستجاب له ومسح بيده على وجهها وعينيها فصحّتا ، وأخذ بيدها وقال لها : قومي بإذن الله تعالى ، فأطلق الله رجلها ، فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال ، فنظرت إليه فقالت : أشهد أنك عزيز . فانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو آبنه شيوخ في المجالس ، فنادت : هذا عزيز قد قديم وجاءكم ، فكذبوها . فقالت : وأنا فلانة مولاكم دعا لي ربّه فردّ الله على عبيّ وأطلق رجليّ ، وزعم أن الله أماته مائة عام ثم بعثه . فنهض الناس وأقبلوا إليه ، فقال آبنه : إنه كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه ، فكشف عن كتفيه وإذا هو عزيز .

١٠

وأما خبر فتنه اليهود به وقولهم عزيز ابن الله ، فقد روى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عزيز من أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم ، فعملوا بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا ، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التابوت فيهم . فلمّا رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم ، وأرسل عليهم مرضاً ، فاستطاعت بطونهم ، حتى إن الرجل يمس كبدّه ، حتى نسوا التوراة وفيهم عزيز . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم . وكان عزيز دعا الله وأبتهل إليه أن يرده إليه الذي نسخ من صدورهم . فبينما هو يصليّ ويبتهل إلى الله تعالى إذ نزل نور من السماء فدخل في جوفه ، فعاد إليه الذي كان ذهب من التوراة ، فأذن في قومه فقال : يا قوم ، قد أتاني الله التوراة وردّها إليّ ، فطفيق يعلمهم ، فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم . ثم إن التابوت نزل بعد ذلك . فلمّا رأوا

٢٠

التابوت عَرَضُوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عُزَيْر فوجدوه مثله ، فقالوا :  
والله ما أُوتِيَ عُزَيْر هذا إلا وهو ابن الله .

- وقال السُّدِّيَّ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ فى رواية عَمَّار بن ياسر : إنما قالت اليهودُ هذا لأنَّ  
العالمَةَ ظهرت عليهم فقتلوه وأخذوا التوراة وهَرَبَ علماءهم الذين بَقُوا ودفنوا  
التوراة فى الجبال وغيرها ، ولحق عُزَيْر بالجبال والوحوش ، وجعل يتعبد فى رؤوس  
الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول : يا رب تركتُ  
بنى إسرائيل بغير عالم ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، فنزل مرةً الى العيد ، فلما  
رجع إذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من القبور تبكى وتقول : يا مُطْعَمَاهُ ،  
ويا كاسِيَاهُ ! . فقال لها عُزَيْر : يا هذه آتقِ الله وأصبري وأحتسبي ، أما علمت أن  
الموت مكتوبٌ على الناس ! . وقال لها : وَيَحِك ! مَنْ كان يُطْعِمُكَ وَيَكْسُوكَ قبل  
هذا الرجل ؟ (يعنى زوجها التى كانت تندبه) . قالت له : الله تعالى . قال : فإن الله  
تعالى حيٌّ لا يموت . فقالت : يا عُزَيْر ، مَنْ كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟  
قال : الله . قالت : فلم تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حيٌّ لم يمت .  
فلما علم عُزَيْر أنه قد خِصِمَ وَلَّى مُدْبِرًا . فقالت له : يا عُزَيْر ، لستُ بامرأة ولمكنى  
الدنيا . أما أنه ستنبعُ لك فى مُصَلَّاكَ عينٌ وتنبتُ لك شجرةٌ ، فكلُّ من ثمره تلك  
الشجرة وأشرب من ماء تلك العين وأغتسل وصلَّ ركعتين ؛ فإنه سيأتيك شيخٌ ،  
فما أعطاك نخذ منه . فلما أصبح نبعت العين فى مُصَلَّاه ونبتت الشجرة ، ففعل  
ما أمرته به ، وجاء شيخ وقال له : افتح فاك ، ففتح فاه فألقى فيه شيئاً كهية الجمره  
العظيمة مجتمعاً كهية القوارير ثلاث مرات ، ثم قال له : أدخل هذه العين فامش  
فيها حتى تبلغ قومك . قال : فدخلها فجعل لا يرفع قدمه إلا زيد فى علمه ، فرجع  
إليهم وهو أعلم الناس بالتوراة . فقال : يا بنى إسرائيل ، قد جئكم بالتوراة . فقالوا :

يا عُزَيْر ، ما كنت كذابا . فربط على كل إصبع له قلمًا وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه ، فأحيا لبني إسرائيل التوراة وأحيا لهم السنة . فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي كانوا دفنوها ، فعارضوها بها توراة عُزَيْر فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاه الله تعالى هذا إلا أنه آبنه .

- وقال الكلبي : إن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل مئة قراء التوراة ، كان عُزَيْر إذ ذاك غلاما صغيرا ، فاستضعفه فلم يقتله ، ولم يدري أنه يقرأ التوراة . فلما توفى مئة سنة ورجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس منهم من يقرأ التوراة بعث الله عز وجل عُزَيْرًا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية ، فأتاهم فقال : أنا عُزَيْر . فكذبوه وقالوا : إن كنت عُزَيْرًا كما تزعم فأتل علينا التوراة . فكتبها وقال : هذه التوراة . ثم إن رجلا قال : إن أبي حدثني عن جدّي أن التوراة جُعِلَتْ في خابية ثم دُفِنَتْ في كرم . فأنطلقوا معه حتى أحفروها وأخرجوا التوراة ، فعارضوها بما كتب عُزَيْر فلم يجدوه غادر منها [ آية ولا ] <sup>(١)</sup> حرفا ، فعجبوا وقالوا : إن الله لم يقذف التوراة في قاب رجل واحد منّا بعد ما ذهبت من قلوبنا إلا أنه آبنه ، فعند ذلك قالت اليهود : عُزَيْر آبن الله .

(١) زيادة عن الثعلبي .

## الباب الرابع

## من القسم الثالث من الفن الخامس

في قصة ذي النون يونس بن متى عليه السلام وخبر بلوقيا

## ذكر قصة ذي النون يونس بن متى عليه السلام

- قال الكسائي رحمه الله قال وهب بن منبه : كان متى رجلا صالحا من أهل بيت النبوة ، ولم يرزق الولد الى آخر عمره بعد أن أسن هو وزوجته ، فسأل الله تعالى الولد ، فأنودي : إن الله قد استجاب دعائك ، فأنطقت إلى حاضرة التوبة ، وهو الموضع الذي أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فيه لما عبدوا العجل . فصار إلى هناك وإذا بملك قد هبط من السماء فضرب قبة على باب حاضرة التوبة ، وذلك في ليلة عاشوراء ، وأمرهما أن يدخلها فدخلوا وواقعها ، فحملت بيونس ، ثم أنصرفا إلى منزلها . فلما صار لها أربعة أشهر توفي متى وبقيت امرأته أرملة ليس لها إلا قصعة كانت لآل هارون ، فكانت تُصيب رزقها في المساء والصباح من عند الله . فلما وضعت يونس لم يكن لها لبن يكفيه ، فكانت أمه تأتي إلى الرعاة وتسألهم اللبن فلا يجيبونها ، فكانت تقول : اللهم هذا الولد هبتك فلا تهلكه جوعا ، فكانت المواشي تأتيه وتمج عليه بضرعها حتى يشبع ، فإذا شبع يقول : الحمد لله ، فأمن به جماعة من الرعاة ، فبقى كذلك حتى فطمته أمه ،

(١) كذا في الأصول والكسائي . (٢) في الكسائي : « الحمد لله الذي سقاني وآواني ،

فكانوا يدهشون إليه من فصاحته على صغر سنه فأمن به في ذلك الوقت سبعون راعيا يقولون آمنا بالذي أسقى هذا الغلام من هذه الغنم ... الخ » .

- وكان يُسمَّى يَتِيمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حتى أتت عليه سبعُ سنينَ ، فأقبل على أمه فقال :  
يا أُمِّي ، لا ينبغي أن تذهب أياي بالبطالة ، وأريد أن تُلبسني ثوبا من الصوف  
حتى ألحق بالعباد وأكون معهم . فقالت : يا بني ، أنت صغير ولم يأن لك أن تسيح .  
فلم يزل بأُمِّه حتى أجابته إلى ذلك ولحق بالعباد واشتهر ذكركه فيهم بكثرة العبادة  
حتى استكمل من العمر خمسا وعشرين سنة ، فرأى في منامه : إن الله يأمرك أن تمضي  
إلى مدينة الرملة<sup>(١)</sup> فإن فيها وليا من أوليائي وله ابنة عفيفة فتزوجها منه . فلما  
أصبح عزم على المسير ، وصحبه جماعة من بني إسرائيل من أصحابه ، وسار حتى دخل  
مدينة الرملة ، وسأل عنه فقيل : إنه في السوق يبيع ويشترى . فعجب يونس من  
ذلك وجاء إلى السوق فرآه وهو يبيع الطيب ويكثر الضحك . فقال يونس : ليس  
هذا من صفات الأولياء والعباد . فنظر إليه زكريا<sup>(٢)</sup> وقام إليه وصاحبه وسلم  
عليه باسمه واسم أبيه . قال : وكيف عرفتنى ؟ قال : رأيتك في المنام وأمرت أن  
أزوجه ابنتي منك . وتوجه به إلى منزله وقدم له الطعام فأكلا ، وذكركه رؤياه وأنها  
سبب مسيره إلى الرملة ، ثم سأله عن مكسبه بالبيع والشراء فقال : أما البيع والشراء  
فبإباح ، والتاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه ، وآتى الله ولم يمدح سلعته .
- ٣٨  
١٢
- ١٥ فلما أقبل الليل نزع زكريا ما كان عليه من الثياب ولبس الصوف ودخل محرابه  
ولم يزل في صلاته ودعائه وتضرعه حتى أصبح ، فنزع الصوف ولبس ما كان عليه  
بالأمس وبرز إلى السوق ويونس معه ، فكان ذلك دأبه .
- ثم زوج ابنته من يونس وهب لهما بعض ماله . وأقام يونس عنده ، ورزق  
الله يونس من زوجته ولدين ومات زكريا ، فأحتمل يونس زوجته إلى بيت
- ٢٠ (١) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا . (٢) في الأصول :  
« زكريا عليه السلام » والمذكور هنا هو زكريا بن عبدان ، وليس زكريا النبي أبي يحيى عليهما السلام .

المقدس وأقام هناك يعبد الله تعالى . وشعياً يومئذ بيت المقدس وهو نبيّ  
في بني إسرائيل إلى أن بعث الله تعالى يونس نبياً .

قال : وكان في بلاد نينوى ملك<sup>(١)</sup> وكانت جيوشه كثيرة ، قيل : إنها كانت تزيد على  
عشرة آلاف قائد<sup>(٢)</sup> . وكان إذا غزا تكون معه تماثيل من الأسود والفيلة متخذة  
من النحاس والحديد ، يخرج من أفواهها لهب النيران ، ومعه رجال يلعبون بالنيران .

فغزا هذا الملك بني إسرائيل على هذه الصورة ، فقتل من بني إسرائيل وسبي ، ثم عاد  
إلى بلاد نينوى ، وغزاهم ثانية وتكررت غزواته فيهم . فأوحى الله تعالى إلى شعياً  
نبيّ بني إسرائيل أن يختار من عبّاد بني إسرائيل أمينا قوياً يبعثه إلى بلاد نينوى رسولاً  
إلى من بها من الملوك وغيرهم ، فإنهم قد جحدوا حق وأنكروا معرفتي . فدخل شعياً

على حرقياً الملك وأمره أن ينادى في عبّاد بيت المقدس ، وبها يومئذ عشرة آلاف

عابد ، لبأسهم الشعر والصوف ونعائم الخوص ، فنادى فيهم بالاجتماع فأجتمعوا ،  
فأختار منهم ثلاثة وأختار من الثلاثة يونس بن متى ، ثم قال له حرقياً : إن الله أوحى  
إلى نبيه شعياً أن يختار من جملة هؤلاء العبّاد والزهاد أعبدهم وأتقاهم ، وقد وقع  
أختياره عليك لتبعث<sup>(٣)</sup> [ إلى أهل<sup>(٤)</sup> بلاد نينوى . قال يونس : إن في بني إسرائيل

من هو أعبد مني وأزهّد ، فأبعث أيها الملك غيري . قال : لا أبعث سواك ، فأنهض

(١) نينوى : كانت قصبة آشور وأعظم مدنها . أسسها آشور على ضفة دجلة الشرقية قبالة الموصل ،  
وهي تبعد عن بابل نحو ٢٥٠ ميلاً وعن خليج فارس إلى الشمال الغربي منه ٥٥٠ ميلاً . (راجع قاموس  
الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) .

(٢) في الكسائي : « يقال له ثعالب بن الأسارد » .

(٣) في الكسائي بعد هذا : « ومع كل قائد خلق كثير » .

(٤) التكملة عن قصص الأنبياء للكسائي .



- ولا تخالفني فإن هذا عن أمر الله . فَأَنْصَرَفَ يُونُسُ إِلَى أُمِّهِ وَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَأَسْتَشَارَهَا ،  
 فقالت : إن الله أنطق الملك في حتمك بالرسالة فسر كما أمرت ولا تعص الله ونبينا  
 شعياً وملكنا حزقياً . فعزم على المسير وودّع أمه وحمل أهله حتى بلغ شاطئ دجلة ،  
 فنزل هناك وفكر في أمره وضعفه وعياله وقال : كيف لي بمطاوله الجبابرة والفراعنة !  
 وأقبل على أهله وقال : قد عزمت على الفرار ، فنهاه أهله عن ذلك . فسكت .  
 وقام ليعبر دجلة إلى بلاد نينوى فعبر بولده الأكبر ، ثم رجع وأخذ ولده الثاني .  
 فلما توسط دجلة زاد الماء فغرق أبنه الذي كان معه ، وكان في يده نقرة<sup>(١)</sup> من  
 الذهب كان قد ورثها من حميه فغرقته ، وجاء ذئب إلى ولده الذي عبر به فأحتمله .  
 فصاحت المرأة : يا يونس ، إن أبنيك أخذه الذئب . فخرج من الماء يعدو خلف  
 الذئب فالتفت إليه وقال : ارجع يا يونس فإنني مأمور ، فرجع يونس باكياً على ولديه .  
 فلما بلغ الشط لم ير أهله ، فجلس يبكي . فأوحى الله إليه : إنك شكوت كثرة العيال ،  
 وقد أرحتك منهم ، فأذهب الآن إلى قومك فإنني سأرد عليك أهلك ولديك  
 وأنا على كل شيء قدير . فطابت نفسه وسار حتى بلغ بلاد نينوى فتوسط  
 سوقها ونادى : يا قوم ، قولوا بأجمعكم : لا إله إلا الله وأني يونس عبده ورسوله .  
 فلما سمعوا ذلك أقبلوا على مملكتهم وأخبروه به وبمقالته . فأحضره الملك  
 وقال له : من أين أنت ؟ قال : رسول الله إليك وإلى أهل مملكته فأمنوا بي  
 تنجوا من النار . فأمر الملك بحبسه ثم بعث إليه وزيره ، وهو من أهل بيت المقدس ،  
 وأسمه سنجير<sup>(٢)</sup> ، فقال له : أدخل على هذا الرجل يونس وتعرف أمره . فدخل عليه  
 وسأله عن اسمه وأسم أبيه ، ومن أين أقبل وفيماذا جاء . فذكر له أنه رسول الله

٢٠ (١) النقرة من الذهب : ما سبك مجتمعا منها .

(٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « سنحاريب » .

إليهم . فقال له الوزير : أرى أن ترفق فإني أخشى عليك من هذا الملك فإنه جبار .  
 وأنصرف الوزير إلى الملك وقال له : قد عرفت الرجل ، وقد ذكر أنه رسول من  
 إله السماء . فهمم الملك بقتله ، فاستوهبه الوزير منه على أن يكون في البلد ولا يقول  
 مثل مقالته . فاستدعى الوزير يونس وذكر له ذلك . فقال له : أقما القتل فلا أخشى  
 منه ، والرسالة فلا أتركها حتى يحكم الله بيني وبينه . ثم إن الملك خلى سبيله على أنه  
 مجنون . فلم يزل يونس يدعوهم إلى طاعة الله تعالى في كل يوم عاقمة نهاره ، حتى إذا  
 جاء المساء أتى شطّ دجلة فيصلي حتى يصبح ، ثم يعود إليهم والناس يضربونه  
 ويرجمونه ويسبونه حتى ضجر فاستغاث إلى ربه . فأوحى الله تعالى إليه : يا يونس ،  
 إنك دعوت القوم فلا تعجل عليهم وأدعهم أربعين يوماً ، فإن آمنوا وإلا جاءهم  
 العذاب . فدعاهم حتى استكمل العدة ولم يؤمنوا . فأوحى الله إليه أن أخرج من بين  
 أظهرهم ، فخرج حتى بلغ شاطئ دجلة ، فقعده ينظر إلى العذاب كيف ينزل بالقوم .  
 فأمر الله تعالى جبريل أن يرسل على قوم يونس سحابة فيها ألوان العذاب ، فأنطلق  
 إلى مالك وأمره بذلك ، فأخرج شرارة من الحطمة على مثال سحابة سوداء مظلمة .  
 فجاءت بها الزبانية حتى بلغت بلاد نينوى وانبسطت حتى أظلت عليها ، فظن القوم أنها  
 مطر . فنظر وزير الملك إلى السحابة يخرج من أطرافها شرر النار ، فدخل على  
 الملك وقال : الحذر الحذر ! فليست هذه سحابة مطر بل هي سحابة عذاب ، وأخشى  
 أن يكون ذلك لتكذيبنا يونس نبي الله . ثم قال : أنظروا إلى يونس إن كان معكم  
 في بلدكم فلا تخافوا ، وإن كان قد خرج عنكم فقد هلكتم . فطلبوا يونس فلم يجدوه .  
 وجعلت السحابة تدنو حتى قربت منهم ورمتهم بشرر كالرماد الأحمر لا يقع على

- شيء إلا أحرقه . فبينما الناس يقولون : أين نطلب يونس إذا هم بالملك قد خرج عليهم وجميع أصحابه وهم يقولون : أين أنت يا يونس ! فإننا لانعود إلى مخالفتك ، فلم يجدوه . فأقبل عليهم سنجير الوزير وقال : أيها الملك ، إن يكن يونس قد غاب عنا فإن إلهه لم يغيب ، فتمالوا حتى نتضرع إلى الله لعله يرحمنا . فخرجوا بأجمعهم ونسائهم وأطفالهم إلى ظاهر البلد يبكون ويتضرعون ، فقام سنجير فيهم وقال :  
 ٥ إلهنا إنك أمرتنا أن نعتق رقاب عبيدنا وإمائنا ونحن عبيدك وإماؤك فأعتقنا . إلهنا إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا فأغفر لنا وأعف عنا . اللهم أعتقنا من عذابك فإننا قد آمنا بنبيك يونس وجميع النبيين فأغفر لنا ذنوبنا ، ثم خروا سجدًا بأجمعهم . فأوحى الله تعالى إلى ملائكة العذاب أن أرجعوا ، فأنصرفت السحابة عنهم ، وسمعوا صوتا : أبشروا يا أهل نينوى برحمة من ربكم ؛ فرجعوا إلى المدينة وقد آمنوا .  
 ١٠ وجاء يونس لينظر إلى ما نزل بهم من العذاب ، فلقى<sup>(١)</sup>ه إبليس في صورة شيخ . فقال له يونس : من أين أفبلت أيها الشيخ ؟ [قال] : من نينوى . قال : فما نزل بهم اليوم ؟ قال : ما نزل بنا إلا سحابة بيضاء أمطرت مطرا جودا ، وكان يونس قد وعدنا بالعذاب فلم يكن وعلمنا كذبه . فغضب يونس وقال : لا أعود إلى قوم كذبوني ، وسار . قال الله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ۖ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالْكَلْبِيُّ : معناه أن لن نقضى عليه بالعقوبة ، وهي رواية العوفي عن ابن عباس ؛ ودليل ذلك قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرري « فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » بالتشديد . وقال عطاء وكثير من العلماء : معناه نضيق عليه الحبس .

(١) التكملة عن الكسائي . (٢) الجود من المطر : العزيز .

قال الكسائي<sup>(١)</sup> : فلم يزل يسير حتى لحق بساحل البحر ، فإذا هو بسفينة مازة  
فلوح إليهم فدخلوا إليه فقال : احملوني معكم فلأتى رجل منقطع غريب من بيت  
المقدس . فحملوه فقعده على كوثل السفينة<sup>(٢)</sup> . فلما توسطوا البحر هبت عليهم رياح  
كثيرة من جميع الجوانب وأشرفوا على الغرق ، فأخذوا في الدعاء والتضرع ويونس  
لا يتكلم ، فأقبل أهل السفينة عليه وقالوا : لم لم تدع أنت معنا؟ قال : لأنى مغموم  
لذهاب الأهل والولد . فلم يزالوا به حتى دعا ، فآزداد البحر هيجانا . قال يونس :  
اطرحونى فى البحر فإن هذا من أجلى . قالوا : ما نفعل . قال : فأقترعوا . فأقترعوا  
فوقعت القرعة عليه . فقالوا : إن القرعة تخطئ وتصيب ، ولكن تعالوا حتى نتساهم .  
فجعل كل واحد منهم لنفسه سهما ثم رموا بها فى البحر ، فغرقت إلا سهم يونس فإنه  
بقي على وجه الماء . قال الله عز وجل : ﴿ فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ثم أقبل  
حوت عظيم من بحر الهند حتى بلغ جانب السفينة ، فقام يونس ليرمى بنفسه ، فتعلق  
القوم به وقالوا : ألا ترى هذه الأمواج وهذا الحوت العظيم ! فأقعدوه والبحر يزيد  
عليهم بكثرة أمواجه وأهواله ، فصار إلى جانب السفينة ليرمى بنفسه ، فإذا بالحوت  
قد دار إلى الجانب الذى قصد أن يرمى نفسه منه ، فعلم يونس أنه هو المراد ، فغطى  
وجهه بكسائه ورمى نفسه فى البحر فأبتلعه الحوت . قال الله تعالى : ﴿ فَالتَّمَمَهُ  
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> معناه يلوم نفسه على ما فعله . وبقى فى جوف الحوت وهو يسمع

(١) الكوثل (بالثاء المثناة) : ذنب السفينة . وفى أ : « كويل » بالباء الموحدة . وفى ب :

« كوتل » بالثاء المثناة وكلاهما تصحيف . (٢) سورة الصافات آية ١٤١

(٣) ورد فى الكسائي عن كعب الأحبار : أن ذلك البحر هو بحر الروم . وفى قاموس الجغرافية

القديمة للرحوم أحمد زكى باشا (ص ٢٢) : أن بحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط ، وسمى بحر الروم

لأن البلاد التى على سواحه كانت كلها فى ملك الروم . (٤) سورة الصافات آية ١٤٢

- (١) تسبيح الحيتان بلغاتهم ، فلم يزل كذلك حتى بلغ [الى موضع يُسمع فيه صريف الأقلام] . وهو اذا سجد يكون سجوده على كبِد الحوت وهو يقول له : يا يونس ، أسمعني تسبيح المغموين المحبوسين في حَبْس لم يُحَبَس فيه أحد من الآدميين ، ويونس يقول : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وكانت الملائكة تقول : إلهنا إنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرا ، اللهم آرحمه في غربته . قال الله تعالى : ﴿ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ (٢) الآية . قيل : ظُلمة الليل ، وظُلمة البحر ، وظُلمة بطن الحوت . قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (٣) أى المصلين ﴿ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٤) . واختلف في مدة لبثه ، فمنهم من قال : لَيْت أربعين يوما ، وقيل : ثلاثة أيام . فلما آنقضت المدة التي قدر الله عليه ألهم الله الحوت أن يرجع إلى الموضع الذي أبتلعه فيه . فشق ذلك على الحوت لأنه كان قد أنس به وبتسبيحه ، فناداه الملك أن أقذفه من بطنك فليس هو مطعم لك . فتقدم الحوت إلى الساحل وقذفه . قال الله تعالى : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (٥) . قال : خرج كالفرخ الذي لا ريش له ، وهو لا يقدر على القيام ، فأثبت الله عليه شجرة من يَقْطِين كان لها ثلاثة أغصان : غصن قِبَل المشرق ، وغصن قِبَل المغرب ، والغصن الثالث على رأسه . وجاءه جبريل فقال : يا يونس ، إن الله قد أعطاك من الجنة ما ترضى به ، ثم أمرَ يده على رأسه وجسمه فأثبت الله شعره ولحيته ، وأمر

(١) كذا في تفسير القرطبي . وصريف الأقلام ، أى صوت جريانها بما تكتبه من أفضية الله تعالى وروحيه وما يتسخونه من اللوح المحفوظ ( كما في النهاية لابن الأثير ) . وفي الأصول : « حتى بلغ حصن الرجال » ودوت حريف .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧ (٣) سورة الصافات آية ١٤٣ (٤) سورة الصافات آية ١٤٤ (٥) سورة الصافات آية ١٤٥ (٦) اليقطين : شجر القرع .

الله طيبة فوقفت بين يديّ يونس وكلمته بإذن الله، فمّصّ من لبنها فقوى عند شربه، ثم بشرته بإيمان قومه وأخبرته بما كان من أمرهم وسبب إيمانهم وذكّرت آشتياقهم إلى رؤيته. وكانت الطيبة ترعى حول يونس فإذا جاع أو عطش أرضعته، فلم يزل كذلك أربعين يوما. فنام في بعض الأيام ثم أنبته فرأى اليقطينة قد جفت والطيبة قد غابت، فأغتم لذلك، فعلم يونس أن الله ضرب له مثالا بقومه، ثم هبط عليه ملك وقال: قم إلى قومك فإنهم يتمنون رؤيتك، وأتاه بجنتين فأترز بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم سار حتى دخل قرية كثيرة الأشجار والخيرات وأهلها يقطعون تلك الأشجار ويلقون ثمارها في الأرض، فقال: يا قوم، كيف تفعلون ذلك وتبطلون على أنفسكم ثمارها! فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنك أشفقت على قوم لا تعرفهم من قطعهم الأشجار ولم تُشفق على قومك وهم مائة ألف أو يزيدون! فعلم يونس أن هذا مثل ضرب به الله تعالى له، فقال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبدا. ثم سار حتى دخل قرية أخرى وقت المساء، فتلقاه رجل من أهل القرية وسأله أن ينزل عليه فنزل. فلما أكل وشرب نظر إلى بيت الرجل وفيه نخار كثير يريد أن يؤقد عليه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، قل لهذا الفاحراني أن يكسر النخار الذي قد عملته. فقال يونس ذلك للفاحراني، فقال: يا هذا أضفتك لِمَا رأيتُ فيك من آثار الخير وإذا أنت رجل مجنون، تأمرني أن أكسر نخارا قد أتعبت فيه نفسي لأنتفع بثمره! قم الآن فأخرج من عندي، وأخرجه. فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس، إنه أشفق على نخاره وسمّاك مجنونا وأخرجك من منزله حين أمرته بكسره، وأنت بعثت إلى مائة ألف أو يزيدون فدعوت عليهم ولم تفكر في هلاكهم فترحمهم! قال: إلهي لا أعود إلى ذلك أبدا. فلما أصبح سار فإذا هو برجل يزرع زرا، فقال له الرجل: ادع الله عز وجل حتى يبارك لي في زرع، فدعا له فأنبته الله تعالى من ساعته

- وقام على سُوقه ، ففرح الرجل وأتى بيونس إلى منزله . فأوحى الله تعالى إليه :  
يايونس ، قد حزنت على إرسال الجراد على الزرع ولم تزرعه ، ولم تحزن على إرسال  
العذاب على مائة ألف أو يزيدون ! . قال : إلهي تبتُ إليك من ذنبي لا أعود إليه  
أبدا . وسار حتى دخل قرية وهناك امرأة معها رجل وهو ينادي : مَنْ [يحمل] <sup>(٢)</sup>  
هذه المرأة إلى بلاد نينوى <sup>(١)</sup> [ويردّها] إلى زوجها وله مائة مثقال من الذهب ؟ فنظر  
إليها يونس فإذا هي امرأته ، فقال : أيها الرجل ، ماقصة هذه المرأة ؟ قال : إنها  
كانت قاعدةً على شاطئ دجلة تنتظر زوجها يونس ، فمزَّ بها ملكٌ من ملوك هذه  
القرية فأحتملها وأراد أن يفجر بها ، فأبى الله يديه ورجليه ، فسألها أن تدعوه  
بالفرج ولا يعود إلى ذلك ، فدعت له . فلما عافاه الله لوقته دفعها إلىّ وأعطانى  
مائة مثقال ذهباً على أن أحملها إلى بلاد نينوى ، وما يمكنني ذلك . قال يونس :  
أنا أحملها فأعطيني الذهب ، فأعطاه إياه وسلم إليه المرأة . فسارا وقد فرحا حتى أتيا  
قريةً أخرى ، وإذا برجل يبيع سمكة ، فأشترها يونس وقعد ليُصلحها فشق بطنها فوجد  
فيها تلك الصرة الذهب التي وقعت منه في دجلة ، فقال : الحمد لله الذي ردّ عليّ أهلي  
ومالي ، اللهم فأردّدْ عليّ أولادي يا أرحم الراحمين ، ثم سار فإذا هو برجل على دابة  
ومن ورائه غلامٌ ، فإذا هو ولد يونس الصغير . فتعلّق به ، فقال له الرجل : مَنْ أنت ؟  
قال : أنا يونس . فسلم إليه الغلام وقال : الحمد لله الذي ردّ الأمانة إلى أهلها وخلص  
ذمتي . فسأله يونس عن قصة الغلام فقال : أنا رجل صيَّاد ، وكنتُ قد ألقيتُ  
الشبكة في طرف دجلة فوقع هذا الغلام فيها فأخذته ، وإذا بها تف يقول :

٤١  
١٢

(١) سقط هنا ما معناه : « فأرسل الله جرادا إلى الزرع فأكله ، فحزن يونس لذلك ، فأوحى

الله ... الخ » . وخبر الزرع وصاحبه ليس في الكسائي .

- يا صيَّاد، احفظ هذا الغلام حتى يأتِيَ اليك يونس فإنه أبوه فادفعه إليه . ثم قال له : يا نبيّ الله ، أدعُ لي أن يُغنيَنِي الله عن صيد السمك ، فدعا له فرزقه الله مالا وولدا . وسار يونس حتى قُرب من بلاد نينوى ، فإذا هو براجٍ على قارعة الطريق يرعى غنما وهو يقول : اللهم اردد عليّ والدي ، فرآه يونس فعرفه وهو ولده الأكبر ، فتعانقا وبكيا طويلا ، ثم قال له : يا أبتِ إن هذه الأغنام لرجلٍ في القرية فيسرُ معي حتى أردّها إليه ، فسارا إلى القرية وإذا بشيخ على باب داره ، فقال له الغلام : هذا أبي . فقام الشيخ إلى يونس وسلّم عليه . فقال له يونس : هل تعرف قصّة هذا الغلام ؟ قال الشيخ : نعم ، كنتُ أرعى هذه الغنمَ ، وإذا بهذا الغلام على ظهر ذئبٍ فكلمني الذئب بقدرّة الله وقال : إذا جاء اليك يونس فادفعْ إليه هذا الغلام . ثم قال له : يا نبيّ الله ، أدعُ الله أن يغفر لي ذنوبي وأن يميّتي في وقتي هذا ، فدعا له فقبضه الله لوقته ، فغسله يونس وكفّنه وصلى عليه ودفنه . ثم سار حتى قُرب من المدينة ، فإذا هو بغلام يرعى غنما فوقف يونس عليه السلام وقال : يا غلام ، هل من لبنٍ ؟ قال الغلام : يا هذا ، والذي بعث إلينا يونس نبيا ما ذقتُ اللبن منذ غاب عنا نبيّنا يونس . قال : فأنا يونس نبيّ الله . فقبل الغلام رأسه وقال : لو رأيتنا يا نبيّ الله ونحن نجول تحت العذاب لرحمتنا . قال : يا غلام ، اذهبِ الآن إلى المدينة وأخبرِ الناس أنك قد رأيتني . قال : أخشى أن يكذبوني . فقال : سرّ اليهم [ وهذه الأغنام شهود لك <sup>(١)</sup> ] . فمضى حتى توسّط سوق المدينة وقال : أيها الناس ، البشري فقد رجع إلينا يونس نبيّنا وقد لقيناه . فاتّصل الخبر بالملك فقام عن سريره وقال : عليّ بالغلام ، فأتي به ، فسأله فأخبره بمقدّم يونس . ففرح وخرج الملك وأهل المدينة وآلّ تقوا بيونس وأدخلوه المدينة وأجلسه الملك في موضعه ، ووقف بين يديه ، وفرح به أهل المدينة . فقام



يونس فيهم ما شاء الله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى أن مات الملك وماتت امرأة يونس وولدها جميعا ، فاستخلف يونس الراعى على مدينة يَنْوَى وخرج هو وسبعون رجلا من العباد حتى جاء الى جبل يقال له صِهْيُون<sup>(١)</sup> فكانوا هناك يعبدون الله حق عبادته ، حتى مات يونس عليه السلام ، ومات العباد الذين صحبوه ، فقبروا هناك في جبل صِهْيُون ، رضى الله عنهم ورحمهم .

### ذكر خبر بلوقيا وما شاهد من العجائب

وهذه القصة تشتمل على عجائب كثيرة ووقائع قد ينكرها بعض من يقف عليها لغرابتها وليست بمستنكرة بعد أن ثبت في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ “ . ولناخذ الآن في سرد القصة .

قال أبو إسحاق الشَّعْبِيُّ رحمه الله تعالى في كتابه المترجم بيواقيت البيان في قصص القرآن بسند رفعه عن عبد الله بن سلام قال :

(١) صِهْيُون (الجبل المشمس أو الجاف) قد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم إلا أنه يختص غالبا في الجبل الجنوبي الغربي من المدينة . وكان هذا الجبل محاطا من كل جانب إلا جانب الشمال بأودية عميقة الجوانب شاذقتها ، فكان وادي الجبانين الى شرقه يفصله عن موريا وأوفل و وادي ابن هنوم الى جنوبيه وغربيه ، وسمى جزؤه المحاذي المدينة غربا وادي جيحون . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست) .

(٢) أى آية من القرآن ، أو المراد بالآية العلامة الظاهرة ، أى ولو كان المبلغ فعلا أو إشارة ونحوهما . (راجع القسطلاني ج ٥ ص ٥٠٤ طبع بلاق) .

٤٢  
١٢

كان في بني إسرائيل رجل يقال له «أوشيا» وكان من علمائهم ،  
 وكان كثير المال ، وكان إماما لبني إسرائيل ، وكان قد عَرَفَ نَعْتَ النَّبِيِّ <sup>(١)</sup> صلى  
 الله عليه وسلم في التوراة ، نخبأه وكتبه عنهم . وكان له ابْنٌ يقال له بُلُوقِيَا خليفة  
 أبيه في بني إسرائيل ، وذلك بعد سايان بن داود عليهما السلام . فلما مات  
 أوشيا بقي أبْنُه بُلُوقِيَا والأمانة في يده والقضاء ، فتمتّش يوما خزان أبيه فوجد  
 فيها تابوتا من حديد مُقْفَلًا بِمُفْلٍ حديدٍ ، فسأل الخُزَّانَ عن ذلك ، فقالوا :  
 لا ندرى . فأحتال على القفل حتى فُتِكَ ، فإذا فيه صندوق من خشب الساج ، ففتكه  
 وإذا فيه أوراق ، فقرأها فإذا فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّتُه وهي محتومةٌ  
 بالمسك ، فقرأ ذلك على بني إسرائيل ثم قال : الويل لك يا أبت من الله فيما كتبتَ  
 وكتمتَ من الحق وأهله ! . فقالت بنو إسرائيل : يا بُلُوقِيَا ، لولا أنك إمامنا وكبيرنا  
 لنبشنا قبره وأخرجناه منه وحرّقناه بالنار . قال : يا قوم ، [ لا ضير <sup>(٢)</sup> ] إنما ترك حظّ  
 نفسه وخسر في دينه ودُنياه ، فألحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّتُه بالتوراة .  
 قال : وكانت أم بُلُوقِيَا في الأحياء ، فاستأذنها في الخروج إلى بلاد الشام ، وكانوا  
 يومئذ في بلاد مصر . فقالت : وما تصنع بالشام ؟ قال : أسأل عن محمد وأُمَّتِه ،  
 فاعلّ الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه ، فأذنتُ له . فبرز بُلُوقِيَا وقدم بلاد الشام .  
 فبينما هو يسير إذا انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بمحيطات كأمثال  
 الإبل عَظْمًا وفي الطُّول ما شاء الله وهنّ يقنن : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقلن  
 له : أيها الخلق المخلوق من أنت ؟ وما أسمك ؟ قال : أسمى بُلُوقِيَا ، وأنا من بني إسرائيل .  
 فقُنن : وما إسرائيل ؟ قلت : من ولد آدم . فقُنن : سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم

٢٠ (١) كذا في النعالي . وفي الأصول : «بعث النبي» .

(٢) النكلة عن النعالي .

- إسرائيل . فقال بلوقيا : أيتها الحيات مَنْ أَنتِ؟ فقلن : نحن حيات من حيات جهنم ونحن نعدّيب الكفار فيها يوم القيامة . قال بلوقيا : وما تصنعن هاهنا؟ وكيف عرفتن محمدا؟ فقلن : إن جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا هاهنا ثم نعود إليها ، فشدّة الحر في الصيف من حرّها ، وشدّة البرد في الشتاء من بردها . وليس في جهنم دَرَك من دركاتها ، ولا باب من أبوابها ، ولا سُرادق من سُرادقاتها إلا وقد كُتب عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فمن أجل هذا عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم . قال بلوقيا : أيتها الحيات ، هل في جهنم مثلكنّ أو أكبر منكنّ؟ فقلن : إن في جهنم حيات تدخل إحداها في أنف إحداهن وتخرج من فمها ولا تشعر بذلك لعظمها . قال : فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى ، فإذا هو بحيات كأمثال الجذوع والسواري ، وعلى متن إحداهن حية صغرى صفراء كلما مشّت اجتمعت الحيات حولها فإذا نفخت صرّن تحت الأرض خوفا منها . فلما رآها ورأته قالت له : أيها الخالق المخلوق مَنْ أَنت؟ وما آسْمُكَ؟ قال : آسمى بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل من ولد إبراهيم . فاخبرني أيتها الحية مَنْ أَنت؟ قالت : أنا موكلة بالحيات وآسمى تملیخا ، ولولا أنى موكلة بهن لقتلت الحيات بنى آدم كلهم في يوم واحد ، ولكنى إذا صفرتُ صفرة [واحدة] <sup>(١)</sup> وسمعن صوتى دخان فى الماء الذى تحت الأرض . ولكن يا بلوقيا إن لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فأقرئه منى السلام . قال : ومضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأتى بيت المقدس ، وكان بها حبرٌ من أحبارهم يسمى عفان الخير ، فأتاه فسلم عليه وقصّ عليه قصّته . فقال له : ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته ، بينك وبينه بعد سنين وقرون . ثم قال عفان : يا بلوقيا أرني موضع الحية التى آسمها تملیخا ، فإن قدرت أن أصيدا رجوت أن أنال معك مَلْكا

(١) النكلة عن الثعلبي .

- عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه .  
قال : فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال : أنا أريك  
المكان . فقام عَفَّان وأخذ تابوتا من حديد وحمل فيه قَدَحَيْنِ من فضة في أحدهما خمر  
وفي الآخر لبن ؛ ثم سارا جميعا حتى آتيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنجيا .  
وجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت وشربت من اللبن والخمر حتى سكرت  
ونامت . فقام عَفَّان ودبَّ الى التابوت ديبيا خفيفا فأغلق بابه وأحتضنه وسارا جميعا  
فلم يمتزا بشجرة ولا بيت إلا كلمهما بإذن الله تعالى . فمتزا بشجرة يقال لها الدواء  
فقالت : يا عفان ، مَنْ يأخذني ويقطعني ويدقني ويعصر مائي ودهني ويطي به  
قدميه فإنه يغوص البحار السبعة ولا تبطل قدماه ولا يغرق . فقال عفان : إياك  
طلبتُ ، فقطع تلك الشجرة فدقها وعصر دهنها وجعله في كوز ثم خلَّى عن الحية فطارت  
بين السماء والأرض وهي تقول : يا بني آدم ما أجراكم على الله تعالى ، وإن تصلوا الى  
ما تريدون ، وذهبت الحية . وسار عفان وبلوقيا الى اليم فطليا أقدامهما ثم عبَّرا البحر  
ومشيا على الماء كما كانا يمشيان على الأرض حتى قطعا البحر الأول ثم الثاني ، فإذا  
هما بجبل في وسط البحر ليس بعالي ولا متدانٍ ترابه كالمسك ، عليه غمام أبيض ،  
وفيه كهفٌ ، وفي الكهف سريرٌ من الذهب عليه شابٌ مُستلقٍ على قفاه ذو وفرة<sup>(١)</sup> ،  
واضع يده اليمنى على صدره واليسرى على بطنه بمنزلة النائم وليس بنائم وهو ميت ،  
وعلى رأسه تنين وخاتمه في الشمال . قال : وكان ذلك سليمان بن داود ، ومُلك سليمان  
في خاتمه ، وكانت حلقة من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع ، مكتوبٌ عليه  
أربعة أسطر ، في كل سطر اسمٌ من أسماء الله الأعظم . وكان عند عفان علمٌ من  
الكتاب ، فقال بلوقيا : مَنْ هذا؟ قال : هذا سليمان بن داود ، نريد أن نأخذ خاتمه

- فتملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم . فقال بلوقيا :
- أليس قد سأل سليمانُ ربه : « رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » فأعطاه الله إياه على ما سأل ، ولا يُنالُ ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه . فقال عفان :
- يا بلوقيا اسكُتْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَمَعَنَا أَسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ ، وَالْكَرْبُ أَنْتَ يَا بَلُوقِيَا فَأَقْرَأِ التَّوْرَةَ . فَتَقَدَّمَ عَفَّانُ لِيَتْرَعَ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ مِنْ إِبْصِعِهِ ، فَقَالَ التَّائِبُ : مَا أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ !
- ٥ إِنْ غَلَبْنَا بِأَسْمِ اللَّهِ فَنَحْنُ نَغْلِبُكَ بِقُوَّةِ اللَّهِ . قَالَ : فَكَلَّمَا نَفَخَ التَّائِبُ ذِكْرَ بَلُوقِيَا أَسْمَ اللَّهِ ، فَلَمْ تَعْمَلْ نَفَخَاتِ التَّائِبِينَ فِيهِمَا . وَدَنَا عَفَّانُ مِنَ السَّرِيرِ لِيَتْرَعَ الْخَاتَمَ مِنْ إِبْصِعِ سُلَيْمَانَ ، فَاشْتَغَلَ بَلُوقِيَا بِالنَّظَرِ إِلَى نَزُولِ جَبْرِيلَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا نَزَلَ صَاحَ بِهِمَا صَيْحَةً ارْتَجَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَتَزَلْزَلَتْ مِنْهَا وَآخْتَلَطَتْ مِيَاهُ الْبَحَارِ وَمَاجَتْ وَالتَّطُمَتِ حَتَّى صَارَ كُلُّ عَذَبٍ مِلْحًا مِنْ شِدَّةِ صَيْحَتِهِ ، وَسَقَطَ عَفَّانُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَنَفَخَ التَّائِبُ
- ١٠ نَفْرَجَتْ مِنْ بَطْنِهِ شُعْلَةٌ نَارُكَانَهَا الْبَرْقُ الْخَاطِفُ ، فَاحْتَرَقَ عَفَّانُ وَعَادَتْ نَفْخَتُهُ فِي الْبَحْرِ فَمَا مَرَّتِ الْبَرْقَةُ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ وَلَا بِمَاءٍ إِلَّا أَجَاشَتْهُ وَأَغْلَتْهُ . وَذَكَرَ بَلُوقِيَا أَسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فَلَمْ يَنْلِهِ مَكْرُوهٌ ، ثُمَّ تَرَاءَى لَهُ جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ آدَمَ مَا أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ! فَقَالَ لَهُ بَلُوقِيَا : مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَنَا جَبْرِيلُ أَمِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قَالَ لَهُ يَا جَبْرِيلُ ، إِنَّمَا خَرَجْتُ حَبًّا لِمُحَمَّدٍ وَدِينِهِ وَلَمْ أَقْصِدِ الْخَطَا
- ١٥ وَلَمْ أَتَعَمَّدْهُ . قَالَ : فَبِذَلِكَ نَجُوتَ . ثُمَّ صَعِدَ جَبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَضَى بَلُوقِيَا فَطَلَّى قَدَمِيهِ بِذَلِكَ الدَّهْنِ فَأَضَلَّ الطَّرِيقَ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ ، وَسَارَ فَقَطَعَ سِتَّةَ أَمْجَاحٍ وَوَقَعَ فِي السَّابِغِ فَإِذَا هُوَ بِجَزِيرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ حَشِيشِهَا الْوَرَسُ<sup>(١)</sup> وَالزَّرْعُفَرَانُ وَأَشْجَارُهَا النَّخْلُ وَالرَّمَّانُ . قَالَ بَلُوقِيَا : مَا أَشْبَهَ هَذَا الْمَكَانَ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا وُصِفَتْ ! .
- ٢٠ ثُمَّ دَنَا مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ فَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا ، فَقَالَتِ الشَّجَرَةُ : يَا خَاطِئُ ابْنَ الْخَاطِئِ

(١) الورس : نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن ويصنع به ويتخذ منه النمرة (طلاء) للوجه فاذا

جف عند إدراكه تفتقت خراطمه فينفض فينفض منه الورس .

لا تأخذ مني شيئا . فتعجب ، وإذا بحيال الشجرة قوم يترأكضون ، بأيديهم سيوف<sup>١</sup>  
 مسلولة ، يتناوش بعضهم بعضا بالطعن والضرب . فلما رأوا بلوقيا طاافوا به وأحدقوا  
 من ورائه وهموا به سوءا ، فذكر أسم الله فهابوه وعجبوا منه وأغمدوا سيوفهم وقالوا  
 بأجمعهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم قالوا له : مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال :  
 أنا من بنى آدم اسمي بُلُوقِيَا . قالوا : نعرف آدم ولا نعرفك فما أوقعك إلينا ؟ قال :  
 إني خرجت في طلب نبي يسمي محمدا وإني قد ضللت عن الطريق الذي أردته فرأيت  
 من الأحوال كذا وكذا . قالوا : يا بلوقيا نحن من الجن دؤمنون ، ونحن مع ملائكة  
 الله في السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا كفر الجن ونحن هاهنا مقيمون نغزوهم  
 ونجاهدهم إلى يوم القيامة ، ولسنا نموت إلى يوم القيامة وأنت لا تصبر معنا . فقال  
 بلوقيا لملك الجن : يا صخر ، أخبرني عن خلق الجن كيف كان ؟ قال : لما خلق الله  
 جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة أسن ، خلق منها خلقين : خلق في سمائه [ سماه <sup>(١)</sup> ]  
 حيليت ، وخلق في أرضه [ سماه <sup>(٢)</sup> ] تمليت . فأما حيليت فإنه خلق على صورة أسد ،  
 وتمليت في صورة ذئب ، وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى ، وجعل طول كل  
 واحد منهما مسيرة خمسمائة عام ، وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب ، وذنب  
 الأسد بمنزلة الحية ، وأمرهما أن ينتفضا في النار آتفاضة ففعلا ، فسقط من ذنب  
 الذئب عقارب ، ومن ذنب الأسد حيات <sup>(٣)</sup> . فعقارب جهنم وحياتها من ذلك .  
 ثم أمرهما أن يتناكحا ففعلا ، فحمل الذئب من الأسد فولد سبعة بنين وسبع بنات .  
 فأوحى الله تعالى إليهم أن يزوج البنات من البنين كما أمر آدم ، فستة بنين

٤٤  
١٢

(١) التكلة عن الثعلبي . (٢) في الثعلبي : « جبلت » . (٣) في الثعلبي : « يمليت » .

(٤) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « عقرب » .

(٥) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « حية » .

- أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو إبليس . وكان اسمه الحارث ، وكنيته أبو مرة ؛ فهذا أول خلق الجن . ثم قال له : يا بلوقيا إن دوابنا لا تثبت مع الإنس ولكن أجّل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف راكبه ، فأركب عليه على اسم الله تعالى ؛ فإذا انتهيت إلى أقصى أعمال<sup>(١)</sup> على ساحل بحر كذا وإذا شيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك فأدفع الفرس إليهما وأمض في حفظ الله راشدا . نجاء
- بلوقيا على الفرس حتى انتهى إليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعه إليهما . وكان قد فصل من عند ملك الجن عند صلاة الغداة ووصل إليهما نصف النهار . فقالا لبلوقيا : مذكم فارقت الملك ؟ قال : فارقه غدوة . فقالا له : ما أسرع ما جئت ! قد أتعبت فرسنا . فقال بلوقيا : والله ما مددت إليه يدا ولا حرّكت عليه رجلا ولم أركضه عنفا . قالا : صدقت ولكن فرسنا أحسّ بك وبمزلتك ، فطار ما بين السماء والأرض ليرى نفسه منك ، فكم تراه جاء بك ؟ قال : خمسة فراسخ أو أقل أو أكثر . قالا : بل جاء بك مسيرة مائة وعشرين سنة ، وكان يطير بك بين السماء والأرض حول الدنيا دون « قاف » وأنت لا تعلم . فقولوا عنه السّرج والجّام والبرقع وإذا العرق يقطر من كلّ شعرة منه ، وله جناحان انقضا من كثرة الطيران . فقال بلوقيا : هذا والله العجب . فقالوا : يا بلوقيا عجائب الله لا تنقضي . ثم سلم عليهم ومضى فركب اليم . فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك : من أنت أيها الخلق المخلوق ؟ فقال : أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم . ثم قال له : أيها الملك ما اسمك ؟ قال : [ اسمي يوحاييل وأنا موكل بضوء النهار وظلمة الليل . فقال : فما بال يديك مبسوطتين ؟ فقال له : في يدي اليمنى ضوء النهار ،

(١) في التعلي : « أقصى عمار » . (٢) في التعلي : « وبثقلك » .

وفي يدي اليسرى ظُلمة الليل، ولو سبق النهار الليل لأضاءت السموات والأرضون، ولم يكن الليل أبداً، ولو سبقت الظُلمة النور لأظلمت السماء والأرض ولم يكن ضوء أبداً. وبين يديه لوحٌ معلق فيه سطران سطرٌ أبيضٌ وسترٌ أسودٌ، فإذا رأيتُ السواد ينتقص نقصتُ الظلمة، وإذا رأيتُ السواد يزيد زدتُ الظلمة، وإذا رأيتُ السطر الأبيض يزداد زدتُ في البياض والنور، وإذا انتقص نقصتُ؛ فلذلك الليل في الشتاء أطول والنهار أقصر؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر. ثم سلم بلوقيا ومضى، فإذا هو بمَلَك قائمٍ يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الأرض في الماء تحت الثرى وهو يقول: لا إله الله محمد رسول الله. فسلم عليه بلوقيا، فقال له: مَنْ أنت وما اسمك؟ قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد آدم. قال له بلوقيا: أيها الملك ما اسمك؟ قال<sup>(١)</sup>: اسمي ميخائيل<sup>(٢)</sup>. قال: فما لي أراك يمينك في السماء وشمالك في الماء؟ قال: أحبس الريح بيمينى والماء بشمالى، ولو رفعتُ شمالي عن الماء لزحرت البحار كلها في ساعة واحدة ولطمت بإذن الله تعالى، ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن بني آدم لأن في السماء ريحا يقال لها الهائمة<sup>(٣)</sup> لو أرسلتها لقتلت مَنْ في السماء وَمَنْ في الأرض من بردها. فسلم عليه بلوقيا ومضى، وإذا بأربعة من الملائكة، أحدهم رأسه كراس الثور<sup>(٤)</sup>، والآخر رأسه كراس النسر؛ والثالث رأسه كراس الأسد؛ والرابع رأسه كراس الإنسان. فالذى رأسه كراس الثور يقول: اللهم ارفع العذاب عن البهائم، وأرفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف، وأجعل لهم في قلوب بني آدم الرأفة والرحمة كيلا يكرهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن،

(١) التكملة عن النعلى. (٢) في ١ «ميخائيل». وفي النعلى: «صمحايل».

(٣) في النعلى: «الهائمة». (٤) في الأصول بعد قوله «كراس الثور» هذه العبارة:

«وهو يقول: اللهم ارحم البهائم» ولعلها مقحمة من النسخ لأنها منذ كبر بعد سطور ولم ترد في النعلى.

(٥) كذا في النعلى. وفي الأصول: «كيلا يكرههم ولا يحملهم فوق طاقتهم».



- وَأَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَمَّا الَّذِي رَأْسُهُ كَرَأْسِ الذِّئْبِ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ الطَّيُورَ وَلَا تَعَذِّبْهَا ، وَأَدْفَعْ عَنْهَا بَرْدَ الشِّتَاءِ وَحَرَّ الصَّيْفِ ، وَأَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَمَّا الَّذِي رَأْسُهُ كَرَأْسِ الْأَسَدِ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ السَّبَاعَ وَلَا تَعَذِّبْهَا وَأَدْفَعْ عَنْهَا بَرْدَ الشِّتَاءِ وَحَرَّ الصَّيْفِ ، وَأَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَمَّا الَّذِي رَأْسُهُ كَرَأْسِ الْإِنْسَانِ فَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ وَأَدْفَعْ عَنْهُمْ حَرَّ النَّارِ ، وَأَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى حَتَّى أَتَى عَلَى جَبَلٍ قَافٍ وَإِذَا هُوَ بِمَلِكٍ قَائِمٍ عَلَى قَافٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالدُّنْيَا مِنْ يَاقُوتَةِ خَضِرَاءَ . فَسَلَّمَ بَلُوقِيَا عَلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا بَلُوقِيَا وَأَنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَأَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : نَخْرَجُ فِي طَلَبِ مَنْ يُسَمَّى مُحَمَّدًا ، وَلَسْتُ أَرَى أَمْرَهُ وَلَا أَدْرَى فِي أَىِّ بِلَادٍ أَنَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، قَدْ أَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ . قَالَ بَلُوقِيَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا أَسْمُكَ ؟ قَالَ : اسْمِي حَزَقَايِيلُ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ هُنَا ؟ قَالَ : أَنَا أَمِينُ اللَّهِ عَلَى قَافٍ ، وَإِذَا فِي يَدِهِ وَتَرٌ مَرَّةً يَعْقِدُهُ وَمَرَّةً يُحْلِلُهُ ، وَعُرُوقُ الْأَرْضِ كُلُّهَا مَشْدُودَةٌ عَلَيْهِ وَالْوَتَرُ فِي كَفِّ الْمَلِكِ [ قَالَ : (١) ] فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَضِيقَ (٢) عَلَى عِبَادِهِ أَمَرَنِي أَنْ أُمَدَّ الْوَتَرَ وَأَعْقِدَهُ وَأَرْتَقِ عُرُوقُ الْأَرْضِ فَتَضِيقُ الدُّنْيَا عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ أَمَرَنِي أَنْ أُرْخِيَ الْوَتَرَ وَأُفْتَقَ عُرُوقُ الْأَرْضِ فَتُوسِّعَ الدُّنْيَا عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخَوْفَ قَوْمًا أَمَرَنِي أَنْ أَحْرَكَ عُرُوقَ تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَوْضِعٌ يَهْتَزُّ وَمَوْضِعٌ لَا يَهْتَزُّ ، وَمَوْضِعٌ يَتَزَلْزَلُ وَمَوْضِعٌ

٤٥  
١٢

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ التَّحْلِيٍّ .

(٢) أَرْتَقَ : أَسَدَّ وَأَغْلَقَ .

لا يتزلزل . قال بلوقيا : أيها الملك ، ما وراء قاف ؟ قال : وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئمت منها ، في كل دنيا أربعائة ألف باب<sup>(١)</sup> ، في كل باب أربعة آلاف ضعف مثل الدنيا التي جئمت منها ، وليس فيها ظلمة بل كلّها نور وأرضها ذهب عليها حُجُبٌ من نور ، وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا إبليس ولا جهنم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لذلك أُلهموا وله خُلِقُوا وبه أُمرُوا الى يوم القيامة .

قال بلوقيا : فما وراءهم ؟ قال : حُجُبٌ ووراء الحُجُب علم الله وقُدرته . قال بلوقيا : أخبرني أيها الملك على أيّ شيء هذا الجبل موضوعا ؟ قال : على قرنيّ ثور وأسمه قرياطيه وهو أبيض ، رأسه بالشرق ومؤخره بالمغرب ، وما بين قرنيّيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه على صخرة بيضاء . قال بلوقيا : أيها الملك ، كم الأرضون ؟ وكم البحار ؟ قال : الأرضون سبع ، والبحار سبع . قال : فجنتهم أين هي ؟ قال : تحت الأرض السابعة . قال : فسلم بلوقيا عليه ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء ، عليه باب مُقفل وعليه خاتم من نور ، وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور ، والآخر رأسه كرأس الكباش و بدنه كبदन الثور وهما يقولان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال : فسلم بلوقيا عليهما فردّا عليه السلام وقالوا : أيها الخلق الضعيف المخلوق من أنت ؟ وما أسمك ؟ قال : أسمى بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم . فقالا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، هذه أسامي ما عرفناها . قال بلوقيا ؟ كيف عرفتم محمدًا ولم تعرفوا آدم ومحمد من نسله ؟ . فقالا : لهذا خُلِقنا وبذلك أُمرنا ، ولم نسمع بأسم آدم ولا إسرائيل . فقال بلوقيا : افتح لي الباب حتى أجوز . فقالا : ما نحسن فتحه ، وإنّ الله في السماء مَلَكَا اسمه

(١) كلمة « ألف » ليست في النسخة .

(٢) في النسخة المخطوطة هكذا : « مرسته وهو أنبط » وفي المطبوعة : « واسمه يهوت وهو أبيض » .

- جبرائيل عسى أن يقدر على فتحه . فدعا بلوقيا ، فأمر الله تعالى جبريل فنزل عليه وفتح الباب ، ثم قال : يا بن آدم ما أجراك على الله ! . ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى البحرين : بحر مالح وبحر عذب . فلما وصل إليهما رأى بينهما حاجزا ، وفي البحر المالح جبل من ذهب ، وفي البحر العذب جبل من فضة ، وبينهما ملك على صورة النمل ومعه ملائكة على تلك الصورة . فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له : من أنت ؟
- فأخبرهم بقصته . ثم قال بلوقيا : من أنتم ؟ قالوا : نحن أمناء الله تعالى على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان . فقال لهم بلوقيا : ما هذا الجبل الأحمر ؟ قالوا : هذا كنز الله في الأرض وكل ذهب في الأرض إنما هو من نصاب هذا الجبل ، وكل ما في الدنيا من ماء عذب هو من هذا البحر . وهذا البحر إنما يحيى من تحت العرش من قبل أن خلق الله تعالى الملائكة ، وكل ما يجري من ماء مالح فهو من ذلك البحر المالح . وهذا الجبل الأبيض هو من فضة وهو كنز الله تعالى ، وكل كنز في الدنيا وكل معدن فضة فهو من عروق هذا الجبل . فسلم بلوقيا عليهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم ، فإذا هو بحيتان كثيرة عظيمة وقد اجتمعت وبينها حوت عظيم يقضى بين الحيتان . فلما نظر الى بلوقيا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- فسلم بلوقيا وأخبره بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج في طلبه ، فرد السلام ثم قال : يا بلوقيا ، إن أقيمت مجدا فأقرئه مني السلام . فقال : نعم إن شاء الله . ثم قال : أيتها الحيتان إنني جائع عطشان وماء البحر ملح وما أجد ما آكل . فقال الحوت الأعظم : يا بلوقيا سأطعمك طعاما تسير أربعين سنة لا تعب ولا تجوع ولا تعطش ، قال : فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض ، فأكله ومضى حتى بلغ العمران . قال : ومن قبل أن يبلغ العمران رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر . فقال له بلوقيا : من أنت ؟ قال : سليل الذي خلفي . فسار بلوقيا يوما

وليلةً فإذا هو بآخر يمتز على الماء ضوءه كضوء النجوم . فقال له بلوقيا : يا فتى ، من أنت ؟ قال : سَلِ الذي خلفي . فسار بلوقيا يوما وليلةً ، فإذا هو بشاب كأنه القمر يلوح في آخر الشمس ، فقال بلوقيا : <sup>(١)</sup> أَنشُدْكَ الله إِلَّا وَقَفْتَ . قال : فوقف وقال : لماذا استخلفتني ؟ قال : خَشِيتُ أن تفوتني مثل أصحابك الماضين ، فمن كان الأول ؟ قال : إسرئيل صاحب الصور ، والثاني ميكائيل صاحب المطر ، والثالث

٤٦  
١٢

جبرائيل أمين رب العالمين . فقال بلوقيا : ما ذا تصنعون في اليم ؟ قال جبريل : حياة من حيات البحر قد آذت سُكَّانَهُ ، فدَعَوْا الله عليها فاستجاب الله دعاءهم وأمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة . قال بلوقيا : كم طولها وكم عرضها ؟ قال : طولها مسيرة ثلاثين سنة ، وعرضها مسيرة عشرين سنة .

فقال بلوقيا : يا جبريل ، أليكون في جهنم مثل هذه أو أكبر منها ؟ فقال جبريل : إن في جهنم من الحيات ما تدخل هذه في أنف إحداهن ولا تشعر بها من عظم خَلْقَتِها . فسَلَّمَ بلوقيا عليه ومضى الى جزيرة أخرى ، وإذا هو بسلام أمرد بين قبرين ، فسَلَّمَ عليه بلوقيا وقال : يا شاب ، من أنت وما اسمك ؟ قال : اسمي صالح . قال : فما هذان القبران ؟ قال : أحدهما أبي والآخراُمِّي ، كانا سائحين فماتا هاهنا ، وأنا عند قبريهما حتى أموت . فسَلَّمَ بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة ، فإذا هو

بشجرة عظيمة عليها طائر رأسه من ذهب ، وعينه من ياقوت ، ومنقاره من لؤلؤ ، وبدنه من زعفران ، وقوائمه من زُمرّد ، وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعامٌ وحوّتٌ مشوّى . فسَلَّمَ عليه بلوقيا فردّ عليه الطائر السلام . فقال بلوقيا : أيها الطائر من أنت ؟ قال : أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى بعثني الى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة وكنّت معه حتى لقي حواء ، وأنا هاهنا من ذلك

(١) كذا في الأصول ونسخة الثعلبي المطبوعة ، وفي نسخة الثعلبي المخطوطة : « آخر الشهر » .

- الوقت ، وكلّ غريبٍ وعابرٍ سبيلٍ يمرّ بها ويأكل منها ، وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة . فقال بلوقيا : ولا تتغيّر ولا تنقص ! قال : طعام الجنة لا يتغيّر ولا ينقص . فقال لبلوقيا : كلّ فأكل حاجته ، ثم قال : أيها الطائر ، هل معك أحدٌ ؟ قال : معي أبو العباس يأتيني أحيانا . قال : ومن أبو العباس ؟ قال : الخضر . فلمّا ذكر اسمه اذا هو بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثيابٌ بيضٌ . قال : .
- فما خطا خطوةً إلّا نبت الحشيش تحت قدميه . فسلم عليه بلوقيا وسأله عن حاله . قال بلوقيا : قد طالت غيبتى وأريد أن أرجع الى أمي . قال الخضر : بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة ، أنا أردك في مسيرة خمسمائة شهر . قال الطائر : إن كان بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة سنة أنا أردك مسيرة خمسمائة يوم . قال الخضر : أنا أردك إليها في ساعة ثم قال : غمّض عينيك فغمّضهما ثم قال له : افتحهما ففتحهما ، وإذا هو عند أمه جالس . فسألها : من جاء بي ؟ فقالت : جئت على متن طائر أبيض يطير بين السماء والأرض فوضعتك قدّامى . قال : ثم إن بلوقيا حدّث بنى إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار ، فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا . فهذا ما كان من حديث بلوقيا . والله أعلم .

جروب  
معين التاريخ  
لأهل التاريخ

## الباب الخامس

### من القسم الثالث من الفن الخامس

في أخبار زكريّا وأبنة يحيى وعمران ومريم وعيسى بن مريم عليهم السلام

ذكر نسب زكريّا وعمران عليهما السلام وما يتصل بذلك

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى : هو زكريّا بن برخيا بن آذن بن مسلم  
أبن صدوق بن نخشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناحور بن شلوم  
أبن يهفاشاط بن أنبا بن لبنّا بن رجبم بن سليمان بن داود عليهم السلام .

وعمران بن ماثان . وقال ابن اسحاق : هو عمران بن باسهم بن أمون بن منسى بن  
حزقيا بن أحريق بن يوثام بن عزريا بن أنصيا بن ناوش بن يارم بن يهفاشاط بن  
أنبا بن لبنّا بن رجبم بن سليمان بن داود .

وكان زكريّا وعمران متزوجين بأختين ، فأمرأة زكريّا أسباع ، وقيل بليشفع بنت  
فاقود وهي أم يحيى . وأمرأة عمران حنة بنت فاقود وهي أم مريم بنة عمران .

قالوا : وكان زكريّا نجارا قبل أن يُبعث نبيا ، وكان كثير العبادة ، وكان  
بيت المقدس قد خلا من الأنبياء ، فبينما زكريّا في محراب جده داود عليه السلام  
وقد أنفثل عن صلاته إذ هبط عليه جبريل بوحى الله تعالى ونبوته ، وأعلمه أن

(١) والذي في تاريخ الطبرى (ص ٧١٢ من القسم الأول طبع أوربا) عن ابن اسحاق أيضا : « عمران  
ابن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحريق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن ناوش بن أحزيهون بن يارم  
ابن يهشافاط بن آسا بن أبيا بن رجبم بن سليمان ... الخ » . ونسبه كما يؤخذ من تتبع أسماء جدوده  
في الكتاب المقدس هو : « عمران بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن  
أمصيا بن يوشيا بن يورام بن يوشافاط بن آسا بن أبيا بن رجبم بن سليمان » .

(٢) انقثل عن الصلاة إذا انصرف عنها .

- الله تعالى قد بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل . نخز زكريّا ساجداً لله تعالى على ذلك ،  
 وخرج إلى بنى إسرائيل ودعاهم ، فكذب به بعضهم وصدقه آخرون . فأقام زكريّا  
 في بنى إسرائيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعمران يعبد الله . وكان  
 زكريّا وعمران لم يرزقا الولد . فبينما حنة ذات يوم جالسة إلى جانب عمران إذ رأت  
 حمالة تزق فرخا لها ، فبكت شوقا منها إلى ولد ، وذكرت ذلك لزوجها عمران فقال :  
 قومي ندعو الله ربنا في ذلك ، فقاما جميعا وصليا ودعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا ،  
 فرأى عمران في منامه إن الله قد استجاب دعاءك . فقام إلى زوجته فواقعها فحملت  
 منه ، وقالت ما أخبر الله تعالى عنها . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأَةٌ عِمْرَانُ  
 رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> .  
 قال : وكان الناس في ذلك الزمان يتقربون إلى الله عز وجل بتحرير أولادهم ،  
 وكانوا يخدمون بيت المقدس في صغرهم إذا بلغوا ، فمن أحب أن يقيم على الخدمة  
 أقام ، ومن اختار الانصراف انصرف .

### ذكر ميلاد مريم بنة عمران عليه السلام

- قال الكسائي : ولما حررتها أمها لله تعالى قال لها زوجها : إنك حررت  
 ما في بطنك ، فإن كان أنثى كيف يكون محررا ؟ فأغتمت لذلك حتى وضعت مريم .  
 قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ  
 وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ  
 الرَّجِيمِ ﴾<sup>(٢)</sup> ثم قالت : « ربّ إني كنت نذرت لك ما في بطني محررا فتقبلها مني » . قال

(١) سورة آل عمران آية ٣٥

(٢) سورة آل عمران آية ٣٦

- الله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا <sup>(١)</sup> 》 . قال : ثم حملتها حتى دخلت بيت المقدس وزكريّا هناك في نَفَرٍ من عِبَادِ بنى إسرائيل ، فقال لها : ماهذه يا حَتّة ؟ قالت : هذه أبنتى مريم ، قد جعلتها مُحَرَّرَةً وقد قبلها الله منى فأقبلوها ولا تردوها ، فأقبل بنو إسرائيل على زكريّا وقالوا : ماتقول فى هذه ؟ قال : لا بدّ لها من مُكْفَلٍ إلى أن تبلغ مبلغ الخدمة ثم تكون خادمةً فى المسجد . قالوا : أينما يكفّلها ؟ قال زكريّا : أنا أولى بها لأنى زوج خالتها ، ولكمنا نقترع ، فأخذوا أقلامهم وصاروا إلى عَيْنِ سُلْوَانِ <sup>(٢)</sup> وقالوا : نرعى بأقلامنا فيها فأينما وقف قلمه فهو الذى يكفّلها ، فألقوها فرسبت أقلامهم جميعا إلّا قلم زكريّا فإنه طفا وغالب الحرية ، فأخذها وأسترضع لها بعض نساء بنى إسرائيل . ثم مات عمرانُ والد مريم . قال : وبني لها زكريّا بيتا لا يصعد إليه إلّا بسُلْمٍ ، وكان لا يصعد إليها إلّا زكريّا يحمل إليها الطعام ، وآبن خال لها يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان من العباد المحرّرين ، وكان زكريّا إذا صعد إليها وجد عندها فى الصيف فواكه الشتاء ، وفى الشتاء فواكه الصيف ، فيعجب من ذلك . قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ <sup>(١)</sup> 》 . ١٥

(١) سورة آل عمران آية ٣٧

- (٢) سلوان : محلة فى ربض مدينة بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقى جنانا عظيمة وقفها عثمان ابن عفان رضى الله عنه على ضعفاء البلد . قال عبيد الله الفقير : ليس من هذا الوصف اليوم شىء . لأن عين سلوان محلة فى وادى جهنم فى ظاهر بيت المقدس لا عمارة عندها البتة إلّا أن يكون مسجدا أو ما يشابهه وليس هناك جنان ولا ربض . ولعل هذا كان قديما . والله أعلم . (عن معجم البلدان لياقوت) . ٢٠



ذكر دعاء زكريا أن يرزقه الله عز وجل الولد

ومولد يحيى بن زكريا

- قال الكسائي : فلما نظر زكريا الى ما رزق الله عز وجل من الفاكهة  
في غير وقتها قال : إن الذي رزق هذه الفواكه لقادر على أن يرزق من العجوز  
العقيم والشيخ الكبير الولد . قال الله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي  
مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ ١٠ ﴾ . قال : ولما أراد زكريا أن يدعو استجيا  
من الله تعالى ، بفلس سبعة أيام ثم قام الى المحراب ووافق ذلك يوم عاشوراء ، فكلّمه  
المحrab بإذن الله تعالى وقال : يا زكريا ، أوجدت ربك بخيلا ! يا زكريا إن ربك  
أبدا رحيم . فعند ذلك عزم على الدعاء واجتهد في العبادة ، ثم رفع يديه « ونادى  
ربه نداء خفيا » معناه أخفاه عن قومه « قال رب إني وهن العظم مني واشتعل  
الرأس شيئا » يعني غلب بياضه على سواده « ولم أكن بدعائك رب شقيا » معناه  
لم تخيبني في الدعاء « وإني خفت الموالى من ورأى » يعني الذرية من بعدى أن  
تصير الجهورية في غير أولاد الأنبياء « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل  
يعقوب » يعني مكاني وجبوري والتابوت الذي فيه وأقلام المحررين ومفاتيح  
القربان ، ثم قال : « وأجعل له رب رضيعا » في بني إسرائيل . فاستجاب الله تعالى دعاءه  
وأمر جبريل أن ينزل عليه بالبشرى فأتاه وأنته الملائكة وأحدقوا بالمحrab .  
قال الله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ  
بِيَحْيَى ۝ ١٢ ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

٤٨  
١٢

مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ أَتُنِيحُ فِي غُلَامٍ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا <sup>(١)</sup>.  
 ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ <sup>(٢)</sup>﴾ . قال الكلبي : كان زكريا يوم بُشِّرَ بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة . وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان ابن مائة وعشرين سنة . وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين .

قالوا : ولما جامع زكريا امرأته اغتسل وعاد الى محرابه ، بخاءته نساء بنى إسرائيل وقالوا له : نرى أمرك أعجب من امرأتك ، فذهب زكريا ليتكلم فلم يقدر على الكلام ، فعلم أن امرأته قد حملت فكتب لهم في الأرض ، إني لا أقدر على الكلام ثلاثة أيام .

قال الشعبي رحمه الله : فإن قيل : لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة ؟ أكان ذلك شكا في وحيه ؟ ، أم إنكارا لقدرته ، وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء ؟ ! فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي : إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال : يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله إنما هو من الشيطان يخبرك ، ولو كان من الله لأوحاه إليك خفيا كما ناديت خفيا وكما يوحى إليك في سائر الأمور ، فقال ذلك دفعا للوسوسة . قال : وفيه جواب آخر ، وهو أنه لم يشك في الولد وإنما شك في كيفية الوجه الذي يكون منه الولد فقال : أئن يكون لي ؟ أى كيف يكون لي ولد ؟ أتجعلني وامرأتي شابين أو ترزقنا على كبرنا ، أو ترزقني من امرأة عاقرة ، أم من غيرها من النساء ؟ فقال

(١) سورة مريم آية ٩

(٢) سورة آل عمران آية ٤١

ذلك مستخبرا لا مستنكرا . وهذا قول الحسن . « قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس » تكف عن الكلام ثلاثة أيام وتقبل بكلمتك على عبادتي وطاعتي ؛ لأنه ما حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه ؛ ويدل عليه قوله : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ . هذا قول قوم من أهل المعاني . وقال آخرون : عَقِلَ لِسَانُهُ عَقُوبَةً لَهُ لِسْوَإِلَهُ الْآيَةِ بَعْدَ مُشَافَهَةِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُ ، فلم يتدبر على الكلام ثلاثة أيام ، لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رَمَزًا .

قال : وفي بعض الأخبار أنه لما ولد يحيى رُفِعَ إلى السماء فغُذِّيَ بأَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَتَّى فُطِمَ ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَى أَبِيهِ ، فَكَانَ يُضِيءُ الْبَيْتَ لِنُورِهِ .

وَاخْتَلَفُوا فِي تَسْمِيَّتِهِ بِيَحْيَى وَلَمْ يُسَمَّ بِذَلِكَ ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن الله تعالى أحيا به عُقْرَ أُمِّهِ . وقال قتادة وغيره : لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والنبوة . وقال الحسين بن الفضل : لأن الله تعالى أحيا بالطاعة حتى لم يعص ولم يهجم بمعصية . وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه آسُتَشْهَدُ والشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون .

ويحيى أول من أقر بعيسى عليه السلام وصدقته ؛ وذلك أنه لما كان في بطن أمه استقبلتها مريم وقصد حملت بعيسى ، فقالت لها أم يحيى : يا مريم ، أحامل أنت ؟ فقالت : لماذا تقولين ؟ قالت : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ؛ فذلك تصديقه وإيمانه . وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، وقُتِلَ قبل رفع عيسى . وقوله تعالى فيه : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ قال ابن جبير : السيد الذي يطيع ربه عز وجل . وقال الضحاك : السيد الحسن الخلق . وقال عكرمة : السيد الذي لا يغضب . وقال سفيان : السيد الذي لا يحسد . وحصورا ، قال

آبن مسعود وآبن عباس وغيرهما : هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، فعول بمعنى فاعل ، يعنى أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات : وقال المبرد : الحَصُور : الذى لا يدخل فى اللعب ولا الباطل .

### ذكر صفة يحيى بن زكريا وحليته

٥ قال كعب الأحبار : كان يحيى بن زكريا عليهما السلام حَسَنَ الوجه والصُّورة ، لَيْنَ الجَنَاح ، قَصِيرَ الأصابع ، طَوِيلَ الأنف ، مَقْرُونَ الحاجبين ، رَقِيقَ الصوت ، كثير العبادة ، قَوِيًّا فى طاعة الله عز وجل وقد ساد الناس فى عبادته .

٤٩  
١٢

### ذكر نبوة يحيى عليه السلام وسيرته وزهده

١٠ قال الله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا <sup>(١)</sup> 》 . قيل : هو أن يحيى عليه السلام قال له أقرانه من الصبيان : يا يحيى اذهب بنا نلعب ، فقال : أَلَلَّعِبُ خُلِقْتُ ! . وقال الآخرون : هو أنه نبي وهو صغير ، وكان يعِظُ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم يدعوهم الى الله تعالى ، ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس . ولما بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل أمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً :

١٥ أمرهم أن يعبدوا الله تعالى ولا يُشركوا به شيئاً وقال : مَثَلُ الشُّرِكِ مَثَلُ رَجُلٍ اشترى عبيداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ، ويؤدون إليه فضل الربح ، فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفعوه إلى غير سيدهم .

(١) سورة مريم آية ١٢

- وأمرهم بالصلاة وقال : إِنْ مَثَلَ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى مَلِكٍ فَأُذِنَ لَهُ وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ لِيَسْمَعَ مَقَالَتهُ وَيَقْضِيَ حَاجَتَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ الرَّجُلُ آتَتْهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَمْ يَهْتُمْ بِحَاجَتِهِ ، فَأَعْرَضَ الْمَلِكُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ وَلَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ .
- وأمرهم بالصدقة وقال : مِثْلُهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَشْتَرَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ بِثَمَنٍ مَعْلُومٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ فِي بِلَادِهِمْ وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مِنْ كَسْبِهِ الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ حَتَّى وَفَى ثَمَنَهُ فَأُعْتِقَ .

وأمرهم بذكر الله تعالى وقال : مِثْلُ الَّذِي كَرَّمْتُ قَوْمَ لَهْمٍ حِصْنٌ وَلَهُمْ عَدُوٌّ ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ فَلَمْ يَقْدِرِ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ ، كَذَلِكَ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ .

- وأمرهم بالصيام وقال : مِثْلُهُ كَالْجُنَّةِ<sup>(١)</sup> لَا يَصِلُ عَدُوُّهُ إِلَيْهِ . وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ كَثِيرُ التَّقَشُّفِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ وَالسِّيَاحَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### ذكر مقتل يحيى بن زكريا وأبيه زكريا عليهما السلام

- اختلف العلماء في سبب قتل يحيى ؛ فقال بعضهم : كَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَنِ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَتْ لَهُ أَمْرَأَةٌ وَهِيَ بِنْتُ مَلِكٍ صَيْدَا<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَتْ قَتَالَةً لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَكَانَتْ عَاهِرَةً تَبْرُزُ لِلنَّاسِ ، وَكَانَ يَحْيَى يَزْجُرُهَا

(١) الجنة (بضم الجيم المعجمة) : كل ما رقى من سلاح . وفي العبارة إيجاز والمعنى المراد واضح .  
 (٢) صيدا (بالقصر والمد) : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق ، شرق صور ، بينهما ستة فراسخ . كان لها في القرن السابع عشر إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد شهرة عظيمة في التجارة والحضارة ، وتفوق كبير في الملاحة . ولما انتقلت السيادة إلى جارتها مدينة صور حفظت مركزها أيضا وبقيت قاعدة مملكة كنعان . فتحها المسلمون في خلافة عمر سنة ٦٣٨ م (١٧ هـ) . (راجع تاريخ صيدا ومعجم الخريطة التاريخية) .

- عن ذلك ويقول لها : لا تُبرزين كاشفةً عن وجهكِ . وكان كثيراً ما يقول لها : مكتوبٌ في التوراة : إن الزناة يُوقَفُونَ يوم القيامة وريحهم أنتنٌ من الجحيف . فأمرت يحيى فسُجن . وكان قد حُبِسَ رجلٌ من أبناء الملوك ، وكان يختلف إليها ، فعلم بها وبه يحيى فزجره ، فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنتاً لها وأستقبلت بها زوجها . فقال : لم فعلتِ ذلك ؟ فقالت : وَجَبَ لها عليك حق . فقال : سَلِّينِي ماشئت . فسألته أهل السجن . فظنّ أنها ترحمهم وتسرحهم فقال : قد فعلت . فأمرت المرأة بأهل السجن فعرضوا . فلما مرّت يحيى أمرت به فذبح في طست ثم حملت الطست إلى أبيها بأمر أمها وقالت : أيها الملك ، إني ذبحتُ لك ذبيحةً من أعظم ما وجدتُ ، ولو كان مثله ألفاً لذبحتهم لك . فقال : ومن هو ؟ قالت : يحيى بن زكريا . قال : هلكت وأهلك أبويك . فغير الله ما بهم من النعم ، وسلط عليهم عدوهم فذبح البنت وأبويها ، وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم .
- وقال الثعلبيّ في تفسيره : <sup>(١)</sup> والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار قال : عبرت بنو إسرائيل بعد ما عمرت الشام ، وعادوا إليها بعد خراب بختنصر إياها وسببهم منها ، فجعلوا بعد ذلك يُحدثون الأحداث بعد مهلك عُزَيْر عليه السلام ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الأنبياء ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله تعالى فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام .
- فمات زكريا وقُتل يحيى بسبب نهيهِ الملك عن نكاح أبنته في قول عبد الله بن الزبير ، وأبنة أمراءته في قول السُّدِّيّ ، وأبنة أخيه في قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو الأصح إن شاء الله تعالى ؛ لِمَا رَوَى الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم

- السلام في آثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، فكان مما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ . قال : وكانت لملكهم ابنة أخ تُعجبه يريد أن يتزوجها ، وكانت لها في كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها أنه نهى عن نكاح بنت الأخ قالت [لأبتها : اذا دخلت على الملك فسألك فقولي له : حاجتي أن تزج لي يحيى بن زكريا . فلما دخلت عليه سألتها حاجتها قالت : حاجتي أن تزج لي يحيى بن زكريا . فقال : [سأبني غير هذا . قالت : لا أسألك إلا هذا . فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه فيه ، فندت من دمه قطرة على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل ملك بابل ، فقتل عليها من بني إسرائيل حتى سكنت . وقد تقدم أيضا خبر مقتله ، وأن بختنصر هو الذي قتل على دمه حتى سكن . والصحيح أن بختنصر إنما قتل بسبب قتل شعيا عليه السلام .

١٠

قال الثعلبي أيضا : وقال علماء النصارى : إن قتل يحيى كان على يدى ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له هيرودس بسبب امرأة يقال لها هردوبا ، كانت امرأة أخ له يقال له فلطس ، عشيها فوافقته على الفجور ، فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له ، فسألت المرأة هيرودس أن يأتيها برأس يحيى ففعل ، ثم سقط في يده وجرع جرعا شديدا .

١٥

وقال كعب : كان يحيى عليه السلام من أحسن الناس وجها وأجلهم في زمانه ، فأحبته امرأة الملك الذى كان فى ذلك الزمان حبا شديدا ، فأرسلت إليه تراوده ،

(١) الكلمة عن الثعلبي والطبري (ص ٧١٣ من القسم الأول) . وعبارة الأصول : « عن نكاح

بنت الأخ قالت : تزج لي يحيى بن زكريا قال » وهى مضطربة من الناصخ .

٢٠

(٢) راجع (ص ١٥٧) من هذا الجزء .

(٣) يقال لكل من ندم أو حزن وتحسر على فائت من فعل أو ترك أو عجز : قد سقط في يده .

فأرسل إليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطا فراشه . فلما جاءها الرسول غصبت وقالت : كيف لي أن أقتله حتى لا يخبر الناس أني قد راودته ! . فلم تزل بالملك حتى وهب لها رأس يحيى بن زكريا ، وأرسلت إليه وهو قائم يصلي في محراب داود في بيت المقدس فضرب عنقه وأخذ رأسه . فلما أرادوا أن يأخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لقتلها يحيى عليه السلام .

قال كعب : فلما رأى زكريا أن ابنه يحيى قد قُتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الأرض ، حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار . وأرسل الملك في طلبه غضبا لما لقيت المرأة وأهلها . فتر زكريا بشجرة من تلك الأشجار فنادته الشجرة : يا نبي الله ، هلم إلى هاهنا . فلما أتاها التفت عليه الشجرة ودخل زكريا عليه السلام في وسطها ، فأنطلق عدو الله إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه ، فأخرجه من الشجرة ليصدقه إذا أخبرهم ، وجاء الذين يلتمسون زكريا ، فأخبرهم إبليس أنه دخل الشجرة ، فقالوا : لا نصدقك . قال : فإني أرىكم علامة تصدقوني بها . قالوا : فأرناها ، فأراهم طرف ردائه ، فأخذوا الفؤوس ف ضربوا الشجرة حتى قطعوها بأثنين ، فسأط الله عليهم أخبر أهل الأرض عابجا مجوسيا ، فانتقم الله من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا ، فقتل عظماء بني إسرائيل وسبي منهم مائة ألف وعشرين ألفا .

وقد قيل في سبب قتل زكريا غير هذا ، وسنذكره إن شاء الله في أثناء أخبار

عيسى بن مريم على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .



## ذكر هلاك بني إسرائيل ونحراب بيت المقدس ثانيا

- قال الثعلبي رحمه الله تعالى في بعض طُرُقِهِ عن محمد بن إسحاق : إن نحراب بيت المقدس ثانيا وَقَتَلَ بني إسرائيل كان بعد رفع عيسى بن مريم وَقَتَلَ يحيى بن زكريّا . فلما فعلوا ذلك سَلَطَ الله تعالى عليهم مَلِكًا من ملوك بابل يقال له حردوس ، فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ؛ فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤوس أجناده يدعى نبوزرآدان صاحب الفيل فقال له : إني قد كنتُ حلفتُ بالهِى إن أنا ظهرتُ على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى إلى ألا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، وأن نبوزرآدان دخل بيت المقدس فقتلهم في البقعة التي كانوا يقتربون فيها قربانهم ، فوجدوا فيها دما يغلي فسألهم عنه فقالوا : هذا دمُ قربان قُربناه فلم يُتَقَبَّلْ مِنّا فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قُربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فُتَقَبِّلْ مِنّا إلّا هذا القربان . فقال : ماصدقتموني الخبر . قالوا له : لو كان كأول دماءنا لُقبِلَ ولكنّه قد آنقطع مِنّا المُلْكُ والنبوة والوحي فلذلك لم يُقَبَّل . فذبح منهم نبوزرآدان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رُوحا من رؤوسهم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم فذبحهم على الدم فلم يبرُد . فلما رأى نبوزرآدان أن الدم لا يهدأ قال لهم : ويلكم يا بني إسرائيل ! أُصدّقوني وأصبروا على أمر ربكم ، فقد طالما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل

٥١  
١٢

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٢٠ من القسم الاول والبحر المحيط لأبي حيان (ج ٦ ص ١١)

وفي نسخة أ ، ب : « جردوس » بالجيم المعجمة . وفي نسخة ج « حردوس » بالحاء المهملة .

(٢) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) . وفي تاريخ الطبري (ص ٧٢٠ من القسم الأول)

« نبوزرآدان » . وفي الأصول : « نبوزرآدان » .

(٣) كذا في الأصول وتاريخ الطبري . وفي الكتاب المقدس (ج ١ ص ٦٥١) : « رئيس الشرط » .

وفي نسخة من تاريخ الطبري أشير إليها في الهامش (ص ٧٢٠ من القسم الأول) : « صاحب القتل » .

- ألا أترك نافع نار ذكر أو أنثى إلا قتلته . فلمّا رأوا الجهد وشدة القتل صدّقه الخبر فقالوا: إن هذا دم نبيّ منّا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سنّ خط الله، فلو أطعناه لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدّقه فقتلناه فهذا دمه . فقال لهم: ما كان اسمه؟ قالوا: كان اسمه يحيى بن زكريّا . قال: الآن صدّقتموني، لمثل هذا ينتقم منكم ربكم . ولمّا رأى أنهم قد صدّقه خرّ ساجدا وقال لمن حوله: أغلقوا باب المدينة وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس . وخلا في بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريّا، قد علم ربّي وربّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم، فأهدأ بإذن الله تعالى قبل ألا أبقى من قومك أحدا، فهدأ دم يحيى بن زكريّا بإذن الله تعالى، ورفع نبوّز رآدان عنهم القتل وقال: آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل وصدّقت به وأيقنت أنه لا ربّ غيره . فأوحى الله تعالى الى رأس من رؤوس بقيّة الأنبياء عليهم السلام أن نبوّز رآدان حبور صدوق — والحبور بالعبرانية حديث الإيمان — فقال نبوّز رآدان: يا بني إسرائيل، إنّ عدوّ الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لستُ أستطيع أن أعصيه . قالوا له: افعل ما أمرت به، فأمرهم أن يحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبجها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قُتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقها . فلمّا بلغ الدم عسكر خردوس أرسل الى نبوّز رآدان أن أرفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم . ثم أنصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد . وهذه هي الواقعة الآخرة التي أنزل الله تعالى فيها وفي الأولى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأُسْ شَدِيدٍ﴾ فكان مختصر

وجنوده . ثم ردّ الله لهم الكثرة عليهم . وكانت الواقعة الآخرة خردوس وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك راية . وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونان ، إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وانتشروا بعد ذلك . وكانت لهم الديانة والرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك . وكانوا في نعمة ومنعة الى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث وأستحلوا المحارم وضيعوا الحدود ، فسلب الله تعالى عليهم ططوس<sup>(١)</sup> بن اسفیانوس<sup>(٢)</sup> الرومي فأحرب بلادهم وطردهم عنها ، ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذل ، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم الصغار<sup>(٣)</sup> والجزية والملك في غيرهم . وبقي بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بأمره .

قال : وروى أبو عوانة عن أبي بشر قال : سألت سعيد بن جبيرة عن قول الله عز وجل : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ الآيات فقال : أمّا الذين جاسوا خلال الديار فكان صرخان الخزري شعث من الديار وتبر . ثم قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ الى قوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ الى قوله : ﴿ تَنْبِيْراً ﴾ قال : هذا بختنصر الذي حרב بيت المقدس . ثم قال لهم : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ﴾ قال : فعادوا فعيد عليهم ، فبعث الله تعالى عليهم ملك الروم . ثم عادوا أيضا فعيد عليهم ، فبعث عليهم درم أوزن ملك الروم . ثم عادوا أيضا فعيد عليهم ، فبعث عليهم سابور ذا الأكتاف .

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٤٣ من القسم الأول) ونسخة ج . وفي نسختي ١ ، ب : « طحوس » . (٢) في تاريخ الطبري : « سلفسيانوس » . (٣) الصغار : الذل . (٤) جاسوا : عاثوا وقتلوا . (٥) وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ١٠ ص ٢١٦) : « وقال سعيد بن جبيرة في قوله تعالى : ( ثم بعثنا عليكم عبدا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ) هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك الروم » . (٦) تبر : أهلك ودمر . (٧) كذا في الأصول ولم نجد هذا الاسم في المطان .

٥٢  
١٢

وقال قتادة : هذه الآية قضاءٌ قُضِيَ على القوم كما يسمعون ، فبعث عليهم في الأولى جالوت فسبي وقتل ونحرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب ، ثم قال : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ فعاد الله عليهم برحمته . ثم عاد القوم بشر ما يحضرهم . فبعث الله تعالى عليهم ما شاء أن يبعث من نَقَمته وعقوبته . ثم بعث الله تعالى عليهم هذا الحى من العرب ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ <sup>(١)</sup> ﴾ فهم بهم في عذاب الى يوم القيامة .

وهذه الأخبار التي أوردناها في هذا المكان من خبر زكريا ويحيى وخراب بيت المقدس ثانيا ، منها ما كان في زمن عيسى عليه السلام ، ومنها ما كان بعد رفعه . وإنما أوردناها سياقة وتركنا خبر عيسى عليه السلام لئلا تنقطع بغيرها وليتلو بعضها بعضا . فلنرجع الى أخبار عيسى بن مريم عليه السلام .

### ذكر خبر حمل مريم بنة عمران بعيسى عليهما السلام

قال الكسائي رحمه الله تعالى : وكانت مريم تنمو وتزيد في كل يوم وتعبد الله تعالى حتى برزت في العبادة على نساء بنى اسرائيل . فلما بلغت مبلغ النساء أتت منزل زكريا ، فقال لها : كيف خرجت من بيتك ومفتاحه معي ؟ قالت : إني رأيت أمراقبيحا — أرادت بذلك الحيض — بختك بإذن الله . فأمرها زكريا أن تكون عند خالتها حتى تطهر ، ففعلت ذلك . فلما طهرت وأغتسلت عادت إلى عبادتها . فكان ذلك عادتها وشأنها إذا حاضت . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا <sup>(٢)</sup> ﴾ أى سترها ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعنى جبريل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ أى في صورة رجل

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧ (٢) سورة مريم آية ١٦ وما بعدها .

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أى مطيعا لربك ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ثم نفخ في جيبها فوصلت النفخة الى جوفها فحملت بعيسى لوقتها . ويقال : إن زكريا في ذلك الوقت أفضى إلى امرأته فحملت يحيى .  
وقيل : إن امرأة زكريا حملت قبل مريم بثلاثة أشهر، وقيل ستة أشهر . وكانت مريم إذ ذاك بنت خمس عشرة سنة ، وقيل ثلاث عشرة سنة .

- وحكى الثعلبي في قصة حمل مريم أنه كان معها في المسجد ابن عم لها من الحررين يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان رجلا حكيما نجارا ، يتصدق بعمل يديه ، وكان يوسف ومريم اذا نفد ماؤهما أخذ كل واحد منهما قُلته وأنطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل ، وكان أطول يوم في السنة وأشدَّ حرا ، نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقي ؟ فقال لها : إن عندي لفضلا من ماء أكتفى به في يومى هذا إلى غد . قالت : لكنى والله ما عندى ماء ، فأخذت قُلتها ثم أنطلقت وحدها حتى دخلت المغارة ، فوجدت عندها جبريل عليه السلام ، قد مثله الله عز وجل بشرا سويا ، فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى اليك لأهب لك غلاما زكيا . قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال عكرمة : وكان جبريل قد عرّض لها في صورة شاب أمرّد وضىء الوجه ، جعد الشعر ، سوى الخلق . قال الحكماء : وإنما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها السلام وتقدير على استماع كلامه ، ولو أتاها على صورته التي هو عليها لفزعته ونفرت عنه ، ولم تقدر على استماع كلامه . فلما استعادت مريم منه قال : ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ ﴿ الآية . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله تعالى . فنفخ جبريل في جيب درعها ، وكانت قد وضعت ، ثم انصرف عنها . فلما لبست مريم درعها حملت بعيسى عليه السلام ، ثم ملأت قلبها وانصرفت الى المسجد . وقال السدي وعكرمة : إن مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت الى المسجد . فبينما هي تغتسل من الحيض وقد أخذت مكانا شرقيا — قال الحسن : إنما اتخذت النصارى الشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكانا شرقيا — فاتخذت ، فضربت من دونهم حجابا ، أى ستر . وقال مقاتل : جعلت الجبل بينها وبين قومها ، فبينما هي كذلك اذ عرض لها جبريل وبشرها ونفخ في جيب درعها .

- ١٠ قالوا : فلما اشتملت على عيسى وتبين حملها داخلها الغم وعلمت أن بنى إسرائيل سوف يقذفونها ، فنادتها الملائكة : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ أى من الحيض ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ . قال : وبشرها الله تعالى بعيسى فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) . ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ الآية فطابت نفسها . قال وهب : فلما اشتملت على عيسى وكان معها يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذى بجبل صهيون — وجبل صهيون على باب بيت المقدس — وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فكانا يلبيان معالجته بأنفسهما وتطهيره ، وكان لا يعلم أحد من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة
- ٢٠ (١) سورة آل عمران آيتى ٤٥ ، ٤٦ (٢) سورة آل عمران آية ٤٨ وما بعدها .

- منهما . فكان أول من أنكر حمل مريم يوسف النجار . فلما رأى ما بها استعظمه وقطع به ولم يدر على ماذا يضع أمرها . فكان إذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل . فلما آسئت ذلك عليه كلمها ، فكان أول ما كلمها به أن قال لها : إنه قد وقع فى نفسى منك ومن أمرك شئ ، وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى ذلك .
- ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى . فقالت : قل قولاً جميلاً . قال : خبرينى يا مريم ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت نعم . قال : فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها ؟ قالت نعم . قال : فهل يكون ولد من غير فحل ؟ قالت : ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذار إنما تكون من الزرع الذى كان أنبته من غير بذر ! . ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الشجر من غير غيث ، وبالقدر جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحدة على حدة ! . أو تقول إن الله لا يقدر على إنباته ! . قال يوسف لها : لا أقول هذا ، ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى يقدر على ما يشاء ، يقول لذلك : كُنْ فيكون . فقالت له مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وأمرأته حواء من غير ذكر ولا أنثى ! . قال بلى .
- فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ من أمر الله ، وأنه لا يسهه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها . وقال الكسائى : لما قال يوسف لمريم : هل يكون ولد من غير فحل ؟ قالت : نعم ، آدم من غير أب وأُم . قال صدقت . ثم قال : هذا الولد الذى فى بطنك من أبوه ؟ قالت : هذا هبة ربي لى ، ومثله كمثل آدم خلقه من تراب . فنطق عيسى فى بطنها وقال : يا يوسف ما هذه الأمثال التى تضربها ! قم فاشتغل بصلاتك واستغفر لذنبك مما قد وقع فى قلبك . فقام يوسف وجاء الى زكريا وأخبره ، فاغتم وقال لأمرأته : إن مريم حامل ، وأخاف من فساق

بنى إسرائيل أن يتهموا يوسف بها . قالت : توكل على الله وأستعن به فإنه يرد عنها مقالة الفساق .

قالوا : ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفأها كل عمل كانت تعمله فيه لما رأى من رقة جسمها ، وأصفرار لونها ، وكأف وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوتها . والله أعلم .

### ذكر خبر ميلاد عيسى بن مريم عليهما السلام

قال الكسبائي رحمه الله : فلما دنا وقت الولادة خرجت مريم في جوف الليل من منزل زكريا حتى صارت إلى خارج بيت المقدس ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ . قال : وأخذها الطلق ، فنظرت إلى نخلة يابسة فجاست تحتها فاخضرت النخلة من ساعتها وصار لها سَعَفًا وُخُوصًا وحملت الرطب اوقتها ، وأنبع الله في أصل النخلة عينا من الماء . قال : وعن وهب أنه لما دنت ولادة مريم عليها السلام أوحى الله تعالى إليها أن تخرج من المحراب فتنبؤا منزلا تلد فيه ، فتحولت إلى بيت خالتها أم يحيى بن زكريا لتلد في بيتها . قال : فلما دخلت عليها استقبلتها أم يحيى وسلمت عليها . فلما آلتقيا أحسست أم يحيى بسجود من في بطنها ، فقالت : يا مريم ، إن الذي في بطني يسجد لما في بطنك .

قالوا : ثم أوحى الله تعالى إلى مريم أن تخرج من أرض بيت لحم<sup>(١)</sup> إلى جهة من الأرض تلد فيها ، فحملها يوسف النجار على حمار بأكاف<sup>(٢)</sup> ليس بينها وبين الأكاف غير

(١) بيت لحم : قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة ، وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها الخصبة . (راجع قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست) . (٢) أكاف الحمار (بضم أوله وكسره) : برذنته .



- نوبها وهي مُثْقَلَةٌ لَا تَكَادُ تَقُومُ . فانطلقا في سواد الليل من بَيْتٍ لَحْمٍ يُؤْمَانُ الْجِبَالُ ،  
 حتى إِذَا كَانَا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَيْنَ نَخْلَاتٍ يَنْزِلُهَا الرُّكْبَانُ ، بَيْنَهُنَّ أَوَارِيٌّ مَبْنِيَّةٌ بِنَاهَا السَّفَرُ<sup>(٢)</sup>  
 لِيَعْلَقُوا فِيهَا دَوَابَّهُمْ . فَنَزَلَا ذَلِكَ الْمَنْزِلَ ، فَأَدْرَكَهَا الْمَخَاضُ ، فَالْتَجَأَتْ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ  
 الْأَوَارِيِّ وَهُوَ فِي أَصْلِ جَذْعِ نَخْلَةٍ يَابِسٍ حَقْلٍ لَيْسَ فِيهِ عَرَّاجِينَ وَلَا غَيْرَهَا ، فَأَنْبَتَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>  
 تَعَالَى وَأَثْمَرَهُ حَتَّى أَظْلَمَ وَأَكْنَهَا وَتَدَلَّتْ عَلَيْهَا غُصُونُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى سَتَرَهَا السَّعْفُ  
 وَالْعَرَّاجِينَ . وَاشْتَدَّ بِهَا الطَّلَقُ وَدَاوَمَهَا سَبْعَ لَيَالٍ ، وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَقَالَتْ  
 مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَنِّي ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ  
 يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا<sup>(٤)</sup> 》 . قَالَ : وَاشْتَدَّ عَلَيْهَا الْبَرْدُ ، فَعَمَدَ يَوْسُفُ إِلَى  
 حَطَبٍ بِجَعْلِهِ حَوْلَهَا كَالْحَظِيرَةِ ، ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ فَأَدْفَأَهَا ، وَكَسَرَهَا سَبْعَ جَوَزَاتٍ  
 فَأَكَلَتْهَا . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَوَقَّعَ النَّصَارَى النَّارَ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ وَتَلْعَبُ بِالْجُوزِ . قَالَ وَقَالَ  
 كَعَبٌ : إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنْفَرَدَةً ، فَلَمَّا فَقَدَهَا زَكَرِيَّا أَهْمَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ يَوْسُفَ النَّجَّارَ  
 فِي طَلَبِهَا ، بِخَاءٍ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهَا تَحْتَ النَّخْلَةِ . قَالَ : وَلَمَّا شَكَتْ مِنْ أَلَمِ الْوِلَادَةِ  
 مَا شَكَتْ وَقَالَتْ : « يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا » أَيْ لَا تُعْرِفُ  
 وَلَا تَذْكُرُ ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا 》 — قِيلَ : إِنَّ الَّذِي نَادَاهَا عِيسَى . وَقِيلَ : جَبْرِيلُ —  
 ﴿ أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا 》 وَهُوَ الْجَدُولُ الصَّغِيرُ . قَالُوا : كَانَ  
 نَهْرًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ ، يَكُونُ بَارِدًا إِذَا شَرِبْتَ مِنْهُ ، وَفَاتِرًا إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ  
 يَجْذَعُ النَّخْلَةِ نُسَاقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا 》 أَيْ نَضِيجًا ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا 》  
 أَيْ كُلِي وَاشْرَبِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْبَعَهُ اللَّهُ لَكَ وَقَرِّي عَيْنًا بِهَذَا الْوَلَدِ ﴿ فَإِذَا تَرِيتِ  
 مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا 》 أَيْ صَمْتًا ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا 》  
 (١) أَوَارِيٌّ جَمْعُ آرَى وَهُوَ مَحْبَسُ الدَّابَّةِ . (٢) السَّفَرُ : جَمَاعَةُ الْمَسَافِرِينَ .  
 (٣) عَرَّاجِينَ : جَمْعُ عَرَجُونَ ، وَهُوَ أَصْلُ الْعَذْقِ الَّذِي يَعُوجُ وَتَقْطَعُ مِنْهُ الشَّارِيخُ فَيَبْقَى عَلَى النَّخْلِ  
 يَابِسًا . سَمِيَ بِذَلِكَ لِانْعِرَاجِهِ . (٤) سُورَةُ مَرْيَمَ آيَةٌ ٢٣ وَمَا بَعْدَهَا .

قال : فلما جاء يوسف النجار كلمها فلم تتكلم ، فتكلم عيسى في حجرها وقال : يا يوسف ، أبشر وقرّ عيناً وطبّ نفساً ، فقد أخرجني ربي من ظلمة الأرحام الى ضوء الدنيا ، وسأتي بني إسرائيل وأدعوهم الى طاعة الله .

واختلف العلماء في مدّة حمل مريم عليها السلام بعيسى ووقت وضعها إياه ، فقال بعضهم : كان تسعة أشهر كحمل سائر النساء ، وقيل : ثمانية أشهر ، وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر غير عيسى ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل : ثلاث ساعات ، وقيل ساعة واحدة . وقال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت فوضعت ، ولم يكن بين الحمل والانتباز إلا ساعة واحدة ؛ لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلاً . وقال مقاتل : حملته مريم في ساعة وصوّرت في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنين ، وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى عليه السلام . قال : فأنصرف يوسف الى زكريّا وأخبره بولادة مريم وكلام عيسى ، فآزداد زكريّا غمّاً لما يقوله الناس .

قال الثعلبيّ قال وهب : فلما وُلد عيسى عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤوسها ، ففزع الشياطين ولم يدروا لم ذلك ، فساروا مسرعين حتى جاءوا إبليس وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ، فأتوه وقد خلت ستّ ساعات من النهار . فلما رأى إبليس جماعته فرح من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فزعهم قبل تلك الساعة إنما كان يراهم أشتاتا ، فسألهم ، فأخبروه أنه حدث في الأرض حادث أصبحت الأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها لما يدخل في أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم ، فيظنون أنها هي التي تكلمهم ، فلما أصابها هذا الحادث صغرها في أعين

بنى آدم وأذلّها ، وقد خَشِينَا أَلَا يَعْبُدُوهَا بَعْدَ هَذَا . وَأَعْلَمَ إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ حَتَّى أَحْصَيْنَا  
 الْأَرْضَ وَقَلْبِنَا الْبَحَارَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، فَلَمْ نَزِدْ بِمَا أَرَدْنَا إِلَّا جَهْلًا . فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ : إِنَّ  
 هَذَا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَكُونُوا عَلَى مَكَانِكُمْ . وَطَارَ إِبْلِيسُ عِنْدَ ذَلِكَ وَابْتُعِثَ عَنْهُمْ ثَلَاثَ  
 سَاعَاتٍ ، فَتَزَّ بِالْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةُ مُحْدِقِينَ  
 بِذَلِكَ الْمَكَانِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَادِثُ فِيهِ ، فَأَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ فَوْقِهِ فَإِذَا فَوْقَهُ  
 رُءُوسُ الْمَلَائِكَةِ وَمَنَاكِبُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ فَإِذَا  
 أَقْدَامُ الْمَلَائِكَةِ رَاسِيَةً ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَنَحَّوْهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِبْلِيسُ  
 إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : مَا جِئْتُمْ حَتَّى أَحْصَيْتِ الْأَرْضَ كُلَّهَا شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا وَبَرْهَا وَبَحْرَهَا  
 وَالْخَافِقِينَ وَالْجَوَّ الْأَعْلَى ، وَكُلَّ هَذَا بَلَّغْتُهُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَوْلِدِ عِيسَى  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : مَا أَشْتَمَلَتْ قَبْلَهُ أُمٌّ عَلَى وَلَدٍ إِلَّا بَعْلَمِي ، وَلَا وَضَعْتُهُ قَطُّ إِلَّا وَأَنَا  
 حَاضِرُهَا . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَضِلَّ بِهِ كَثِيرًا مِمَّنْ يَهْتَدِي ، وَمَا كَانَ نَبِيَّ قَبْلَهُ أَشَدَّ  
 عَلَى وَعَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْلُودِ .

٥٥  
 ١٢

قال : ثم خرج من تلك الليلة قوم يؤمّونه من أجل نجم طلع ، وكانوا قبل ذلك  
 يتحدّثون أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال ، فخرجوا يريدونه  
 ومعهم الذهب والمرّ واللّبان ، فمزّوا بملك من ملوك الشّام ، فسألهم أين تريدون ؟  
 فأخبروه بنحبرهم . قال : فما بال الذهب والمرّ واللّبان أهديتوه له من بين الأشياء

(١) هو هيرودس الأكبر الذي حكم من ٤٠ — ٤ قبل الميلاد ، والتاريخ المسيحي متأخر عن وقته  
 الأصلي بأربع سنين ، ولذلك يكون ميلاد المسيح في السنة الأخيرة من ملكه . وكان هيرودس هذا حديد  
 الذهن قوى الإرادة مشهورا بالحيل غير أنه كان عنيفا صارما لا يبالي الحق في إجراء مقاصده . (راجع  
 الكتاب المقدس ج ٣ ص ٣ وقاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست وتاريخ الطبري ص ٧٤٠ من

(١) قالوا: تلك أمثاله؛ لأن الذهب سيد المتاع كله، وكذلك هذا النبي سيد أهل زمانه. ولأن المتر يجبر به الكسر والجرح، وكذلك هذا النبي يشفي الله تعالى به كل سقيم ومريض. ولأن اللبان يبلغ دُخانَه إلى السماء ولا يبلغها دُخان غيره، وكذلك هذا النبي يرفعه الله تعالى إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحدا غيره. فلما قالوا ذلك للملك حدث نفسه بقتله فقال: اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك فإني راغب في مثل ما رغبت فيه من أمره. فأنطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم، وأرادوا أن يرجعوا إلى الملك ليعلموه بمكان عيسى، فلقيهم ملك فقال لهم: لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنما أراد بذلك ليقته، فأنصرفوا في طريق آخر. وقال مجاهد: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدته، فإذا شغلني عنه شيء سبّح في بطني وأنا أسمع.

قالوا: وكان مولد عيسى عليه السلام بعد مضي آثنتين وأربعين سنة من ملك أغوستوس<sup>(٢)</sup>، وخمسين سنة مضت من ملك الأشغانيين ملوك الطوائف. وكانت الملكة لملوك الطوائف، والرياسة بالشام ونواحيها لقيصر ملك الروم، والملك عليها من قبل قيصر هيرودس<sup>(٣)</sup>، وقيل في اسمه هيرادوس.

١٥ (١) هذه عبارة الثعلبي الذي ينقل عنه المؤلف. وفي الأصل: «... .. أهديتوه بهذه الأشياء».

(٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٤٠ من القسم الأول). وفي الأصول: «أغوستوس» وهو تحريف.

(٣) كذا في تاريخ الطبري (ص ٧٠٦ من القسم الأول). وذكر الطبري أن الأشغانيين استمر ملكهم سنا وستين ومائتي سنة. وفي الأصول: «الأسكانيين».

(٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٣) وقاموس الكتاب المقدس لبوست وتاريخ الطبري ص ٧٤٠ من القسم الأول. وفي الأصول: «هردوس».

ذكر رجوع مريم بعيسى عليه السلام بعد مولده الى قومها

- قال الكسائي : ثم قامت مريم بعد الولادة وحملت عيسى على صدرها حتى أشرفت به على بنى إسرائيل وزكريا بينهم . وقال الثعلبي قال الكلبي : احتمل يوسف مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت مريم من نفاسها ، ثم جاء بهما فكلّمها عيسى في الطريق فقال : يا أمّاه ، أبشرى فإني عبد الله ومسيحه . قال الله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾<sup>(٢)</sup> . فلما نظروا اليها بكوا و ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى عظيما فظيحا لا يُعرف منك ولا من أهل بيتك ، وكانوا أهل بيت صالحين . ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ واختلف في سبب قولهم لها « يا أخت هارون » ، فقال الكسائي : ناداها هارون وكان أخاها من أمها ، وهو من أحبار بنى إسرائيل وعبادهم ، وقال لها : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ، فمن أين لك هذا الولد ! وقال الثعلبي قال قتادة : كان هارون رجلا صالحا من أتقياء بنى إسرائيل ، وليس هارون أخا موسى . وقال وهب : كان هارون من أفسق بنى إسرائيل وأظهرهم فسادا ، فشبهوها به . ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أى كلموه . ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ! ، وضربوا بأيديهم على جباههم تعجبا ، فتنحى عيسى و ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ . قالوا : فلما سمع ذلك أحبار بنى إسرائيل علموا أنه لا أب له وأن الله تعالى خلقه كما خلق آدم . فقال زكريا : الحمد لله الذى برأنا بقول عيسى من فساق بنى إسرائيل . قالوا : ثم لم يتكلم عيسى بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان . وقيل غير هذا . والله أعلم .
- (١) تعالت المرأة من نفاسها : خرجت منه وطهرت . (٢) سورة مريم آية ٢٧ وما بعدها .

٥٦  
١٢

## ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر

وما ظهر له من المعجزات في مسيره ومدة مقامه إلى أن عاد

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ <sup>(١)</sup> . اختلف العلماء في الربوة فقال عبد الله بن سلام : هي دمشق . وقال أبو هريرة : هي الرملة . وقال قتادة وكعب : هي بيت المقدس . وقال كعب : هي أقرب الأرض إلى السماء . وقال أبو زيد : هي مصر . وقال الضحاك : هي غوطة دمشق . وقال أبو العالية : هي أيلة . وقال بعض المفسرين : هي قرية من قرى مصر تسمى سدمنت . وسدمنت : بلد من بلاد إقليم الفيوم معروفة مشهورة . وقوله تعالى : ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ القرار : الأرض المستوية . والمعين : الماء الظاهر . وكان سبب خروج مريم إلى مصر ما حكاه الكسائي وغيره من أهل السير قالوا : وبلغ الملك هيرودس خبر عيسى فهم بقتل مريم وأبنها ، فخاف زكريا والمؤمنون عليهما من القتل ، وذلك بعد مولد عيسى بأيام قلائل ، فقال زكريا لمريم : إني أخاف عليك وعلى أبنك من هذا الملك ، وأمر يوسف النجار أن ينقلهما إلى أرض مصر ، وأعطاهما أتاناً وزودهم ، فسار يوسف بهما نحو مصر .

✱ ✱

وكان من المعجزات التي ظهرت على يدي عيسى عليه السلام في مسيره ومقامه بمصر أنه بينما هم سائرون إلى أرض مصر رأى يوسف النجار في بعض الطريق أسداً ففرع منه ، فقال عيسى : قرباني إلى الأسد ولا تقرباه أتم ، فقتلوه ؛ فلما صار بين يدي الأسد قال عيسى : أيها الوحش ، ما وقوفك على قارة الطريق ؟ قال : لثور

يمر على لا بدلى منه . قال عيسى : هذا الثور لقوم مساكين ليس لهم سواه ، ولكن انطلق إلى برية كذا وكذا ، فإنك ستري جملاً ميتاً فكله ، وأترك هذا الثور لأصحابه ، فمضى الأسد نحو الميتة وتركهم . والله أعلم بالصواب .

### معجزة أخرى :

- ٥ قال : ثم ساروا ، فرأوا قوماً قد اجتمعوا بالقرب من دار ملك من الملوك . فقال لهم عيسى : ما وقوفكم هاهنا ؟ . قالوا : امض أيها الصبي لشأنك . قال : أتحبون أن أخبركم بوقوفكم ؟ قالوا نعم . قال : إنكم تريدون دخول هذه الدار إذا جن الليل فتأخذون مال هذا الملك ، فلا تفعلوا فإنه مؤمن ، ودلهم على كنز وقال : إنه كان لقوم ماتوا ، فسار أولئك إليه واقتسموا منه مالا عظيماً .

### معجزة أخرى :

- ١٠ قال : ثم ساروا حتى دخلوا قرية عامرة وقد اجتمع الناس على باب ماكنها ومعهم صنم من حجر وهم يبيكون ويسجدون لذلك الصنم . فقال عيسى : ما شأنكم أيها القوم ؟ فقالوا : إن امرأة هذا الملك قد عسر عليها وضع الولد ، وقد أمرنا الملك أن نسجد لهذا الصنم ونسأله أن يخفف عنها ما هي فيه . قال عيسى : اذهبوا إلى الملك وقولوا له : لو وضعت يدي على بطنها يخرج الولد عاجلاً . فأخبروا الملك فقال : ١٥ ائتوني به ، فأدخلت مريم وعيسى على الملك ، فمجب من نطقه وهو صغير ، وأدخل على المرأة ، فقال عيسى : إن أخبرتك بما في بطنها وخرج كما أقول أتؤمن بربي الذي خلقني من روحه ؟ . قال نعم . قال عيسى : في بطنها غلام على خده خال أسود ، وعلى ظهره شامة بيضاء ، ثم وضع يده على بطن المرأة وقال : أيها الجنين ، بالذي ٢٠ خلق الخلق وأسبغ عليهم سعة الرزق أخرج . فخرج الولد على ما وصفه عيسى .

فهم الملك أن يؤمن ، فقال وزرائه : إن هذه المرأة ساحرة ، وهذا الصبي مثلها ، وقد طردوهما من بيت المقدس ، ولم يزالوا به حتى ردّوه عن الإيمان . فأرسل الله تعالى على الملك وقومه صاعقة فأهلكتهم . ثم مضى يوسف بهما حتى دخلوا مصر ، ونزلت مريم <sup>(١)</sup> دار دهقان هناك ، ولم يكن لها ما تعيش منه إلا الغزل ، فكانت تغزل الكتان والصوف بالأجرة لأهل مصر ، ويوسف يحتطب ويبيع الحطب مدّة ليس لهم رزق إلا من ذلك .

### معجزة أخرى :

- ٥٧  
١٢ قال الثعلبيّ قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أهل مصر أنزلها به يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر ، وكانت داره يأوي إليها المساكين ، فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم لمصيبة الدهقان . فلما رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافتها قال لها : يا أمّاه ، أتحيين أن أدلّه على ماله ؟ قالت : نعم يا بنيّ . قال : قولي له يجمع لي مساكين داره . فقالت مريم ذلك للدهقان ، فجمع له المساكين . فلما اجتمعوا عمّد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له : قم به . فقال الأعمى : أنا أضعف من ذلك . فقال عيسى : وكيف قويت على ذلك البارحة ! . فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام . فلما استقلّ قائماً هوى المقعد إلى كوة الخزانة . فقال عيسى عليه السلام : هكذا احتالا على مالك البارحة ، لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينه . فقال المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله . فقال الدهقان لمريم : خذي نصف المال . فقالت : إني لم أخلق لهذا . قال : فأعطه ابنك . قالت : هو أعظم مني شأنًا . والله أعلم بالصواب .

(١) الدهقان : التاجر أو رئيس الإقليم .



## معجزة أخرى :

قال : ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس أبنا له ، فصنع له عيداً بجمع عليه أهل مصر وكان يطعمهم شهرين . فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب . فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي ، فكلما مر بيده على جرّة امتلأت شراباً حتى أتى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

## معجزة أخرى :

قال : وبينما عيسى يلعب مع الصبيان بأرض مصر ، إذ وثب غلام منهم على غلام آخر فقتله . فجاء أهله وتعلقوا بجميع الصبيان وفيهم عيسى وأتوا بهم إلى القاضي . فقال القاضي : من قتل هذا ؟ قالوا : هذا ، وأشاروا إلى عيسى . فقال له القاضي : لم قتلت هذا الغلام ؟ قال : أراك حاكماً جاهلاً ، كان يجب أن تسألني : أقتلته أم لا ! قال القاضي : أراك ذا عقل ، فما أسمك ؟ قال : عيسى بن مريم . قال : يا عيسى ، لم قتلته ؟ قال : يا جاهل ، أبهذا أمرتك ؟ ثم دنا عيسى من الغلام وقال : قم بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم ، فأستوى جالساً وقال له : من قتلك ؟ قال : قتلني فلان بن فلان ، وهذا عيسى بن مريم برىء من دمي . فعجّب الناس من ذلك وقتلوا قاتل الغلام ، وأخذت مريم بيد عيسى وأنطلقت .

## معجزة أخرى :

قال : وأتت به أمه إلى معلم ليعلّمه ، فقال : إن ربي قد أغنانني عن تعليم المعلمين وقد علمني التوراة والإنجيل . قالت : صدقت ، ولكن تكون عند معلم خير من أن تلعب مع الصبيان . فأتت به إلى معلم يعلّمه ، فعلمه عيسى . قال الثعلبيّ : وروى

محمد الباقر رحمه الله قال : لما وُلد عيسى عليه السلام كان ابنَ يوم كأنه ابن شهر ،  
فلما كان ابنَ تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى كتاب وأقعده بين  
يَدَيِ المؤدّب . فقال له المؤدّب : قل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فقالها عيسى  
عليه السلام . فقال المؤدّب : قل : أبجد ، فرفع عيسى رأسه وقال للمؤدّب : هل تدري  
ما أبجد ؟ فعلاه ليضربه . فقال : يا مؤدّب ، لا تضربني ، إن كنت تدري وإلا فسَلْنِي  
حتى أفسّر لك . فقال : فسّره لي . فقال عيسى عليه السلام : الألف آلاء الله ،  
والباء بهجة الله ، والجيم جلال الله ، والدال دين الله . هوز ، الهاء هي جهنم وهي  
الهاوية ، والواو ويل لأهل النار ، والزاي زفير جهنم . حطّى ، حُطَّت الخطايا عن  
المستغفرين . ككمن ، كلام الله غير مخلوق لا مبدل لكلماته . سعفص ، صاع بصاع  
والجزاء بالجزاء . قوشت تفرشهم حين تحشرهم ، أى تجمعهم . فقال المؤدّب لأمه :  
أيتها المرأة ، خذى بيدِ ابنك فقد علّم ولا حاجة له الى مؤدّب . وقال سعيد بن جبّير :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن عيسى عليه السلام أرسلته أمه الى الكتاب  
ليتعلّم ، فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال وما باسم الله . قال لا أدري .  
قال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته " . والله أعلم الموفق .

٥٨  
١١

١٠

#### معجزة أخرى :

١٥

قال الكسائي : وأنطلقت به أمه الى صباغ ليعلمه صنعة الصباغة . فأخذه  
الصباغ وأمره أن يملأ التّيغارات من تيغار كبير ، وناوله أصباغا وأمره أن يجعل  
في كل تيغار صبغاً ، وأن يصبغ الثياب في تلك التّيغارات على اختلاف ألوانها ، وفارقه  
الصباغ وخرج إلى منزله . فعمد عيسى إلى تيغار واحد وملاه ماء وأخذ جميع تلك

(١) في كتب اللغة : التّيغار : الإجانة (بكسر الهمزة وتشديد الجيم) . والإجانة : إناه تغسل

فيه الثياب جمعه أجاجين .

٢٠

الأصباغ فجعلها فيه ، ووضع جميع تلك الثياب فيه وأنصرف إلى أمه . فلما كان من الغد جاء الصباغ إلى الخانوت فنظر إلى ما فعله عيسى ، فقال له : يا عيسى أهلكتنى وأفسدت ثياب الناس . قال عيسى : يا صباغ ، ما دينك ؟ قال : دين اليهود . قال : قل : لا إله إلا الله وأنى عيسى روح الله ، وأدخل يدك فى هذا التيغار وأخرج كل ثوب على ما تريد . فأمن الصباغ بالله وبغيسى عليه السلام وأدخل يده فأخرج كل ثوب على ما أراده أصحابه . قال : وظهر لعيسى بمصر معجزات كثيرة .

### ذكر خبر زكريا عليه السلام

مع هيرودس الملك وما كان من أمره

- قال الكسائي : ولما كان من أمر عيسى عليه السلام وكلامه ما قدمناه وتنكست الأصنام ليلة مولده ، جاء إبليس لعنه الله إلى الملك فى صورة شيخ وقال له : ١٠ أيها الملك ، إن لك عندى نصيحة فأخُلْ معى . فخاف به وقال : ما نصيحتك ؟ قال : قد بلغك ما كان من شأن المولود الذى تكلم فى المهد . قال نعم . قال : وقد رأيت ما حل بالأصنام من شؤم مولده ، وإنه لخليق أن يشمل الأرض كلها بشؤمه ، وأنت فلا يمكنك قتله الآن لخروجه من بلادك ، وأرى أن تفعل أمرا يتشاءم الناس بسببه بهذا المولود ويعينونك على قتله ، وأنت مع ذلك تطلبه ، فإن ظفرت به ذبحته . ١٥ قال الملك : فما الذى رأيت ؟ فلعمرى لقد وقع فى نفسى إنك لخليق أن يكون عندك رأى ومكيدة . قال : تذبح الولدان ، فإن ذلك يبغضه إلى الناس ويتشاءمون به فيكفوك أمره . قال : لقد أتيت بالأمر على وجهه ، وأمر بذبح الولدان من سنتين فما دونهما ، فوقع الذبح فى صبيان بنى إسرائيل . قال : ثم انطلق إبليس إلى مجالس بنى إسرائيل ونواذيبهم يقول : الفاحشة فى مريم ويقذفها بزكريا ، يعرض ٢٠

بذلك لخيارهم ، ويروح به ويصرح لشرارهم ، حتى شاعت الفاحشة على زكريّا .  
فلما رأى زكريّا ذلك هرب وآتبعه سفاؤهم وشرارهم ، وسلك في واد كثير النبات ،  
حتى اذا توسّط الوادى انفرجت له شجرة فدخلها وأقبل القوم في طلبه ، وإبليس  
يقدمهم حتى أوقفهم عليه وهو في الشجرة وقد ألتمحت عليه ، فأشار عليهم  
بقطعها ، فُقطعت . ثم قال لهم : أى العقوبة والنكال أبلغ في هذا الذى أورث آباءكم  
الطيبين إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذريتهم من بعدهم الفضيحة والعار؟ ! . قالوا :  
القتل أو النشر . فأشار عليهم بنشره ، فنشروه نصفين ثم أنصرفوا عنه ، وغاب عنهم  
إبليس لعنه الله . وبعث الله تعالى الملائكة فغسلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيام  
ثم دفنوه . وقد قيل في مقتل زكريّا غير هذا ، وقد تقدّم في أخباره . والله أعلم .

## ذكر رجوع عيسى ومريم عليهما السلام

٥٩  
١٢

من مصر

قال الكسائي قال وهب : وأقامت مريم وأبنا عيسى بمصر اثنتى عشرة سنة حتى  
أهلك الله الملك هيرودس . قال : وأوحى الله تعالى إلى مريم بوفاة الملك وأمرها أن  
ترجع إلى بلادها بالشام ، فجاء يوسف النجار فرجع بها . فلم تزل هى وأبنا يسكنان  
بجبل الخليل بقرية يقال لها الناصرة ، وبها سمّيت النصارى ، وبها أبتدعت النصرانية .  
قال : ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى بعد أن تمت له ثلاثون سنة أن يبرز إلى  
الناس ويدعوهم إلى الله تعالى ، وأنزل عليه الإنجيل . فكان يسير في البلاد ويدعو

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت والكتاب المقدس (ج ٣ ص ٩٧) . وهى مدينة اشتهرت بكونها  
وطن المسيح مدّة طفولته وصباه إلى أن ابتدأت خدمته ، وهى تبعد ١٤ ميلا عن بحر الجليل و ٦ أميال  
عن نابور و ٦٦ ميلا عن أورشليم . وفى الأصول : « ناصورية » .

الناس إلى الله عز وجل، ويرغبهم فيما عنده، ويهديهم في الدنيا ويضرب لهم أمثالا، ويداوى المرضى والزمنى<sup>(١)</sup>، ويبرئ الأكمه والأبرص، فأحببه الناس وسكنوا إليه، وكثرت أتباعه حتى امتنع وعلا أمره. ثم أحيا الموتى بإذن الله تعالى.

قالوا: وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يقدر على ذلك أتاه عيسى يمشى إليه. وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان.

(٢)

### ذكر خبر الحواريين

حين أتبعوا عيسى عليه السلام وآمنوا به

- قال الكسائي رحمه الله: ومرة عيسى على قوم يصيدون السمك وهم أربعة: شمعون، وأخ له اسمه أندريوس، ويعقوب، ويوحنا. فوعظهم وزهدهم في الدنيا ووعدهم الجنة ونعيمها فآمنوا به وأتبعوه. قال: ومرة بطائفة أخرى فوجدهم على نهر يغسلون الثياب، منهم لوقا، وتوما، ومرقس، ويوحنا، وأخوان لهم صبيان لم يبلغا الحلم، أحدهما شمعون والآخر يعقوب، وقيل في أسمائهم غير هذا. والله تعالى أعلم. فقال لهم عيسى: يا قوم، إنكم تقصرون هذه الثياب وتنظفونها من أوساخها، فلم لا تفعلون ذلك مع قلوبكم! ثم قال لهم: إني رسول الله إليكم جميعا، وبشرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) الزمنى: أصحاب العاهات.

- (٢) الحواريون: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا قصارين وصباغين. وهم خاصة الأنبياء ودخلائهم وأنصارهم كما قال تعالى: «من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله» وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير». وأسمائهم كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ١٦) سمعان وأندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرثلماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلفى وتداوس وسمعان القانوى ويهوذا الإسخريوطى.
- (٣) سورة الصف آية ٦

قال : فآمنوا به وآتبعوه، وكانوا كلهم آثني عشر رجلاً، أربعة منهم كانوا يصيدون السمك، وثمانية يقصرون الثياب . وكان من القصارين رجل أسفل النهر يقال له <sup>(١)</sup>يوزا لم يسمع كلام عيسى . فلما رأى أصحابه آتبعوه لحق بهم، وهو الذي ارتد بعد ذلك ودل اليهود على عيسى ، فصاروا به قبل آرتداده ثلاثة عشر .

### ذكر الخصاص والايات والمعجزات

التي أظهرها الله تعالى على يد عيسى عليه السلام بعد مبعثه

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ الآيات . قوله تعالى : ﴿ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ قال الحسن : ذكر النعمة : شكرها ، وأراد بقوله : ﴿ نِعْمَتِي ﴾ نعمي ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ <sup>(٣)</sup> . ثم ذكر تعالى النعم فقال : ﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ <sup>(٤)</sup> . واختلفوا في روح القدس ماهو ؟ فقال الربيع بن أنس : هو الروح الذي نفخ فيه ، أضافه سبحانه الى نفسه

٦٠  
١٢

(١) اسمه « يهوذا الإسخريوطي » كما في الكتاب المقدس (ج ٣ ص ٨٥) .

(٢) سورة المائدة آية ١١٠ (٣) سورة ابراهيم آية ٣٤ (٤) سورة البقرة آية ٨٧ وورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن روح القدس مانصه : أنه جبريل عليه السلام وهو الأصح . قال النحاس : وسمى جبريل روحاً وأضيف إلى القدس لأنه كان يتكلمين الله عز وجل له روحاً من غير ولادة والد ولده ؛ وقال حسان :

وجبريل رسول الله فينا \* وروح القدس ليس به خفاء

(راجع ج ٢ ص ٢٤ من الطبعة الثانية وج ٦ ص ٣٦٢ من الطبعة الأولى) .

- تكرّما وتخصيصا، نحو : بيت الله، وناقاة الله . والقدس : هو الله تعالى يدلّ عليه قوله : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾<sup>(١)</sup> . وقال آخرون : أراد الله تعالى بالقدس : الطهارة، يعنى الروح الطاهرة، سمى روحه قدسا لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة إنما كان أمرا من الله تعالى . وقال السدّي وكعب : روح القدس هو جبريل ، وتأيد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان رفيقه وقرينه .  
يُوحى إليه ويعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء . وقال سعيد بن جبّير وعبيد بن عمير : هو اسم الله الأعظم ، وبه كان يُحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب .  
وقوله : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ ﴾ يعنى الخطّ ، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ يعنى العلم والفهم .  
﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ كان يقرؤهما من حفظه . وقوله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ . قوله : ﴿ تَخْلُقُ ﴾ أى تجعل وتصوّر .  
وتقدّر ﴿ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ أى كصورة الطير . فكان عيسى يصوّر من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله تعالى . قالوا : ولم يخلق غير الحفّاش .  
وانما خص بالحفّاش لأنها أكل الطير خلقا ، فتكون أبلغ فى القدرة ، لأن لها ندبا وأسنانا ، وهى تلد وتحيض وتطهر . قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه ، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليميّز فعل الخلق من فعل الله تعالى ، وليعلم أن الكمال لله عز وجل . وقوله تعالى : ﴿ وَتَبَرَّأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ .  
الأكمه : الذى ولد أعمى ولم ير الضوء قط . قالوا : ولم يكن فى الإسلام أكمه غير قسادة . والأبرص : الذى به وضح ، وكان الغالب على زمن عيسى الطّب ، فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك .

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : يروى أن عيسى عليه السلام مرّ بدير فيه  
عُمَيَّان ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء قوم طُلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم .  
فقال لهم : ما دعاكم الى هذا ؟ فقالوا : خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى .  
فقال : أنتم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل ، امسحوا بأيديكم أعينكم وقولوا :  
باسم الله . ففعلوا ذلك فإذا هم جميعا يبصرون .

### ذكر خبر سام بن نوح وغيره

الذين أحياهم عيسى بإذن الله عز وجل

قال الكسائي قال وهب : سألت طائفة من بني إسرائيل عيسى بن مريم عليه  
السلام أن يُحيي لهم سام بن نوح وقالوا : أحي لنا سام بن نوح ليكلّمنا وإلا قتلناك ،  
وإن فعلت آمنا بك وأتبعناك . فأوحى الله تعالى اليه : نادِه ثلاث مرّات فإنه سيُجيبك .  
فقام عيسى على قبره وناداه ثلاث مرّات : يا سام بن نوح قم بإذن الله ، فقام  
في الثالثة وهو أشمط الرأس واللحية . فقال له عيسى : أهكذا متّ أبيض الرأس  
واللحية ؟ قال : لا ، ولكنّي سمعت نداءك نخفت أن تكون القيامة فشَمِطْتُ ،  
وأخبر القوم بما أرادوه وكلّمهم ، ثم رده عيسى الى قبره ، وما آمن بعيسى منهم  
إلا قليل .

(١) وعبارة الكسائي : « فقالوا : أحي لنا سام بن نوح وسام يومئذ في تابوت من حجر . قال :  
فوثب عيسى وتوضأ وصلى ركعتين ... الخ » وعبارة الثعلبي : « قال له الخواريون وهو يصف لهم سفينة  
نوح عليه السلام : لو بعثت لنا من شهد السفينة فيبعث لنا ذلك ... الخ » . ووردت العبارة في الأصول  
مضطربة .

(٢) الأشمط : من خالط بياض رأسه سواد .





قالوا : وممن أحياء عيسى بن مريم العازر ، وكان صديقاً له ، فأرسل أخته الى عيسى إن أخاك العازر يموت فأتية ، وكان بينه وبين أن يصل إليه مسيرة ثلاثة أيام ، فاتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته : انطلقى بنا الى قبره ، فأنطلمت معهم الى قبره وهو في صخرة مُطَبَّقة . فقال عيسى : اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أني أحيي الموتى فأحيي العازر . فقام العازر وأوداجه تقطّر . فخرج من قبره وبقي وُولد له .

٦١  
١٢

قالوا : ومّر عيسى عليه السلام برجل جالس على قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا عنده ، فقال له : يا عبد الله ، أراك تكثر القعود على هذا القبر . فقال : ١٠ يا روح الله ، امرأة كانت لي وكان من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة . فقال عيسى : أتحب أن أدعو الله تعالى فيحييها ؟ قال نعم . فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق . فقال له : ما أنت ؟ قال : يا رسول الله أنا في عذاب منذ أربعمائة سنة ، فلما كانت هذه الساعة قيل لي أجِبْ فأجبت . ثم قال : يا رسول الله ، قد مرّ عليّ من أليم العذاب ما إن ردّني الله الى الدنيا أعطيته عهداً ألا أعصيه ، فأدعُ الله لي . فرق له عيسى ودعا الله عز وجل ثم قال له : امض ، فمضى . فقال صاحب القبر : ١٥ يا رسول الله ، لقد غلّطت بالقبر ، إنما قبرها هذا . فدعا عيسى عليه السلام ، فخرج من ذلك القبر امرأة شابة جميلة . فقال له عيسى : أتعرفها ؟ قال : نعم هذه امرأتى . فدعا عيسى حتى ردّها الله عليه . فأخذ الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها ٢٠ ووضع رأسه في حجر المرأة . فتر بهما ابن ملك فنظر اليها ونظرت اليه وأعجب كل

واحد منهما بصاحبه ، فأشار اليها فوضعت رأس زوجها على الشجرة وأتبعته  
 ابن الملك . فاستيقظ زوجها ففقدوها وطلبها فدلّ عليها ، فأدركها وتعلق بها وقال :  
 أمرأتى ، وقال الفتى : جاريتى . فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى فقال الرجل : هذا  
 عيسى وقصّ عليه القصّة . فقال لها عيسى : ما تقولين ؟ قالت : أنا جارية هذا  
 ولا أعرف هذا . فقال لها عيسى : ردّى علينا ما أعطيناك . قالت : قد فعلت .  
 فسقطت مكانها ميتة . فقال عيسى : هل رأيتم رجلا أماته الله كافرا ثم بعثه فأمن !  
 وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحيّاها فكفرت ! .

قالوا : ومرّوا بميت على سرير ، فدعا عيسى الله تعالى ، فجلس الميت على السرير ونزل  
 عن أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله وبقي وولد له .  
 ومن أحيّاه عيسى بإذن الله تعالى أبنة العازر ، قيل له : أتحيّيا وقد ماتت  
 بالأمس ! فدعا الله عز وجل ، فعاشت وبقيت وولدت .

قال الكسائي : وسأل بنو إسرائيل عيسى عليه السلام أن يحيي لهم عزيرا ،  
 فقال : التمسوا قبره فالتمسوه ، فوجدوه في صندوق من حجر ، فعالجوه ليفتحوا بابَه  
 فلم يستطيعوا ذلك . فرجعوا الى عيسى وأخبروه أنهم عجزوا أن يُخرجوه من قبره ،  
 فأعطاهم ماء في إناء وقال : انضّحوه بهذا الماء فإنه يفتح . فأنطلقوا ونضّحوه  
 بالماء فأنفتح طابقه . فأقامه عيسى في أكفانه فزّعها عنه ، ثم جعل ينضح جسده  
 بالماء ولحمه ينبت وشعره وهم ينظرون . ثم قال عيسى : يا عزير اُحْيَ بإذن الله ،  
 فإذا هو جالس . فقالوا : ما شهادتك على هذا الرجل ؟ فقال عزير : أشهد أنه  
 روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وأنه عبد الله ونبيّه وابن أمّته . قالوا : يا عيسى ، ادعُ  
 ربك يحييه لنا فيكون بين أظهرنا . فقال عيسى : ردّوه الى قبره فإنه انقطع رزقه  
 وأنقضى أجله ، فردّوه الى قبره .

ومن معجزاته عليه السلام إخباره عن الغيوب

قال الله عز وجل إخبارا عنه : ﴿ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . قالوا : لما أبرأ عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله قالوا له : إنك تزعم أنك تُخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما نَدخِر . قال نعم . قالوا : فإننا نجعل خيارنا وأحبارنا ورهباننا فنأمرهم أن يأكلوا ويدخروا في بيوتهم ثم نأتيك فتخبرنا . قال نعم . فانطلقوا الى بيوتهم وأكلوا وادخروا وأقبلوا اليه من الغد ، وسأله كل رجل منهم وهو يخبره بما أكل وادخِر .

ومما أخبر به عيسى عليه السلام من المغيبات قصة ابن العجوز . وكان من خبره ما حكاه أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله أن عيسى عليه السلام مر في سياحته بمدينة ومعه الحواريون ، فقال : إن في هذه المدينة كنزا ، فمن يذهب فيستخرجه ؟ . قالوا : يا روح الله ، لا يدخل هذه القرية غريب إلا قتلوه . فقال لهم : مكانكم حتى أعرد اليكم ، ومضى حتى دخل المدينة فوقف بباب فقال : السلام عليكم يا أهل الدار ، غريب أطعموه . فقالت له امرأة عجوز : أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعموني شيئا ! . فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز فقال له عيسى : يا عبد الله ، أضفنى ليلتك هذه . فقال له الفتى مثل مقالة العجوز . فقال له عيسى : أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك . فقال له الفتى : إما أن تكون مجنونا ، وإما أن تكون عيسى بن مريم . قال : أنا عيسى . فأضافه وبات عنده . فلما أصبح قال له : اغد وادخل على الملك وقل له : جئت أخطب أبنتك فإنه سيأمر بضربك وإخراجك . فمضى الفتى حتى دخل على الملك وقال له :

٦٢  
١٢

جئت أخطب إليك آبتك ، فأمر به فُضرب وأخرج . ورجع الفتى إلى عيسى فأخبره ، فقال له : إذا كان الغد فأذهب إليه وأخطب إليه فإنه ينالك بدون ذلك . ففعل ما أمره عيسى ، فضربه الملك دون ذلك . فرجع إلى عيسى فأخبره ، فقال : إرجع إليه وأخطبها فإنه سوف يقول لك : إني أزوجك إياها على حُكْمِي ، وحُكْمِي قصر من ذهب وفضة ، وما فيه من فضة وزبرجد ، فقل له : أفعل ذلك . فإذا بعث معك فأخرج فإنك سوف تجده فلا تُحدث فيه شيئا . فدخل عليه فخطب إليه ، فقال : تُصديقها حُكْمِي ؟ فقال : وما حكمك ؟ حُكْمُ الذي سَمَّى [له] عيسى . فقال له : نعم ، أبعث من يقبض ذلك . فبعث معه [قوماً] ، فدفع اليهم ما سأله الملك . فعجب الملك من ذلك وسلم إليه آبنته . فتعجب الفتى وقال لعيسى : يا روح الله ، تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال ! . قال عيسى : لأني آثرت ما يبقى على هذا الفاني . فقال الفتى : وأنا أدعه وأصحبك . فتخلى من الدنيا وأتبع عيسى . فأخذ بيده وأتى أصحابه وقال : هذا هو الكنز الذي قلت لكم . فكان ابن العجوز مع عيسى حتى مات . والله أعلم .

### ذكر خبر يجمع عدة معجزات من معجزات عيسى عليه السلام

حكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله قال وهب : خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ، فصاحبه يهودي ، وكان مع اليهودي رغيفان ، ومع عيسى رغيف . فقال له عيسى : تشاركني في طعامك ؟ قال اليهودي نعم . فلمّا رأى اليهودي أن عيسى ليس معه إلا رغيف واحد ندِم . فقام عيسى إلى الصلاة فأكل اليهودي رغيفا . فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما ، فقال عيسى لليهودي : أين الرغيف الآخر؟

- فقال : ما كان إلا رغيف واحد ، فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ، ثم أنطلقا بفناء الى شجرة ، فقال عيسى لصاحبه : لو أننا بتنا تحت هذه الشجرة ! . فناما ثم أصبحا . فأنطلقا فلقيا أعمى ، فقال له عيسى : أرايت إن عاجلتك حتى ردّ الله عليك بصرك هل تشكره ؟ قال نعم . فمسّ عيسى عليه السلام بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح .
- فقال عيسى لليهودي : بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيف ؟ فقال : والله ما كان إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى عنه . ومرا فإذا هما بمقعد ، فقال له عيسى : أرايت إن عاجلتك فعافاك الله تعالى هل تشكره ؟ قال بلى . فدعا الله عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجليه . فقال صاحب عيسى : ما رأيت مثل هذا قط ! . فقال عيسى : بالذي أراك الأعمى بصيرا والمقعد صحيحا ، من صاحب الرغيف الثالث ؟
- خلف له اليهودي ما كان معه إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى . وأنطلقا حتى أتيا الى نهر عجّاج جرّار ، فقال عيسى : لا أرى جسرا ولا سفينة ، فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ، ففعل ومشيا على الماء . فقال له عيسى : بالذي أراك الأعمى بصيرا والمقعد صحيحا وسخر لك هذا البحر حتى مشيت عليه ، من صاحب الرغيف الآخر ؟ فقال : لا والله ما كان إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى . وأنطلقا فإذا هما بطباء يرعين ، فدعا عيسى بطي فأتاه فذبجه وشوى منه بعضا وأكله ، ثم ضرب عيسى بقية الطي بعصاه وقال : قم بإذن الله عز وجل فإذا الطي يعدو . فقال الرجل : سبحان الله ! . فقال عيسى : بالذي أراك هذه الآية ، من صاحب الرغيف الآخر ؟ فقال : ما كان إلا رغيف واحد . فأنطلقا فترا بصاحب بقر ، فنادى عيسى : يا صاحب البقر ، اجز لنا من بقرك هذه عجلا . قال : ابعث صاحبك يأخذه . فانطلق اليهودي بفناء به ، فذبجه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه . فقال له عيسى :

٦٣  
١٢

كُلُّ ولا تكسِر له عظاما، ففعل . فلمّا فرغ قذف بعظامه في جالده وضربه بعصاه  
وقال : قُمْ بإذن الله تعالى ، فقام العجل وله خُوار . فقال : يا صاحب البقر خذ  
عجلك . قال : ويحك ! من أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . قال : عيسى السحّار !  
ثم فر منه . فقال عيسى لصاحبه : بالذى أحيا لك العجل ، كم كان معك من رغيف ؟  
قال : ما كان معي إلا رغيف واحد ، فسكت عيسى . ومضيا حتى دخلا قرية ، فنزل  
عيسى في أسفلها واليهودىّ في أعلاها ، فأخذ اليهودىّ عصا عيسى وقال : أنا الآن  
أبرئ المرضى وأحيى الموتى . قال : وكان ملك تلك المدينة مريضا مُدنا .  
فأنطلق اليهودىّ ينادى : مَنْ يبتغي طبيا ، حتى أتى قصر الملك ، فأخبر بوجعه ، فقال :  
أدخلوني عليه فأنا أبرئه ، وإن لقيتموه قد مات فأنا أحييه . فقبل له : إن وجع الملك  
قد أعيا الأطباء قبلك ، فليس من طيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه . فقال :  
أدخلوني عليه ، فأدخلوه فضرب الملك بعصاه فمات . بفعل يضربه بالعصا وهو  
ميت ويقول : قُمْ بإذن الله . فأخذ ليصّاب . فبلغ ذلك عيسى ، فأقبل إليه وقد رُفِعَ  
على الخشبة ، فقال لهم : أرايتم إن أحييت لكم الملك أتركون لى صاحبي ؟ قالوا نعم .  
فدعا الله تعالى عليه السلام فأحياه وقام وأنزل اليهودىّ من الخشبة ، فقال : يا عيسى ،  
أنت أعظم الناس على منّة ، والله لا أفارقك أبدا . فقال له عيسى : أنشدك الله الذى  
أحيا الظبي والعجل بعد ما أكلناهما ، وأحيا هذا بعد ما مات ، وأنزلك من الجذع  
بعد ما صُلبت ، كم كان معك من رغيف ؟ قال : والله ما كان معي إلا رغيف واحد ،  
قال : لا بأس . ثم أنطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز وفيها ثلاث لبنات من  
ذهب . فقال الرجل لعيسى : هذا المال لك ؟ فقال : أجل ! واحدة لى ، وواحدة لك ،  
وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث . فقال اليهودىّ : أنا والله أكلته وأنت تصلى .  
فقال عيسى : هى لك كلها . فأنطلق عيسى وتركه قائما ينظروا وهو لا يستطيع أن

- يحمل واحدة منهم ، وكلما أراد أن يحمل واحدة ثقلت عليه . فقال له عيسى : دعه فإن له أهلاً يهابكون عليه . فجعلت نفس اليهودى تطلع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجز عن حمله . فأطلق مع عيسى ، فبينما هما كذلك إذ مرّ بالمال ثلاثة نفر فأقاموا عليه . فقال آثنان منهما لصاحبهما : انطلقى إلى أهل هذه القرية فأتنا بطعام وشراب ودوابّ نحمل هذا المال عليها . فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر : هـل لك أن نقتله إذا رجع ونقتسم المال فيما بيننا ؟ قال نعم . وقال الذى ذهب فى نفسه : هو ذا أجعل فى الطعام سمّاً فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله إلى ، ففعل ذلك . فلما رجع إليهما قتلاه ، ثم أكلا الطعام فماتا . وصرّ عيسى عليه السلام بهنم وهم موتى حوله ، فقال : هكذا تصنع الدنيا بأهلها ، فأحياءهم بإذن الله عز وجل ، فأعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيئاً . فتطلعت نفس اليهودى صاحب عيسى إلى المال فقال : أعطنى المال . فقال له عيسى : خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة . فلما ذهب اليهودى ليحمله خسف الله تعالى به الأرض ، وأطلق عيسى عليه السلام .

### ذكر خبر المائدة التى أنزلها الله عز وجل من السماء

- قال وهب : وسأل بنو إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُمِئِنِينَ ۖ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ وَفَرَأَى عَلَىٰ وَعَائِشَةَ وَسَعِيدَ بْنِ جُبَيْرٍ وَمَجَاهِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ « هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » ( بالثناء المشناة من أعلاها ونصب الباء الموحدة فى ربك ) واختاره الكسائى وأبو عبيد

٦٤  
١٢

(١) فى الثعلبى « إلى بعض هذه القرى » . (٢) سورة المائدة آيتى ١١٢ ، ١١٣

على معنى هل تستطيع أن تدعو ربك وتسال ربك . قالوا : لأن الحواريين لم يكونوا شاكين في قدرة الله تعالى . وقرأ الباقون « يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ » (بالياء المثناة من تحتها ورفع الباء) وقالوا : إنهم لم يشكوا في قدرة الله تعالى وإنما معناها هل ينزل أم لا ، كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع ، وإنما يريد هل يفعل أم لا ، وأجراه بعضهم على الظاهر فقالوا : غلط القوم وكانوا بشرا ، فقال لهم عيسى عليه السلام استعظما لقولهم : « اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ » معناه أن تشكوا في قدرة الله أو تنسبوه إلى تجز أو نقصان . وقيل : قال لهم : اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الأمم قبلكم . قالوا : إنما سألنا لأننا نريد أن نأكل منها فنستيقن قدرته وأطمئن وتسكن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا بأنك رسول الله ، ونكون عليها من الشاهدين ، فنقر الله بالوحدانية والقدرة ، ولك بالرسالة والنبوة . وقيل : ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم . قال الكسائي : فأمرهم عيسى بصيام ثلاثين يوما وأن الله بعد ذلك يطعمهم ويُنزلها عليهم . فصاموا حتى تم الأجل ، فقام عيسى وصلى وسأل الله تعالى وقال : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . قال قوله : ﴿ عِيدًا ﴾ أى عائدة من الله علينا وحجة وبرهاننا . والعيد اسم لما أعدته وعاد إليك من كل شيء ؛ ومنه قيل ليوم الفطر ويوم الأضحي عيد ، لأنهما يعودان كل سنة . وقوله : ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ . قال الشعلبي : يعنى لأهل زماننا ولمن يحيى من بعدنا . وقرأ زيد بن ثابت : « لِأَوَّلَانَا وَآخِرَانَا »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة المائدة آية ١١٤

(٢) في الأصول : « لأولينا وآخرينا » . والتصويب من البحر المحيط لأبي حيان (ج ٤ ص ٥٦) وغيره من كتب التفسير ؛ قال صاحب البحر : وقرأ زيد بن ثابت وابن محيصن والمجدي « لأولانا وآخرانا » أنشأوا على معنى الأمة والجماعة .



- وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى يا كل منها آخر الناس كما يا كل أولهم . ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾ دلالة وحجة . قال الله عز وجل مجيبا لعيسى عليه السلام : ﴿إِنِّى مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ . وقرأ أهل الشام وقتادة وعاصم « مُنْزِلُهَا » بالتشديد لأنها نزلت مرّات ، والتفعيل يدل على التكرير مرّة بعد مرّة . وقال تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ أى يكفر بعد نزول المائدة ﴿فَإِنِّى أَعَذُّهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> أى عالمى زمانهم . قال : بفخذ القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسيحوا قردةً وخنازير . قال الثعلبى : وأختلف العلماء فى المائدة ، هل نزلت أم لا ؟ فقال مجاهد : ما نزلت مائدة ، وهذا مثل ضرب . وقال الحسن : والله ما نزلت المائدة ، إن القوم لما سمعوا الشرط وقيل لهم : ﴿فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ . استغفروا وقالوا : لا نريدها ولا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل . قال أبو إسحاق الثعلبى : والصواب أنها نزلت ، لقوله عز وجل : ﴿إِنِّى مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ولا يقع فى خبره الخلف وتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وغيرهم من علماء الدين فى نزولها . قال كعب : أنزلت يوم الأحد ، فلذلك اتخذته النصارى عيداً .
- واختلفوا فى صفتها وكيفية نزولها ، فحكى الكسائى عن وهب قال : أنزل الله تعالى على عيسى مِكْثَلًا<sup>(٢)</sup> فيه ثلاث سمكات مشويات ليس لها شوك ولا قشر وثلاثة أرغفة ، والملائكة تحملها حتى وضعوها بين يدى عيسى . قال : وقد قيل : إن المائدة كانت سفرة<sup>(٣)</sup> من الأدم الأحمر ، وكان فيها سمكة واحدة مشوية وحولها الخضر

(١) سورة المائدة آية ١١٥

(٢) المِكْثَل : زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً .

(٣) السفرة : هى التى تتخذ من الجلود ولها معاليق تنضم وتنفرج ، فبالأنفراج سميت سفرة ؛ لأنها اذا حلت معاليقها انفرجت فأنفجرت عما فيها فقبل لها السفرة .

والبقول ، وعند رأسها خلّ ، وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة على كل منها زيتون ،  
 وخمس رمانات وممرات . وقال الثعلبيّ في تفسيره : روى قتادة عن خِلاس بن  
 عمرو عن عمّار بن ياسر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " نزلت المائدة خبزاً  
 ولحماً<sup>(١)</sup> . وذلك أنهم سألو عيسى طعاماً يأكلون منه لا ينفد ، ف قيل لهم : إنها مقيمة  
 لكم ما لم تخونوا أو تخبثوا أو ترفعوا ، فإن فعلتم ذلك عُدّتم . قال : فما مضى يومهم  
 حتى خبثوا ورفعوا وخانوا . وقال إسحاق بن عبد الله : إن بعضهم سرق منها وقال :  
 لعلها لا تنزل أبداً ، فُرفعت ومُسحوا قردة وخنازير . وقال ابن عباس رضي الله  
 عنهما : إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لبني إسرائيل : « صوموا ثلاثين يوماً  
 ثم سلّوا الله تعالى ما شئتم يُعطيكم » . فصاموا ثلاثين يوماً ، فلما فرغوا قالوا : يا عيسى ،  
 إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً ، وإنّا قد صُمنّا وجُعنا ، فادعُ الله أن  
 يُنزل علينا مائدة من السماء ففعل . فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة  
 أرغفة وسبعة أحوات<sup>(٢)</sup> حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل  
 أولهم . وروى عطاء بن السائب عن راذان وميسرة قالا : كانت المائدة اذا  
 وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم . وقال  
 سعيد بن جبّير عن ابن عباس رضي الله عنهم : أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز  
 واللحم . قال عطاء : أنزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم . وقال عطية العوفي :  
 نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . وقال عمّار وقتادة : كانت مائدة  
 تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة . وقال وهب بن منبه : أنزل الله تعالى

٦٥  
١٢

(١) نص الحديث كما ورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٢) : " أنزلت  
 المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأمرؤا ألا يخونوا ولا يذبحوا لغير الله فذبحوا ورفعوا لغير الله فذبحوا  
 قردة وخنازير " .

(٢) أحوات (جمع حوت) : وهو نوع من السمك معروف .

- أَقْرِصَةً مِنْ شَعِيرٍ وَحَيْتَانَا . فَقِيلَ لَوْ هَبَ : مَا كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي عَنْهُمْ ؟ قَالَ :
- لَا شَيْءَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَضْعَفَ لَهُمُ الْبَرَكَةَ ، فَكَانَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ وَيَجِيءُ
- الْآخَرُونَ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ، حَتَّى أَكَلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَفَضَّلَ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ
- وَمُقَاتِلٌ : اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ ،
- فَمَنْ أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ جَعَلْتَهُ مِثْلًا وَلَعْنَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، قَالُوا : قَدْ
- رَضِينَا . فَدَعَا شَمْعُونُ الصَّفَا وَكَانَ أَفْضَلُ الْخَوَارِيِّينَ فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ طَعَامٌ ؟ قَالَ :
- نَعَمْ مَعِيَ سَمَكَانِ وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ . قَالَ : قَدِّمُهَا . فَقَطَعَهُنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعًا
- صَغِيرًا ثُمَّ قَالَ : اقْعُدُوا فِي رَوْضَةٍ وَتَرَفَّقُوا رِفَاقًا ، كُلْ رَفَقَةً عَشْرَةً . ثُمَّ قَامَ عِيسَى
- عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَنَزَلَ فِيهَا الْبَرَكَةُ ، فَصَارَ خَبْزًا صَحَاحًا وَسَمَكًا
- صَحَاحًا . ثُمَّ قَامَ عِيسَى بِفَعْلٍ يُلْقَى فِي كُلِّ رَفَقَةٍ مَا حَمَلَتْ أَصَابِعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ،
- بِفَعْلٍ الطَّعَامُ يَكْثُرُ حَتَّى بَلَغَ رُكْبَهُمْ ، فَأَكَلُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَفَضَّلَ مِنْهُ ، وَالنَّاسُ نَحْمَسَةٌ
- آلَافٍ وَنِيفَ . فَقَالَ النَّاسُ جَمِيعًا : نَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ مَرَّةً
- أُخْرَى ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ خَبْزًا وَسَمَكًا ، نَحْمَسَةٌ أَرْغِفَةٌ وَسَمَكَتَيْنِ ، فَصَنَعَ بِهَا
- مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قُرَاهِمُ وَنَشَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ ضَحِكَ مِنْهُمْ
- مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا ، وَقَالُوا لَهُمْ : وَيَحْكُمُ ! إِنَّمَا سَحَرُ أَعْيُنِكُمْ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْخَيْرَ ثَبَّتَهُ
- عَلَى بَصِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ فَتَنَتَهُ رَجَعَ إِلَى كُفْرِهِ . فَمُسِخُوا خَنَازِيرَ وَلَيْسَ فِيهِمْ صَبِيٌّ
- وَلَا أَمْرَأَةٌ . فَكُتِبُوا بِذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ هَلَكُوا ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا وَلَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَشْرَبُوا .
- وَقَالَ كَعْبٌ : نَزَلَتْ مَائِدَةٌ مِنْكَوسَةٌ مِنَ السَّمَاءِ تَطِيرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
- عَلَيْهَا كُلُّ طَعَامٍ إِلَّا اللَّحْمَ . وَقَالَ قَتَادَةُ : كَانَتْ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ حَيْثُ كَانُوا
- كَالْمَنْ وَالسَّلَوَى ابْنِي إِسْرَائِيلَ . وَقَالَ يَمَّانُ بْنُ رِثَابٍ : كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهَا مَا شَاءُوا .
- وَرَوَى عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ : لَمَّا سَأَلَ الْخَوَارِيُّونَ عِيسَى

أَبْنُ مَرْيَمَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَائِدَةُ لِبَسِ صُوفًا وَبَكَى وَقَالَ : ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ الْآيَةُ ، وَأَرْزُقْنَا عَلَيْهَا طَعَامًا نَأْكُلُهُ ، وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . فَتَزَلَّتْ سُفْرَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ ، غَمَامَةٌ مِنْ فَوْقِهَا وَغَمَامَةٌ مِنْ تَحْتِهَا ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَهْوِي مَنْقُضَةً حَتَّى سَقَطَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . فَبَكَى عِيسَى وَقَالَ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا عُقُوبَةً وَمِثْلَةَ<sup>(١)</sup>» وَالشُّهُودُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، يَنْظُرُونَ إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَجِدُوا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهِ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لِيُقِمُّ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا فَيُكْشَفُ عَنْهَا وَيَذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ وَيَأْكُلُ مِنْهَا . فَقَالَ شَمْعُونُ الصَّفَّا رَأْسَ الْخَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا . فَقَامَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى صَلَاةَ طَوِيلَةٍ وَبَكَى بَكَاءً كَثِيرًا وَكُشِفَ الْمَنْدِيلُ عَنْهَا وَقَالَ : بِأَسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ ، فَإِذَا هُوَ بِسَمَكَةٍ مَشْوِيَةٍ لَيْسَ عَلَيْهَا فُلُوسٌ وَلَا شَوْكٌ تَسِيلُ سَيْلًا مِنَ الدِّسَمِ<sup>(٢)</sup> ، وَعِنْدَ رَأْسِهَا مِلْحٌ ، وَعِنْدَ ذَنْبِهَا خَلٌّ ، وَحَوْلُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ مَا خَلَا الْكَثْرَاتُ ؛ وَإِذَا خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهَا زَيْتُونٌ ، وَعَلَى الثَّانِي عَسَلٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثِ بَيْضٌ ، وَعَلَى الرَّابِعِ جُبْنٌ ، وَعَلَى الْخَامِسِ قَدِيدٌ . قَالُوا : فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْ عِيسَى قَالَ شَمْعُونُ رَأْسَ الْخَوَارِيِّينَ : أَنْتَ أَوْلَى يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَمِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا هَذَا أَمْ مِنْ طَعَامِ الْآخِرَةِ ؟ فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا تَرَوْنَ ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَفْتَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ الْغَالِبَةِ ، كُلُوا مِمَّا سَأَلْتُمْ يُمَدِّدْكُمْ وَيَزِدْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ . قَالَ الْخَوَارِيُّونَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ أُرَيْتُنَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْيَوْمَ آيَةً أُخْرَى ! فَقَالَ عِيسَى : يَا سَمَكَةَ أَحْيِي بِإِذْنِ اللَّهِ . فَاضْطَرَبَتِ السَّمَكَةُ وَعَادَتْ عَلَيْهَا فُلُوسُهَا وَشَوْكُهَا فَفَزَعُوا مِنْهَا . فَقَالَ عِيسَى : مَا لَكُمْ تَسْأَلُونَ أَشْيَاءَ إِذَا أُعْطِيتُمُوهَا كَرِهْتُمُوهَا ،

(١) المثلثة (بالضم) : التنكيل .

(٢) في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٦ ص ٣٧٠) : « تسيل سيلان الدسم » .

- ما أخوفنى عليكم أن تعذبوا ! يا سمكة عودى كما كنت بإذن الله تعالى . فعادت السمكة مشوية كما كانت . فقالوا : يا روح الله ، كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن . فقال عيسى : معاذ الله أن آكل منها ، ولكن يا كل منها من سألها ، نخافوا أن يأكلوا منها . فدعا عيسى عليه السلام أهل الزمانة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال : كلوا من رزق الله ولكم المهنة ولغيركم البلاء . وفى رواية : كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم وأذكروا اسم الله . فأكلوا وصعدوا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ، ثم نظر عيسى عليه السلام الى السمكة فاذا هى كهيئتها حين نزلت من السماء . ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم . فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ، ولا مريض إلا برأ ، ولا مبتلى إلا عوفي ، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات ، وندم الحواريون ومن لم يأكل منها إذ لم يأكلوا منها . وكانت اذا نزلت اجتمع الفقراء والأغنياء والصغار والكبار والرجال والنساء فيزدحمون عليها . فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوبة بينهم ، فلبثت أربعين صباحا تنزل تُصْحَى ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفىء طارت صعدا وهم ينظرون الى ظلها حتى توارى عنهم . وكانت تنزل غبا ، تنزل يوما ولا تنزل يوما كثافة صالح . وأوحى الله عز وجل الى عيسى أن اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الأغنياء ، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا : أترون المائدة حقا نزلت من السماء ! فقال عيسى : هلكتم تجهزوا لعذاب الله . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : إني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها عذبتة عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فقال عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

فإنك أنت العزيز الحكيم . فمسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا . وقال الكسائي عن وهب : مسح منهم خمسة آلاف وخمسمائة ، فباتوا على فرشهم مع نسائهم في ديارهم ، فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكعاسات ويأكلون العذرة . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام ، وبكى على المسوخين أهلهم . ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا واحدا فيكون ويشيرون براءوسهم ولا يقدرّون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا . وهؤلاء الذين لعنوا على لسان عيسى كما قال تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية .

### ذكر ما قالته الشياطين الثلاثة في عيسى بن مريم

وأتبعهم الناس بعدهم

قال الكسائي قال وهب : جاء إبليس الى عيسى عليه السلام هو وأصحاب له على صور رجال ذوى هيئة وشيبة وعيسى يقول لبنى إسرائيل : ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية . فقال إبليس : أتخلق وتشفى المرضى وتحي الموتى وتنبئنا بالغيب ؟ قال عيسى نعم . قال إبليس : هذا الله عز وجل ! يا أيها الناس فانظروا اليه ، فإنه نزل اليكم ليرىكم قدرته . فقال أحد أصحاب إبليس : بئسما قلت يا شيخ ! أخطأت وجرت وقلت قولا عظيما ، أتزعم أن الله يتجلى لخلقه لينظروا الى قدرته ! وهل ينبغي لخلقه أن ينظروا اليه أو يسمعوا كلامه أو يقوموا لرؤيته ! لا ، ولكنه ابن الله وليس هو الله . فقال الثالث : كلاً كما قال شططا وأخطأ وجار وقال قولا عظيما ، وهل ينبغي لله أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد ! وهل ينبغي لولد هو من الله

٦٧  
١٢

أن تستقل به قوة امرأة ويسعه رَحِمُها ! ولكنه إله مع الله وليس بولد لله وليس بالله كما قلتما . قال : فتفرقوا على ذلك ونطق الناس بقولهم ، فصار ذلك كلام النصراني . قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ ﴾ .

### ذكر خبر إبليس حين عارض عيسى عليه السلام

وما خاطبه به وجوابه

قال وهب : ثم جاء إبليس الى عيسى بن مريم فعارضه في عَقَبَةٍ من عقاب الأرض المقدسة يقال لها عَقَبَةُ فَيْق : فقال له : أنت المسيح بن مريم؟ قال عيسى : أنا المسيح عيسى بن مريم روح الله وكلمته وعبد الله وابن أمته . فقال له إبليس : فأنت إله الأرض . قال : بل إله الأرض ربّي . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أن تكلمت في المهد صبياً . قال : بل العظمة للذي أنطقني في صغري . قال : بل فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا . قال عيسى : بل العظمة للذي خلقني وخلق ما سخر لي . قال : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تشفي المرضى . قال عيسى : بل العظمة للذي بإذنه شفيتهم وإن شاء أمرضني . قال إبليس : فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تُحيي الموتى . قال عيسى : بل العظمة للذي بإذنه أحياهم ، ولا بد أنه سُميت من أحييتُ ويُميتني . قال : فأنت الذي بلغ من

(١) سورة المائدة آية ٧٢ (٢) سورة البقرة آية ١١٦

(٣) سورة المائدة آية ٧٣ (٤) العَقَبَةُ : مرقى صعب من الجبال ، أو الطريق في أعلاها . ٢٠

عظم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبطل قدماك ولا ترسخ فيه . قال : بل العظمة  
للذى ذلله . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تعلم الغيب . قال :  
بل العظمة لعالم الغيب والشهادة ، لست أعلم إلا ما علمنى . قال : فأنت الذى بلغ  
من عظم ربوبيتك أنك كُنت من غير أب . قال : بل العظمة للذى كُنتى وكون  
آدم وحواء من قبلى . قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك سيأتى عليك  
يوم تعلق فيه الخلائق كلها ، فتكون السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن  
دونك ، وأنت فوق ذلك كله تدبر الأمر وتقسّم الأرزاق . قال : فأعظم عيسى قوله  
وضاق به ذرعا وسبح إعظاما لما قال إبليس . قال : فأناه جبريل فنفخ إبليس  
نفخة ذهب يظلم منها على وجهه فلا يملك من نفسه شيئا حتى وقع بالخفاق الأقصى ،  
ثم نهض بالذى أعطاه الله من القوة فسبق عيسى إلى أسفل العقبة فسأدها وملا كل  
ثلمة وطريق ، ثم قال لعيسى : لقد غضبت غضب إله عظيم ، وقد أخبرتك بأنك إله  
وما أنت من البشر ، ولو كنت من البشر ما قت<sup>(١)</sup> ، منذ فارقتك ، أربعين ليلة لم  
تطعم ولم تشرب ولم تنم ولم يضرع<sup>(٢)</sup> لذلك جسمك ، وهذا مالا ينبغي لبشره . قال عيسى :  
إن جسدى ليألم مما يألم منه البشر ، وإنى لأطعم وأشرب وأنام وأغفل وأفرح  
وأحزن وأجزع وأهلع وأحتاج إلى أن أنتظف بالماء وكيف تزعم أنى إله وأنت  
تعلم أنى هكذا ! . ولم يزل إبليس لعنه الله يحاوره حتى عرض عليه أن يأمر الشياطين  
بعبادته والاعتراف بربوبيته . فضاق عيسى ذرعا وسبح لله تعالى فقال : « سبحان  
الله عما يقول وبجده ، ملء سمائه وأرضه ، وعدد خلقه ، ورضا نفسه ، وبلغ علمه ،  
ومنتهى كلماته ، وزنة عرشه » . فهبط جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فنفخه ميكائيل  
نفخة ذهب منها نحو مطلع الشمس حتى صدم عين الشمس عند طلوعها ، نفخ

(١) فى الأصل : « ماقت لى » بزيادة « لى » . وظاهر أنها من زيادات النساخ .

(٢) يضرع : يضعف .



حصيدا محترقا ، فأتبعه إسرافيل فنفخه نحو مغرب الشمس فانطلق لا يملك من نفسه شيئا حتى حاذى عيسى فقال : يا ابن مريم ، لقد لقيت منك تعباً . ومرت به النفخة حتى وقع في العين الحامية التي تغرب الشمس فيها ، فلبث سبعة أيام وسبع ليال ، متى أراد الخروج منها غطته الملائكة بأجنحتها ، فما رام عيسى بعد ذلك . والله أعلم .

### ذكر خبر عيسى مع اليهود

حين ظفروا به وأرادوا صلبه وقتله

٦٨  
١٢

قال وهب : لما أوحى الله عز وجل إلى عيسى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾<sup>(١)</sup> جَزِعَ من الموت جَزَعاً شديداً وقال للحواريين : هذا الزمان الذي يَقْبِضُ الله فيه الراعى ثم تُفَرَّقُ الرعيّة من بعده ، فعرفوا أنه يعنى نفسه ، فبكوا وجزعوا ، فقال : لا تبكوا من حزن الفراق ، فسترون ما هو أشد منه ، ولست مفارقكم حتى يظفر بى عدوى ثم يأسرونى ، فلا تدفعوا عني ولا تمنعوا . قال : وطلبه اليهود ليقتلوه فاستخفى منهم ، فدلم عليه يُوذاً وهو الذى ارتد عنه ، فأخذه من غار جبل بيت لحم وجعلوا على رأسه إكليلا من الشوك ليمثلوا به ، وجعلوا ياطمونه ويضربونه من خلفه ويقولون له : إن كنت نبياً كما تزعم فامنع عن نفسك وأدع ربك فليحل بيننا وبينك ، وهو لا يكلمهم حتى طلع الفجر ، ونصبوا له خشبة ليصلبوه . فلمّا أرادوا أن يرفعوه عليها أظلم الجوّ ظلمة عظيمة لم تلبس الأرض مثلها ، وأرسل الله الملائكة فخالوا بينهم وبينه وصلبوا مكانه يُوذاً الذى دلّ عليه ، وأشرقت الشمس وقلب الله قلوب الناس وأبصارهم فجعلوا ينظرون إلى يُوذاً فى صورة عيسى . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . قال : ولمّا رفعوا يُوذاً على الخشبة قال :

يا هؤلاء ، إني أذكركم الله في دمي ، إني صاحبكم يؤذًا الذي دللتكم على عيسى . ثم أخبرهم خبر الظلمة وأن الملائكة حالوا بينهم وبين عيسى وجعلوه مكانه ، وأخبرهم بعلامات يعرفونها . فلما سمعوا ذلك منه زادهم عليه غيظًا وحنقًا وقالوا : ما أعظم سحره ! كيف اطلع بسحره على سرنا وما كنا نطويه دونه ! وقتلوه وهو صاحبهم .

### ذكر خبر رفع عيسى عليه السلام أول مرة

وهبوطه إلى الأرض ووصيته إلى الحواريين ورفعه ثانيا

- قال : رفع الله تعالى عيسى لثلاث ساعات مضت من النهار، فلبث في السماء أيامًا، قيل سبعة أيام، وقيل أربعين يوما . والله أعلم . ثم قال الله له : إن أعدائك اليهود أعجلوك عن الوصية والعهد إلى أصحابك ، فانزل اليهم وأعهد لهم وأوصهم ، وانزل على مريم المجدلانية<sup>(١)</sup> فإنها في غار في جبل الجليل . وكانت مريم المجدلانية من قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدل . وكانت من أوسط نساء بني إسرائيل حسبا ، وكانت أجمل نسائهم وأكثرهم مالا ، وكانت تستحاض فلا تطهر أبدا وخطبها أشراف بني إسرائيل وملوكهم وأمتعت من إجابتهم ، فظنوا أن ذلك ترفعا منها ، وإنما كان بسبب ما يعرض لها . فلما ظهر عيسى عليه السلام وشاع ذكره أئنته في جملة المرضى ليشفيها ، فحججت أن تسأله لكثرة الناس حوله ، فجاءت من ورائه فمسسته بيدها فزال عنها ما كانت تشكوه وطهرت وآمنت بعيسى ، وأنفقت مالها فيما أمرها به من وجوه البر ، وصارت فقيرة وتبتلت وتخلت للعبادة ، وكانت تُعد من أصحاب عيسى .
- قال : وأمر الله تعالى عيسى أن يأمرها أن تجمع له الحواريين ، وأن يستخلف عليهم شمعون ، وأن يفرقهم دعاة إلى الله عز وجل في البلاد ، وأن يخبرهم بالعلامة التي تأتيهم من الله . ثم أهبطه الله تعالى على مريم فأشتعل الجبل نورا ، وأئنته بالحواريين ، فبلغهم
- (١) كذا في الأصول والنعلي . ولعلها نسبة شاذة إلى مجدل . وفي الكتاب المقدس : "المجدلية" .

- رسالة ربهم ، وقال : **إِن آية ذلك أن تأتيكم الملائكة في ليلتكم هذه بمغارف** فيها نور من نور الله ، فكل من تناول مغرفة منها فليأخس النور الذي فيها فإنه يصبح وقد تكلم بلغاة القوم الذين بعث إليهم ويصبح وهو على باب مدينتهم . قال : **والليلة التي هبط عيسى فيها هي الليلة التي تدخن فيها النصارى باللبان . قال : فلما** فرغ عيسى من وصيته الى الحواريين رفع بعد سبعة أيام ، وتوفاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار ، ثم كساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه المطعم والمشرب وصار ملكاً إنسياً . قال وهب : **برز عيسى عليه السلام للناس يوم برز وهو ابن** ثلاثين سنة ، ولبت فيهم في نبوته وفيما كان الناس يرونه منه من العجائب والآيات ثلاث سنين ، ورفع الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . وحكى أبو إسحاق الثعلبي عن أهل التاريخ أن الله تعالى أوحى الى عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة . وقد ورد في الحديث ما يدل على أنه رفع وله مائة وخمسة وعشرون سنة . وسند ذلك إن شاء الله تعالى في آخر السيرة النبوية على ما تقف إن شاء الله عليه هناك .

٦٩  
١٢

### ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام

- قال الكسائي قال كعب : **ماتت مريم بنة عمران أم عيسى عليهما السلام قبل** رفعه ، فدفنها في مشاريق بيت المقدس . وحكى الثعلبي رحمه الله أنها ماتت بعد رفع عيسى عليهما السلام . وقال في خبره : **لما صلب المشبه بعيسى جاءت مريم ابنة عمران وأمراة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون بيكان عند المصلوب ،** بجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما : **على ما ذا تبكيان ؟ فقالتا عليك . فقال : إن** الله تعالى رفعني فلم يصبني إلا خير ، وإن هذا شيء شبه لهم . ثم قال أيضا في قصة

وفاة مريم عن وهب : لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آتخى بين  
الحواريين وأمر رجلين منهما وهما شمعون ويوحنا أن يلزما أمه ولا يفارقانها ، فانطلقا  
ومعهما مريم الى نيرون ملك الروم يدعوانه الى الله عز وجل ، وقد بعث الله اليه  
قبل ذلك بولس<sup>(١)</sup> . فلما أتوه أمر بشمعون وبولس فقتلا وصليا منكسرين ، وهربت  
مريم ويوحنا ، حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب ، فخافا فأنشقت لهما  
الأرض فغابا فيها ، فأقبل نيرون ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا  
شيئا فردوا التراب على حاله ، وعلموا أنه أمر من الله عز وجل . فسأل ملك الروم  
عن حال عيسى فأخبر به فأسلم . وقد قيل في إسلامه غير هذا ، على ما ذكره إن شاء  
الله تعالى .

١٠ (١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٧٣١ من القسم الأول) . وفي الأصول : « بارون » .  
(٢) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٧٣١ من القسم الأول) وكما سيذكره المؤلف في الصفحة التالية .  
وفي الأصول : « بودس » .

## الباب السادس من القسم الثالث

من الفن الخامس في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام  
وما كان من أمرهم مع من أرسلوا اليه وخبر جرجيس

### ذكر خبر أخبار الحواريين

- قال الكسائي قال وهب : وأصبح الحواريون على أبواب المدائن التي بُعثوا  
اليها ، يتكلم كل رجل منهم بلغة الأمة التي بُعث اليها . فبعث الى أهل رومية  
رجلين من الحواريين ، وبعث إندراوس ولوقا الى أرض الحبشة ، وبعث رجلا  
الى بابل ، وبعث رجلا الى إفريقية ، ورجلا الى أصحاب قرية الكهف ، ورجلا  
الى بربر ، ورجلين الى أنطاكية ، ورجلا الى السند والهند ، وأقام شمعون مكانه  
وهو رأسهم ، وأمروا أن يستظهروا به فيما بينهم .

### ذكر خبر يوحنا وبولس اللذين توجهوا إلى إنطاكية

- قال الكسائي : لما أصبح يوحنا وبولس على باب إنطاكية دخلا عند فتوح  
بابها ، ومليكتها يومئذ مخلنطيس بن مخلنطيس ، وكان ظالما جبارا متكبرا ، فلم يقدر  
على الوصول اليه ، وما أمكنهما أن يذكر ما جاء فيه مخافة أن يقتل قبل أن يبلغاه  
رسالة الله تعالى . فكانا كذلك مدة ، حتى شخّص الملك من منزله الى مُستتره له فنادياه  
من بعيد بالإنذار . فلما سمع أصواتهما أرسل من يسمع مقاتلتهما فبلغاه رسالة الله  
عز وجل ، فأمر الملك بجلد كل منهما مائة جلدة وحلّق رءوسهما حلّق الشمامسة

٧٠  
١٦

(١) في الطبري (ص ٧٩٠ من القسم الأول) : « انطيوخس بن انطيوخس » .

- ليُمَثِّلَ بهما، ثم أمر بهما إلى السجن ليُخْلَدَا فيه . فأوحى الله تعالى إلى شمعون بنخبرهما وأمره بالانتصار لهما . فخرج حتى بلغ أنطاكية فدخلها، وتلطف حتى صحب خواص الملك وبطانته وأنسوا به وذكروه للملك . ثم طرق السجن ليلا، وكان له باب من حديد طوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون ، وكان إذا فُتِحَ صرصر حتى يَسْمَعَ صريره أقصاهم وأدناهم . فأرسل الله تعالى ملكا فآقتلع الباب من موضعه فلم يُسْمَعْ له صوت ، وألقى الله عز وجل السُّبَات على أهل السجن وحراسه . فدخله شمعون، وأجتمع بيوحنا وبولس وبشرهما عن الله بالثواب والخير وأنصرف عنهما ، وردَّ الملك باب السجن إلى موضعه . وكان شمعون يدخل مع الملك وأصحابه إلى بيوت أصنامهم ويسجد لله ويبكى ويكثر العبادة وهم لا يشكّون أنه يعبد أصنامهم ، فأحبّه الملك وقربه وسأله عن نسبه ، فأخبره أنه من بني إسرائيل وأنه بقيّة قوم أنقرضوا، ولم يكن له من يأنس به فاعتمدتكم رغبة في قربكم، وحرصا على إخوانكم . فقال الملك : قد قبلنا قولك وسودناك علينا ، فأنت أفضلنا وسيدنا . فلبث فيهم زمنا يصدرون عن رأيه . فلما تمكّن أمره من الملك قال له : أيها الملك، بلغني أنك سجنْتَ رجلين كانا قد جاءاك يدعوانك إلى غير دينك وإلى عبادة إله غير إلهك ، ويزعمان أن الله أرسلهما إليك ، وعجبتُ كيف اجترأ عليك . فماذا قلتَ لهما وما قالَا لك ؟ وهل أجبتهما بما كان ينبغي لك من الجواب ؟ وهل سألتهما حين عَظَمَ لك ربهما أن يذكرَا لك سائر عظمتيه ، أو أحيا لك ميتا ، أو غير ذلك مما تعرف به مصداق قولهما ؟ قال الملك : لقد حال الغضب دون ما تقول . قال : فهل لك أن تدعوهما ؟ قال نعم . فأحضّرهما بين يديه ، فقال لهما شمعون : أخبراني من أرسلكما إلى هذا الملك وقومه ؟ قالَا : أرسلنا الله الذي هو على كل شيء قدير . فقال شمعون : صفَا لي عظمتَه . قالَا : هي أعظم من أن تُحْصَى . قال : فأخبراني ماذا يبلغ من قدرته ؟

- قالا : إن شئت وصفنا لك ما نُطِيق وصفه ، وصِفْتُهُ أعظم من طاقتنا ، وإن شئت وصفنا لك ذلك في كلمتين تكفيان من كلام كثير . قال : نعم ، صِفْهُ وأوجِزْ .
- قالا : إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فوضع شمعون يده على رأسه كالمنكر لما قالَا ، ثم أقبل عليهما وقال : إني أسألكما أمرا فإن قدر إلهكما عليه آمنا بكما .
- قالا : سل . قال : هل يقدر أن يخلق خلقا ونحن ننظر إليه ؟ قالَا نعم . قال : اعلمنا ما تقولان ! قالَا : قد علمنا ، فمتى شئت أريناك . فعندها خلا شمعون بالملك وقال : أيها الملك ، إن هذين الرجلين ليسا ببعيدين من أن يكون ربهما كما قالَا ، ولا أظنهما عرّضا أنفسهما للملك لمثل هذا الموقف إلا وعندهما ثقة من إلههما . وإني أخشى أن يدعوا ربهما فيخلق خلقا ينظر إليه الناس فيمُرّض ذلك قلوبهم ويزهدون في إلهك الذي تعبده ويذهبان بالصوب والشرف . فهل لك أن تدعو إلهك فيخلق هذا الخلق الذي نريد أن نتمناه عليهما فيكون لك وإلهك شرف هذا اليوم وصوبه ؟
- قال له الملك : ليس دونك سرّ ، إن هذا الإله الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضّر ولا ينفع ولا يُحي ولا يُميت . فقال لهما شمعون : اعْرِضَا عليّ بعض قدرة إلهكما فإن أجابكما وخلق الشيء على أعيننا ونحن ننظر إليه فقد صدّقتما والقول قولكما .
- وآجتماع الناس لينظروا . فأوحى الله لهما أن سَلَاه ماذا يريد ، فإني مسخر لكما ما سألكما . قالَا : قد أَوْحَى إلينا أنه فاعِلٌ ما تسألنا ، فسلنا . وكان شمعون قد عهد في المدينة غلاما مطموس الوجه لم يُخْلَقْ له عينان ، فأَتَى به فقال : ادعُوا ربكما أن يَخْلُقَ له عينين ونحن ننظر . قالَا نعم . فأوقفاه بين أيديهما ودعوا الله وأعانهما شمعون سرّا ، فأجابهم الله تعالى ، فأخذ كل واحد منهما حثوة من تراب وعجنه وجعله كالبنْدَقَةِ ، ووضع البنْدَقَتَيْنِ في موضع العينين من وجه الغلام فأنشَقَ

$$\frac{٧١}{١٢}$$

(١) الصوب : ضد الخطأ ، مثل الصواب .

- لها البصر، ثم صارت البندقيتان عيين . نخاف الملك، فقال له شمعون : لا تخف  
 إنَّ عندي حيلة . قال له الملك : لعلهما ساحران، أرنا ما لا يكون وما ليس بكائن .  
 قال شمعون : ليس هذا من السحر، ولكني أخاف أن يأتى من إلهكما ما يُعجز  
 حيلتنا . فدعا شمعون بـغلام مطموس وعمل كما عملا فأَنشَق بصره، كما أَنشَق بصر  
 الأول، ففرح الملك وأصحابه بذلك . فقال شمعون : إنما صنع ما ترون  
 إله اخترته لنفسى وهو الذى أظهر قُلُوبكم<sup>(١)</sup>، فأسجدوا لهذا الإله الذى أظفركم بعدوكم  
 لعله يُعينكم على ما يكون بعد هذا . فقال الملك : كيف نسجد لغير إلهنا ! . قال  
 شمعون : ألم تُخبرنى أنه لا يبصر ولا يسمع ولا يضرب ولا ينفع، فما قُدْرته عليك إن  
 سجدت لغيره ! قال : صدقت . وسجد الملك وسجد قومه اسجوده . ثم قال شمعون  
 ليوحنا وبولس : إني أسألكما عن أمر، فإن قَدَر عليه إلهكما فالجّة إذا لكما والقول  
 قولكما . قالا : سَلْ عما بدالك . قال : تسألان ربكما أن يُحيى لنا ميتا حتى يكلمنا  
 ويخبرنا ما خبره، ويُعلمنا ما كان فيه وما لقي بعدنا . قالا : نعم، إنَّ الذى سألت  
 يسيرٌ على الله وهينٌ عليه . فوضع شمعون يده على رأسه كالمُعْظِم والمنكر لما قالا .  
 ثم خلا بالملك وقال : إنك قد رُميت بأمر عظيم، وإني أخاف إن أحيا إلهكما الموتى  
 أن يميل الناس إليهما . قال الملك : إنا نرجو ألا يأتيا بشيء إلا أتيت أنت بمثله .  
 قال شمعون : إني لا أغرّكم، إنَّ إلهى لا يُحيى الموتى، ولا أعلم فى الأرض من يقدر  
 على ذلك . قال الملك : فهل تدعهما يدعانا وتدعهما، فإن أبيتا قاتلناهما؟ . قال  
 شمعون : كيف نقاتل من لهما إله يُحيى الموتى ! ولكن أرجو أن أدعو الإله الذى  
 صنع ما رأيتم فيعيننا على ما نريد . قال شمعون : هل يقدر إلهكما على أن يُحيى  
 الموتى ؟ قالا نعم . قال الملك : إنَّ عندنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن

(١) الفلج (بالضم) : بمعنى الفوز والظفر .



- دِهْقَان مَدِينَتَنَا، فَدَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَحْضَرَ فِي نَعَشٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَرْوَحُ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ :  
 دُونَكُمْ ادْعُوا أَنْ يُحْيِيَهُ إِلَهُكُمْ . فَدَعَوْا اللَّهَ، فَلَمَّا لَبِثَ أَنْ تَفْتَقَتْ عَنْهُ أَكْفَانُهُ وَرَدَّ اللَّهُ  
 إِلَيْهِ رُوحَهُ . فَسَأَلُوهُ مَتَى مَاتَ وَمَاذَا لَقِيَ . فَقَالَ : مِتُّ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ عُرِضْتُ  
 عَلَى عَمَلِي فَقُذِفْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنْ نَارٍ، وَذَكَرَ مَا فِي الْأَوْدِيَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحَيَّاتِ  
 وَغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ : فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى الْوَادِي السَّابِعِ خُفِّفَ عَنِّي الْعَذَابُ . قَالُوا :  
 فَمَنْ أَيْنَ خُفِّفَ عَنْكَ الْعَذَابُ؟ قَالَ : أَحْيَانِي اللَّهُ وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، بَخَاءٍ نِي شَيْءٍ مِثْلَ  
 الرِّيحِ فَدَخَلَ فِي رَأْسِي، فَلَمَّا صَارَ فِي جَسَدِي حَيِّيتُ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ فَوْقَكَ،  
 فَشَخَّصْتُ<sup>(٢)</sup> بَبَصْرِي وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَجُلٍ شَابٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ  
 نَحِيفِ الْجَسَمِ أَبْيَضٍ يَخَالُطُهُ حَمْرَةٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ يَشْفَعُ لَهُؤُلَاءِ الرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ ، يَعْنِي  
 عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيَّ رَهْطٍ تَعْنِي؟ . قَالَ : هَذَا الشَّيْخُ الْأَجْلَخُ<sup>(٣)</sup>،  
 وَهَذَا الْكَهْلُ الْأَنْزَعُ<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا الْفَتَى الرَّجُلُ<sup>(٥)</sup> . فَمَا زَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي الدَّعَاءِ حَتَّى شَفَعُوا،  
 وَالشَّافِعَ لَهُمْ مُصْنِعٌ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِهِ كَأَنَّهُ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ فَيَدْعُو بِهِ . فَلَمَّا  
 فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَ : إِنِّي أَحْذَرُكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ مِثْلَ مَا كُنْتُ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ  
 عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَشِمْعُونُ وَبُولُسُ وَيُوحَنَّا . قَالَ شِمْعُونُ : اعْتَصَمْنَا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلْنَا  
 عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ الْمَلِكَ بِخَبْرِهِ وَخَبَرَ أَصْحَابَهُ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَلَّى . وَكَانَ الْمَلِكُ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ فِي عُصْبَةٍ يَسِيرَةٍ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ  
 صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ .

- قَالَ : وَكَانَ قَدْ نُبِئَ إِلَى الدَّهْقَانِ أَبْنَاهُ ، وَكَانَ اسْمُ الدَّهْقَانِ حَبِيبَ النَّجَّارِ ،  
 ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ جَاءَتْهُ الْبَشَارَةُ بِحَيَاةِ ابْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُهُ، وَأَخْبَرَ خَيْرَ الْخَوَارِيِّينَ ،  
 (١) أَرُوحُ : أَنْتَن . (٢) شَخَّصَ بَصْرَهُ وَبَبَصَرَهُ : رَفَعَهُ . (٣) الْأَجْلَخُ : الَّذِي  
 انْحَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي رَأْسِهِ . (٤) الْأَنْزَعُ : الَّذِي انْحَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبِي جِهَتِهِ .  
 (٥) الرَّجُلُ (بِسُكُونِ الْجِيمِ) : الَّذِي شَعْرُ رَأْسِهِ بَيْنَ السَّبُوطَةِ وَالْجُعُودَةِ .

فآمن بهم قبل أن يراهم ، فأقبل مسرعا . فلما قص عليه ابنه قصته ازداد  
إيمانا ويقينا . قال وهب : فيقال — والله أعلم — إن هذا هو الذى ذكره  
الله تعالى فى قوله : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا <sup>(١)</sup>  
الْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية . فأوجب الله له بكلامه الجنة ، وخير أن يعمر هو وأبنة مائة عام  
أو يعجل بهما الى الجنة ، فأختارا الجنة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَتَذَكَّرُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ <sup>(٢)</sup>  
إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ <sup>(٣)</sup> لِّمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ لَ يَنْزِلْ بِهِ سُحُوبٌ مِّنْ ثَمَرٍ ذَرْبُهَا فَالِقٌ لِّلْجِبَالِ كَالْإِبْرَةِ الَّتِي يُسْفِثُهَا السَّيِّدُ الْغَوَّاسُ ﴾ الآية . قال : ولم يزل يجاهد قومه قبل أن تأخذهم الصيحة  
ويدعوهم الى الله حتى قتلوه ، فقبل له : ادخل الجنة ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا <sup>(٣)</sup>  
غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ .

٧٢  
٢

### ذكر خبر توما الحواري مع ملك الهند وإيمانه به

قال الكسائي قال وهب : وجاء توما الى أرض الهند والسند . فبينما هو يتردد  
على ساحلهم إذا هو بغلام لملك الهند يقال له حيّان ، وكان تاجرا . فأتاه توما فقال  
له : هل لك أن تبتاعني للملك ؟ فقال له حيّان : من أنت أيها الرجل الكريم ؟  
قال له توما : إني كنت عبدا مملوكا فاعتقني سيدي وأمرني بالطلب لنفسى ، فلم  
أصادف من الحرّية ما كنت أظن ، وكان حالى يوم كنت عبدا خيرا منه اليوم  
وأحسن . فقال له حيّان : ما أرى عليك ميسم العبودية ، وإني لأرى عليك أثر الخير ،  
ثم قال له : ما الذى تُحسّن من الأعمال ؟ قال : أعمل سائر الأعمال . فأشتراه بثلاثمائة  
مثقال من الذهب وأنطلق به الى الملك . فلما رآه أجلّه وعظمه ، وسأل التاجر عنه  
فأخبره أنه اشتراه على أن يعمل سائر الأعمال . فقال له الملك : أريد أن تبني لى

(٢) سورة يس آية ٢٣

(١) سورة يس آية ٢٠

(٣) سورة يس آية ٢٧

- قصرًا لم يُعمل مثله لأحد قط . قال توما : لك ذلك على ، ولكن أرضك حارة ، وإذا بُنيَ في زمن الحَر كان حارًا لا يُسكن من حرّه ، وكذلك في زمن البرد يكون باردًا ، وإني لأرى أن يُعمل في زمن الاعتدال ، فوافقه الملك على رأيه . وعرض للملك غزاةً نخرج إليها واستخلف أخاه على الملك ، وأمره أن يدفع ثُومًا ما يحتاج إليه من الأموال للنفقة على القصر ، فصرف له أموالًا كثيرة ، ففرقها توما في الفقراء والمساكين حتى أغناهم ، ثم مرض أخو الملك مرضًا شديدًا وغاب عن حسّه وحركته سبعة أيام . فقدم الملك وهو على تلك الحال ، فلمَّا ردَّ الله عليه رُوحه قال الملك لتوما : ما فعلت في القصر ؟ قال : قد فرغت منه . فقال الملك لأخيه : ما الذي أعطيتَه من مالى ؟ قال : جميع ما في بيت مالك . قال : فهل رأيت القصر ؟ قال : إنه قبض منى المال ثم اشتكيت فقلت لتوما : أين بنيت هذا القصر ؟ قال : بنيته لك في السماء . قال : وكيف لي بسُلم أنال به السماء ؟ قال : تنال السماء بالسُلم الذى نالها به أخوك . فقال له أخوه : اسمع منى أيها الملك أُخبركَ بالعجب ؛ فإنك لو تعلم ما أدخل عليك هذا الرجل من الخير وصرف عنك من الشر لقبلت قدميه وجعلته فوق رأسك . قال : أخبرنى خبره .
- قال : أخبرك أن الله عزَّ وجلَّ عرج بروحى ، فعرضنى على النار فرأيتُ أمرا عظيما ١٥ مهولا ووصفه لأخيه ، ووصف له صفة ما يُعَذَّب به أهل الشرك بالله وعبدة الأوثان . قال : ثم قيل لى : إن الله عرضك على النار فأراك ما رأيت لتكون لمن خلّفتك نذيرا ، وسيريك الجنة ، لتبشّر بها قومك ، ولتُخبر من خلّفتك بما رأيت . قال : فأدخلتُ الجنة فرأيت كذا وكذا ، ووصف الجنة ونعيمها وما فيها . قال : وآتيتُ إلى قصر عظيم من أعظم قصورها وأبوابه مغلقة ، فقلت لخزنة الجنة : إني أحب ٢٠ أن أشاهد باطن هذا القصر فإني لم أر مثله . قالوا : إن صاحبه الآن في الدنيا

ومفاتيحه عند ملك من الملائكة . قلت : فلمن أدخِر هذا القصر ؟ قالوا : هذا لأخيك فلان وهو الآن في الدنيا ، وعنده رسول من عند الله يقال له توما الحواريّ من حوارتي عيسى بن مريم . فإذا رجعت إليه فبشّره وأخبره أنه القصر الذي بناه له توما في السماء ، وأنفق فيه بيت ماله . ثم ردّ الله بعد ذلك على رُوحى ، وأنت تعلم يا أنخى أن لى شَطْر مالك ومُلْكك وخزائنك ، وتعلم ما لى بعد ذلك من الأموال والخزائن ، وأنا أعطيك جميع ذلك على أن تُعطيني قصرك الذي رأيته لك في الجنة . قال : يا أنخى ، ما كنتُ لأُعطيك الباقي بالفانى . ثم أقبل على توما وآمن به هو وأهل مملكته ، ولم تزل تلك الأمة على دين عيسى حتى أبادها الموت .

### ذكر خبر لُوقا الحواريّ مع ملك فارس

٧٣  
٢

١٠ قال : وأصبح لُوقا على باب مدينة من مدائن فارس ، وهى التى يسكنها الملك ، فإذا غلبان من أبناء الملوك وأبناء الوزراء جلوسٌ على قارعة الطريق يلعبون . بفلس الحواريّ الى جانب غلام منهم وسأله كيف يلعب ، فغلب جميع أولئك . فلما تفرّقوا دعاه الغلام الى منزله ، فقال له : اذهب الى أبيك واستأذنه فى ذلك . فأنطلق الغلام الى أبيه وأخبره بنجر الشيخ ، فأذن له أن يأتيه به ، فرجع اليه وقال له : إن أبى يدعوك ، فأقبل معه . فلما وجَّع باب الدار قال : بأسم الله ، فخرج كل شيطان فى الدار ، وصاحبُ الدار ينظر الى ذلك ، وكانت الشياطين تظهر لهم وتُشاركهم فى طعامهم وشرابهم ، فعجِب صاحب الدار من ذلك . وقُدِّم الطعام فأقبلت الشياطين لتأكل على عاداتها ، فقال لُوقا : بأسم الله ، فنفّرت الشياطين وفرت من الدار . فقال الشيخ : قد رأيتُ منك اليوم ما لم أره من أحد ، وإن لك لشأنا ، وخلا به وقال : لا بد أن تُخبرنى خبرك ولا تكتمنى أمرَك . قال : على أن تكتمه ولا تذكره إلا أن

- آذَنَ لَكَ ، قَالَ نَعَمْ . فَاسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ لَوْ قَا : أَخْبِرْنِي أَيْ مَالِ الْمَلِكِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : مَا شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعْجَبَ عِنْدَهُ مِنْ بَرْدُونٍ حَتَّى إِنَّهُ يَرْكَبُهُ مِنْ سَرِيرِهِ . ثُمَّ أَقَامَ مَدَّةً ، فَقُدِّمَ الْبَرْدُونُ إِلَى الْمَلِكِ لِيَرْكَبَهُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى جَانِبِ السَّرِيرِ خَرَّ مَيِّتًا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَآلَمَهُ وَقَالَ : وَدِدْتُ لَوْ فَدَيْتُهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ ، وَحَزِنَ جِلْسَاءُ الْمَلِكِ وَخَوَاصُّهُ لِحُزْنِهِ . قَالَ : وَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى لَوْ قَا وَقَدْ حَزِنَ الْحُزْنَ الْمَلِكُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ فذَكَرَ لَهُ قِصَّةَ الْبَرْدُونِ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ وَقُلْ لَهُ : إِنِّي أَحْيَيْتُهُ لَهُ إِنْ أَطَاعَنِي فِيمَا أَقُولُ . فَرَجَعَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا عَبَّرَ إِلَى مَنْزِلِي نَفَرْتُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَلَمْ تَطْعَمْ مِنْ طَعَامِنَا ، وَكَانَتْ تَأْكُلُ مَعَنَا قَبْلَ ذَلِكَ وَتَشْرَبُ كَمَا عَلِمْتَ ، وَقَدْ قَالَ :
- ١٠ إِنْ أَطَاعَنِي الْمَلِكُ أَحْيَيْتُ لَهُ بَرْدُونَهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ نَفْسِي لَتَطْيِبُ بِكُلِّ شَيْءٍ أَحْيَيْ بِهِ هَذَا الْبَرْدُونُ ، فَعَمِلَى بِالرَّجُلِ ، فَأَحْضَرَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ لَمْ يَبْقَ بِهَا شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ . ثُمَّ جَلَسَ لَوْ قَا إِلَى جَانِبِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، فَأَحْيِ لِي بَرْدُونِي هَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَطَعْتَنِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ أَحْيِ بَرْدُونَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : مُرْنِي بِمَا شِئْتِ . قَالَ : أَدْعُ ابْنَكَ وَأَمْرَأَتَكَ ، وَكَانَ ابْنُهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ وَأَمْرَأَتُهُ مِنْهُ بِمَكَانٍ ، فَدَعَاهُمَا ، فَأَخَذَ لَوْ قَا بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْبَرْدُونِ ، وَكَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ وَابْنِهِ وَأَمْرَأَتِهِ بِقَائِمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ الْحَوَارِيُّ بِالْفَارَسِيَّةِ : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، أَحْيِ هَذَا الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِي » فَتَحَرَّكَ ذَلِكَ الْعَضْوُ . ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ : قُلْ كَمَا قُلْتُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ مِثْلَ قَوْلِهِ . فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهِ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ : قُلْ كَمَا أَقُولُ ، فَقَالَ :
- ٢٠ فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الثَّالِثُ ، ثُمَّ قَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : قُولِي كَمَا قُلْتُ ، فَدَعَتْ بِدَعَائِهِ ، فَتَحَرَّكَ الْعَضْوُ الَّذِي فِي يَدِهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : قُولُوا جَمِيعًا كَمَا أَقُولُ ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ : «اللَّهُمَّ

ربّ السموات والأرض خالق السموات والأرض وما فيهما لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أحي هذا البرذون» . فقام البرذون حياً ينفُض ناصيته . فعجب الملك والناس من ذلك . وسأله الملك عن خبره فأخبره أنه رسول عيسى بن مريم إليه وإلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، فأمنوا به . وقد قيل : إن الذي أرسل إلى أرض فارس متى الحواري ، وإنه لما دخل على الملك كان الملك سكرانا ، فلما أحي الفرس أمر الملك أصحابه بقتل متى فقتلوه . فلما أفاق الملك من سكره سأل عنه فقيل له : إنك أمرت بقتله فقتلناه ، فقال : ما علمتُ بذلك . فقاموا إليه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . ويقال : إن الله تعالى بعد دفنه خسف بالملك وأولاده وأهله . والله أعلم . ولتصل أخبار الحواريين بنجر جرجيس وإن لم يكن منهم ، فقد كانت له قصة عجيبة تلتحق بهم .

### ذكر خبر جرجيس رحمة الله عليه

٧٤  
٢

قال أبو اسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في كتابه المترجم : «يواقيت البيان في قصص القراء» بإسناده عن وهب بن منبه قال : كان بالموصل ملك يقال له داديه ، وكان قد ملك الشام كله ودان له أهله ، وكان جبارا عاتيا ، وكان يعبد صنما يقال له أفلون ، وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارتي عيسى عليه السلام ، وكان تاجرا عظيما كثير المال عظيم الصدقة ، وكان لا يأمن ولاية المشركين

(١) في الطبري (ص ٧٩٦ من القسم الأول) : « داذانه » وقد أشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ « دادايه » و « دازانه » . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوربا) « دازانه » وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ « رازانه » .

- عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه . نخرج يريد الموصِل<sup>(١)</sup> ومعه مال يريد أن يهديه إليه حتى لا يجعل لأحد من الملوك عليه سلطانا دونه . فجاءه حين جاءه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب وأوقد نارا، فمن لم يسجد لصنمه أُلقي في النار . فلما رأى جرجيس ذلك قُطِع به وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده، وألقى الله تعالى في نفسه بغضه ومجاهدته . فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال . ثم أقبل عليه وقال له : إنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك، وإن فوقك رباً هو الذي ملكك وغيرك، وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك، وإنك عمدت إلى خلق من خلقه قال له : كن، فكان أصم أبكم لا ينطق ولا يسمع ولا يغنى عنك من الله شيئا، فزيّنته بالذهب والفضة فتنة للناس، ثم عبدته من دون الله. فكان من جواب الملك إياه أن سألته عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو . فأجابه جرجيس : أنا عبد الله وأبن عبده وأبن أمته أذل عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلقت واليه أصير . فقال له الملك : لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرئي عليك أثره كما رئي أثرى على من حولى وفي طاعتي . فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره وقال : أتعديل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يغنى عنك شيئا برب العالمين الذي قامت السموات والأرض بأمره ! . أو تعديل طرقلينا<sup>(٢)</sup> وما نال بولايتك فإنه عظيم قومك بما نال إلياس

(١) الموصل : مدينة بأرض الجزيرة على نهر دجلة على جانبه الغربي، قديمة العهد لا يعلم من بناها . وفي قبالتها على البر الشرق منها أطلال مدينة نينوى قاعدة ملك آشور ، وهي التي أرسل إليها النبي يونس عليه السلام . وكانت قاعدة ملك بنى حمدان ، ثم انتقلوا منها إلى حلب ، ثم كانت قاعدة الدولة الزنكية . (راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٢) في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) : «طرقلينا» . وأشار مصححه في الهامش إلى أنه ورد في بعض النسخ : «طرقلينا» . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٢٦٤ طبع أوروبا) : «طرقلينا» .

بولاية الله تعالى ؛ فإن إلياس كان في بدء أمره آدمياً يأكل الطعام ويمشي  
في الأسواق فلم تزل به كرامة الله تعالى حتى أنبت له الريش وألبسه النور فعاد  
إنسياً ملكاً سماوياً أرضياً يطير مع الملائكة ! أم تعدل مَخْلُطِيس<sup>(١)</sup> وما نال بولايتك  
فإنه عظيم قومك ، بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فإن الله فضله على رجال  
العالمين وجعله [وأمه] آية للمعتبرين ! أم تعدل أمر هذه الروح الطيبة التي اختارها  
الله لكلمته وسودها على إمانه وما نالت بولاية الله تعالى ، بأزبيل<sup>(٢)</sup> وما نالت بولايتك  
فإنها كانت من شيعتك وعلى ملتك ، فأسلمها الله مع عظم مَلِكْهَا حتى أقتحمت عليها  
الكلاب في بيتها فأتهشت لحمها وولغت في دمها ، وقطعت الضباع أوصالها ! .  
فقال الملك : إنك لتحدثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأتني الرجلين اللذين ذكرت أمرهما  
حتى أنظر إليهما ، فإنني أنكر أن يكون هذا من البشر . قال له جَرَجِيس : إنما جاءك  
الإنكار من قبل الغيرة بالله تعالى . وأما الرجلان فلن تراهما ولا يريانك إلا أن تعمل  
بعملهما فتتزل منازلهما . فقال له الملك : أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك  
لأنك نخرت بأمور عجزت عنها . ثم خيره الملك بين العذاب وبين السجود لأفلون .  
فقال جَرَجِيس : إن كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أصبت ، وإلا  
فاخسأ أيها النجس الملعون . فلما سمعه الملك غضب وسبه وسب إلهه وأمر بنخشة  
فُنْصِبَتْ له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده  
وعروقه ، ونضح خلال ذلك الخلل والخردل ، فحفظه الله تعالى من ذلك الألم والهلاك .  
فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحميت ، حتى إذا جُعِلَتْ ناراً سمر

(١) في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) : « مجليطيس » . وأشار مصححه في الهامش إلى

أنه ورد في بعض النسخ : « مجليطيس » و « مجليطيس » و « مجليطيس » . وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٢٦٥) : « مجليطيس » . (٢) زيادة عن النعالي .

(٣) كذا في الطبري (ص ٧٩٨ من القسم الأول) والنعالي . وفي الأصول : « بأزبيل » .



- بها رأسه حتى سال دماغه ، فحفظه الله من الألم والهلاك . فلما رأى ذلك لم يقتله  
 أمر بحَوْض من نحاس وأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في جـوفه  
 وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد [حرته] <sup>(١)</sup> . فلما رأى أن ذلك لم يقتله دعا به فقال :  
 يا جرجيس ، أما تجد ألم هذا العذاب الذى تُعَذِّب به ؟ فقال : إن ربى الذى  
 أخبرتك به حمل عني [ألم العذاب] <sup>(١)</sup> وصبرنى لأختج عليك . فلما قال له ذلك أيقن الملك  
 بالشر وخافه على نفسه ومملكه ، وآجتماع رأيه أن يخلِّده فى السجن . فقال له الملاء من  
 قومه : إنك إن تركته طليقاً فى السجن [يكلم الناس] يوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن  
 مر له بعذاب فى السجن يشغله عن كلام الناس . فأمر به فبطح [فى السجن] <sup>(١)</sup> على  
 وجهه ثم أوتد <sup>(١)</sup> [له] فى يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد [فى كل ركن منها وتد] ، ثم أمر  
 بأسطوان من رخام فوضع على ظهره ، وحمل ذلك الأسطوان ثمانية عشر رجلاً ، فظل  
 يومه [ذلك] <sup>(١)</sup> موتداً تحت الحجر . فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى [إليه] <sup>(١)</sup> ملائكة فقلع  
 عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وسقاه وبشره وعزاه . فلما أصبح أخرجه من  
 السجن وقال له : الحق بعدوك بخاهده فى الله حق جهاده ، فإن الله يقول لك :  
 أبشر واصبر فإننى قد ابتليتك بعدوك هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع  
 مرات ، فى كل ذلك أرد إليك روحك ، فإذا كانت الرابعة تقبلت روحك  
 وأوفيتك أجرك . قال : فلم يشعر الملك وأصحابه إلا وجرجيس قد وقف على  
 رؤوسهم وهو يدعوهم إلى الله تعالى . فقال له الملك : يا جرجيس من أخرجك  
 من السجن ؟ قال : أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك  
 مليء غيظاً ودعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً . فلما رآها جرجيس أوجس  
 فى نفسه خيفة وفزعا منها ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون .

(١) زيادة عن النعلى .

- فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتين ثم وضعوا سيفاً على مفرق رأسه  
فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار قطعتين ، فعمدوا إلى أجزائه فقطعوها  
قطعا ، وللملك سبعة أسود ضارية ، وكانوا صنفا من أصناف عذابه ، فرموا بجسده  
إليها . فأمرها الله تعالى نخضعت له برءوسها وأعناقها وقامت على براثنها ، فظل  
يَوْمه ذلك ميتا وهي أول موتة ماتها . فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذي  
قطعوه بعضه إلى بعض حتى سواه ، ثم ردّ الله تعالى إليه روحه وأرسل ملكا  
فأخرجه من قعر الجُبّ فأطعمه وسقاه وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له  
الملك : يا جرجيس ، قال : آبيك ! قال : اعلم أن القدرة التي خلق الله تعالى بها آدم  
من التراب هي التي أخرجتك من قعر الجُبّ ، الحقّ بعدوك وجاهدك في الله حق  
جهاده ومُت موت الصابرين . فلم يشعُر الملك وأصحابه إلا وقد أقبل جرجيس  
وهم في عيد لهم عكُوفٌ عليه صنعوه فرحا بموت جرجيس . فلما نظروا إليه وقد أقبل  
قال الملك : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو . قال الملك : ما بجرجيس  
من خفاء إنه لهو ، ألا ترون إلى سكون ريجيه وقلة هيئته . قال جرجيس :  
أنا هو ، بئس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم فأحياني الله بقدرته ، فهلمّوا إلى هذا الرب  
العظيم الذي أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم على بعض وقالوا :  
ساحرٌ سحر أعينكم . وجمعوا من كان ببلادهم من السحرة . فلما جاءوا قال الملك  
لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما يُقرّ عيني . قال : ادعُ لي بشور من البقر .  
فلما أتى به نفث في إحدى أذنيه فأنشقت بأنثنتين ، ثم نفث في الأخرى فإذا هو  
ثوران ، ثم دعا ببذر خُيرث وبُذر ، فشبّ الزرع وأستحصد ، ثم دُرس وذُرِيَ وطُحِن  
وُجِن وخُيز ، كلّ ذلك في ساعة واحدة . فقال الملك : هل تقدّر أن تمسخه لي  
دابة ؟ قال الساحر : أي دابة أمسخه لك ؟ قال : كلبا . قال : ادعُ لي بقَدَح من ماء .

فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال : اعزِمُ عليه أن يشربه ، فشربه بِحَرْجِيسٍ حتى أتى على آخره . فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلا خيرا ، قد كنتُ عطِشْتُ فلطف الله بي بهذا الشراب فقوّانى به عليكم . فأقبل الساحر على الملك فقال له : اعلم أيها الملك إنك لو كنت تقاسى رجلا مثلك إذا لقد كنت غلبته ، ولكنك تُقاسى جبار السموات والأرض . وهو الملك الذى لا يرام .

- قال : وكانت امرأةٌ مسكينةٌ من أهل الشام سمعت بِحَرْجِيسٍ وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا حَرْجِيسُ ، إني امرأةٌ مسكينةٌ ولم يكن لى مَالٌ إلا ثورا أحْرث عليه فمات ، فحُتِكَ لترحمنى وتدعو الله تعالى أن يُحيى لى ثورى . فذرفت عيناه ، ثم دعا الله تعالى أن يُحيى لها ثورها ، وأعطاهَا عَصًا وقال لها : اذهبي الى ثورك فاقريه بهذه العصا وقولى له : اِخَى بِإِذْنِ ١٠  
الله . فقالت : يا حَرْجِيسُ ، مات ثورى منذ أيام ومزقته السباع ، وبينى وبينه أيام . فقال : لو لم تجدى منه إلا سَنًا واحدة ثم قرعتهما بالعصا لقام بإذن الله تعالى . فأطلقت حتى أنت مَصْرَعَ ثورها ، وكان أولُ شيء بدا لها أحد رَوْقِيهِ وشعر أذنيه ، فجُمِعَت أحدهما الى الآخر ثم قرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها ، فقام الثور بإذن ١٥  
الله تعالى وعَمِلَت عليه . قال : فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم من بعد الملك ، إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السحر ، وإنكم عَذَّبْتُمُوهُ فلم يصل اليه عذابكم ، وقتلتموه فلم يَمُتْ ، فهل رأيتم ساحرًا يدرأ عن نفسه الموت وأحيا ميتًا قط ؟ فقالوا له : إن كلامك لكلام رجلٍ قد صغى إليه فلعله استهواك . فقال : بل آمنتُ بالله ، وأشهدوا أنى برىء مما تعبدون . فقام اليه ٢٠  
الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه . فلما رأى القوم ذلك لتبع حَرْجِيسٍ أربعة آلاف رجل . فعمد اليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يعذبهم بأنواع العذاب حتى أفناهم . فلما

فرغ منهم قال لجرجيس : هَلَّا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قُتلوا  
بجريرتك ! . فقال له جرجيس : ما خُلِّي بينك وبينهم حتى حان لهم . فقال رجل من  
عظماء أصحابه يقال له مَحْلَنْطِيس : إنك زعمت يا جرجيس أن إلهك هو الذي يبدأ  
الخلق ثم يُعيدُه ، وإني سألك أمرا إن فعله إلهك آمنتُ بك وصدقتك وكفيتك ،  
إن حولنا أربعة عشر كرسيًا ومائدة ، وبيننا أقْداحٌ وصحافٌ وهي من أشجار شتى ،  
فادعُ إلهك ينشئ هذه الكرسي والأواني كما بدأها أول مرة حتى تعود خضراء يُعرف  
كُلُّ عود منها بلونه وورقه وزهره . فقال له جرجيس : قد سألت أمرا عزيزا على  
وعليك ، وإنه على الله لهيِّن ، ودعا الله عز وجل ، فما برحوا من مكانهم حتى أخضرت  
تلك الكرسي والأواني كلها وساخت عروقها وألبست اللحاء وتشعبت فأورقت  
وأزهرت وأثمرت . فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مَحْلَنْطِيس الذي تَمَنَّى عليه ما تَمَنَّى  
فقال : أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يَضِلُّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه  
صورة ثور أجوف واسع ، ثم حشاه نَفْطًا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ، ثم أدخل جرجيس  
مع الحشو في جوفه ، ثم أوقد تحت الصورة حتى أَلْتَهَبَتْ وذاب كل شيء فيها  
وآخِطَ ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله عز وجل ريحا عاصفا  
فملأت السماء سحابا أسودَ مظلمًا ، فيه رعد وبرق وصواعق ، وأرسل الله تبارك  
وتعالى إعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى آسود ما بين السماء والأرض ،  
ومكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار ، وأرسل الله  
تعالى ميكائيل فأحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض  
ففزع من روعها أهل الشام أجمعون نَحَرُوا على وجوههم صَعِقِينَ ، وأنكسرت  
الصورة فخرج منها جرجيس حيًا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين  
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل يقال له طَرْفَلِينَا : لا ندري

- يا جرجيس أنت تصنع هذه الأعاجيب أم ربك ! فإن كان ربك هو الذى يصنع هذا فأدعه يُحي موتانا ؛ فإن فى هذه القبور أمواتا منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف .
- فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويرىكم هذه الأعاجيب إلا كانت عليكم حجة ، فتستوجبوا غضبه ، ثم أمر بالقبور فنُبشت وهى عظام رفات وأقبل على الداء ، فلما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر إنسانا : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ، واذا فيهم شيخ كبير . فقال له جرجيس : يا شيخ ، ما اسمك ؟ فقال : يا جرجيس اسمى نوبيل . قال : متى مِت ؟ قال : فى زمان كذا وكذا . فحسبوا فإذا هو مات منذ أربعين سنة . فلما نظر الملك وأصحابه الى ذلك قالوا : ما بقي من أصناف العذاب شىء إلا وقد عذبتموه به إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة ، وكان لها ابن أعشى أصم أبكم مقعد ، فحصره فى بيتها ولا يصل اليه من عند أحد طعام ولا شراب . فلما بالغ به الجوع قال للعجوز : هل بقي عندك من طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذى يُخالف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا ، وسأخرج ألتمس لك شيئا . فقال لها جرجيس : هل تعرفين الله تعالى ؟ قالت نعم . قال : فإياه تعبدين ؟ قالت لا . فدعاها الى الله عز وجل فصدقته ، وانطلقت تطلب له شيئا ، وفى بيتها دعامه من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الداء ، فاخضرت تلك الدعامه وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تُعرف ، حتى كان فيها اللوبيا واللبن<sup>(١)</sup> مثل البردى يكون بالشام ، وظهر للدعامه فروع من فوق البيت أظلمته وما حوله . فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا . فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت : آمنت بالذى أطعمك ، فادع هذا الرب العظيم ليشفى أبنى . قال : أدنيه منى ، فأدنته ، فبصق

٧٧  
٢

(١) كذا فى التعليل . وفى الأصول : « وآليا وهو شىء يكون بالشام الخ » .

في عينيه فأبصر ، ونفث في أذنيه فسمع . قالت له : أطلق لسانه ورجليه رحماك  
 الله . قال : خذيه فإن له يوما عظيما . وخرج الملك يوما ليسير في مدينته ، إذ وقع بصره  
 على الشجرة ، فقال : إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرف فيها به . قالوا : تلك شجرة  
 نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ، فهو فيما شاء وقد شبع منها  
 وأشبع المجوز الفقيرة وشفى لها أبنا . فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة لتقطع .  
 فلما هموا بقطعها أيسسها الله تعالى وردّها كما كانت أول مرة ، فتركوها . وأمر  
 بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد ، وأمر بعجلة وأوقرها أسطوانا  
 وجعل في أسفل العجلة خناجر وشفارا ، ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجلة  
 نهضة واحدة وجرجيس تحتها ، فأنقطع ثلاث قطع ، فأمر بقطعها فأحرقت بالنار ، حتى  
 إذا عادت رمادا بعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه في البحر ، فلم يبرحوا  
 من مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء : يا بحر ، إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك  
 من هذا الجسد الطيب ، فإنّي أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله تعالى الريح  
 فأخرجته ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة كهيئته قبل أن يذروه ؛ فخرج منه جرجيس  
 مغبرا ينفض رأسه ، فرجعوا ورجع جرجيس ، فأخبروا الملك خبر الصوت [الذي  
 سمعوا] والريح التي جمعته ، فقال : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه ؟  
 ولولا أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لأتبعتك وآمنت بك ، ولكن اسجد لأفلون  
 سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ، ثم إني أفعل ما يسرك . فقال له : نعم ، مهما شئت  
 فعلت ، فأدخلني على صنمك . ففرح الملك بقوله فقام وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال : إني  
 أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم إلّا عندي ، ولا تبيت هذه الليلة إلّا في بيتي وعلى  
 فراشي ، حتى تستريح ويذهب عنك وصَب العذاب ، ويرى الناس كرامتك علي ،

- فأخلى له بيت فظل فيه جرجيس ، حتى اذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور ، وكان أحسن الناس صوتا . فلما سمعت امرأة الملك استجابت له ، فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها جرجيس الى الإيمان فأمنت به ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به الملك الى بيت الأصنام ليسجد لها . [ وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها : هل علمت أن جرجيس قد فتن بعبدك فأصغى الى الدنيا وقد خرج به الملك الى بيت أصنامة ليسجد لها <sup>(١)</sup> ] فخرجت العجوز تحمل آبنها على عاتقها وتوئج جرجيس والناس مشغولون عنها . فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظر فإذا العجوز وآبنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما ، فدعا آبن العجوز بأسمه فنطق وأجابه ولم [ يكن <sup>(١)</sup> ] يتكلم قبل ذلك ، ثم أقبحم عن عاتق أمه يمشى على رجليه وهما مستويتان وما وطئ على الأرض قبل ذلك قط . فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب فادع لي هذه الأصنام وهي حينئذ سبعون صنما على منابر من ذهب ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها . فقال له الغلام : كيف أدعو الأصنام ؟ قال : قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا أجبتيه . قال : فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تدحرج الى جرجيس ، فلما انتهت اليه ركض الأرض برجله نحسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربا فرقا من الحسف ، فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته ، نحضه له وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيها الروح النجسة والخلق الملعون ، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس وأنت تعلم أنك وجنك تصيرون الى جهنم ؟ فقال له إبليس : لو خربت بين ما أشرقت عليه الشمس وأظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته طرفة عين لأخترته على ذلك كله ، وإنه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلاق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى

(١) زيادة عن النعابي .

٧٨  
٢

أَسْجُدْ لِأَبْنَيْكَ آدَمَ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ وَأَمْتَنَعْتُ أَنَا مِنَ السَّجُودِ وَقُلْتُ  
 أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ! . فَلَمَّا قَالَ هَذَا أَخْلَاهُ جَرَجِيسُ . فَمَا دَخَلَ إِبْلِيسُ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ  
 جَوْفَ صَنْمٍ وَلَا يَدْخُلُهُ بَعْدَهَا فِيمَا يَذْكُرُونَ أَبَدًا . [ فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا جَرَجِيسُ خَدَعْتَنِي  
 وَغَدَرْتَنِي وَأَهْلَكْتَ آلَهُتِي . ] فَقَالَ جَرَجِيسُ لِلْمَلِكِ : إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِتَعْتَبِرَ وَلِتَعْلَمَ  
 أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ آلِهَةٌ لَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي فَكَيْفَ ثَقَلْتُكَ - وَيَلِكُ - بِآلِهَةٍ لَمْ تَمْنَعْ أَنْفُسَهَا مِنِّي !  
 وَإِنَّمَا أَنَا مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنِي رَبِّي . فَلَمَّا قَالَ جَرَجِيسُ هَذَا كَلَّمَتْهُمْ  
 أَمْرَأَةُ الْمَلِكِ وَكَشَفَتْ لَهُمْ إِيْمَانَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَيْهِمْ [ أَعْمَالَهُمْ ]<sup>(١)</sup> أَفْعَالِ جَرَجِيسِ وَالْعِبَرِ الَّتِي  
 أَرَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَتْ لَهُمْ : مَا تَنْتَظِرُونَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ إِلَّا دَعْوَةً فَيُخَسِّفُ اللَّهُ  
 بِكُمْ الْأَرْضَ كَمَا خَسَفَ بِأَصْنَامِكُمْ . اللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ فِي أَنْفُسِكُمْ ! . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ :  
 وَيَحْكِيكَ يَا سَكَنْدَرَةُ ! مَا أَسْرَعَ مَا أَضْلَكَ هَذَا السَّاحِرُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَا أَقَاسِيهِ  
 مِنْذُ سَبْعِ سِنِينَ فَلَمْ يُظْفَرْ مِنِّي بِشَيْءٍ قَطَّ ! فَقَالَتْ : أَمَّا رَأَيْتَ اللَّهُ كَيْفَ يُظْفَرُهُ بِكَ  
 وَيَسْلُطُهُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ لَهُ الْفَلَجُ وَالْحِجَّةُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ مَوْطَنٍ ! . فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ  
 خُيِّلَتْ عَلَى خَشْبَةِ جَرَجِيسِ الَّتِي كَانَ عَايَهَا عُلَّقَ ، وَحُمِلَتْ عَلَيْهَا الْأَمْشَاطُ الَّتِي جُمِعَتْ  
 عَلَى جَرَجِيسِ . فَلَمَّا تَأَلَّمَتْ قَالَتْ : ادْعُ رَبَّكَ يَا جَرَجِيسُ فَيُخَفِّفْ عَنِّي فَإِنِّي قَدْ  
 أَلَمْتُ الْعَذَابَ . فَقَالَ لَهَا : انْظُرِي فَوْقَكَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ ضَحِكَتْ . فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي  
 يُضْحِكُكَ ؟ قَالَتْ : أَرَى مَلَكَيْنِ فَوْقَ مَعِيهِمَا تَاجٌ مِنْ حُلِيِّ الْجَنَّةِ يَنْتَظِرَانِ بِهِ رُوحِي  
 أَنْ تَخْرُجَ . فَلَمَّا خَرَجْتُ أَتَيْتُ بِذَلِكَ التَّاجِ ثُمَّ صَعِدَا بِي إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَلَمَّا  
 قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهَا أَقْبَلَ جَرَجِيسُ عَلَى الدَّعَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَكْرَمْتَنِي بِهَذَا  
 الْبَلَاءِ لِتُعْطِيَنِي فَضَائِلَ الشُّهَدَاءِ ، فَهَذَا آخِرُ أَيَّامِي الَّتِي وَعَدْتَنِي فِيهِ الرَّاحَةَ مِنْ بَلَائِكَ ،  
 فَإِنِّي أَسْأَلُكَ إِلَّا تَقْبِضَ رُوحِي وَلَا أَرْوَلَ مِنْ مَكَانِي هَذَا حَتَّى تُنْزِلَ بِهِؤْلَاءَ الْقَوْمِ مِنْ

١٠

١٥

٢٠



سطوتك ونقمتك مالا قبَل لهم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عيني، فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا بعدى دأج في بلاء وكرب فيذكرنى ويُسِير بِأَسْمَى إِلَّا فَرَجْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ وَأَجَبْتَهُ وَشَفَعْتَنِي فِيهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ هَذَا الدَّعَاءِ أَمَطَرُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ عَمَدُوا إِلَيْهِ وَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ غِيظًا عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ لِيُعْطِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقِتْلَةِ الرَّابِعَةِ مَا وَعَدَهُ . ثُمَّ احْتَرَقَتِ الْمَدِينَةُ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا وَصَارَتْ رَمَادًا ، فَحَمَلَهَا اللَّهُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا ، فَكَثِثَتْ زَمَانًا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا دُخَانٌ مُنْتَنٌ لَا يَشْمُهُ أَحَدٌ إِلَّا سَقِمَ سَقَمًا شَدِيدًا . وَكَانَ مِنْ آمَنَ بِجَرَجِيسَ وَقُبِّلَ مَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَامْرَأَةُ الْمَلِكِ . قَالُوا : وَكَانَ جَرَجِيسَ فِي أَيَّامِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ .

وحيث انتهى بنا القول في سرد ما شرحناه من قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وما اتصل بذلك من الأخبار؛ فلنذكر الآن التذييل الذي شرحناه في ترجمة هذا القسم للسبب الذي قدمناه . وبالله المستعان .

### التذييل على القسم الثالث من الفن الخامس

يشتمل على ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم الى الأرض ، وما يكون من الفتن والحروب ، وخروج من يخرج ويتغلب على البلاد ، وخروج المهديّ والدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم ، ووفاة عيسى بن مريم ، وما يكون بعده من أشراف الساعة ويوم القيامة والنفخ في الصور والحشر والمعاد . مما أورد إن شاء الله تعالى ذلك من كتب الحديث الصحيح النبويّ ، ومن كتاب المبتدا للكسائيّ ، ومن كتاب العاقبة للشيخ أبي محمد عبد الحق بن عبد الحق بن عبد الله الأزديّ الإشبيليّ على سبيل الاختصار .

## الباب الأول

من التذهيل على القسم الثالث من الفرق الخامس

في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم

ولنبداً بذكر الملاحم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ستصا لحكم الروم  
 صلحا آمنا ، ثم تغزون أتم وهم عدوا فتنتصرون وتغنمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلوا  
 بمرج ذى تلؤل ، فيرفع الرجل من أهل الصليب الصليب فيقول غلب الصليب ، فيغضب  
 رجل من المسلمين فيقوم اليه فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون للملحمة فيأتون  
 حينئذ تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا “ . وعنه صلى الله عليه وسلم :  
 ” اذا وقعت الملاحم بعث الله بعثا من الموالى هم أكرم العرب فرسا وأجوده  
 سلاحا يؤيد الله بهم الدين “ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” الملحمة  
 الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر “ . وعنه صلى الله عليه  
 وسلم : ” لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين ذلف الأنوف كأث وجوههم  
 المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر “ . وفي الحديث

- (١) أى عدوا آخرين بالمشاركة والاجتماع بسبب الصلح الذى بينكم وبينهم أو أنتم تغزون عدوكم  
 وهم يغزون عدوهم بالانفراد . (٢) الغاية هنا : الراية . (٣) وروى ابن ماجه أيضا  
 فى سننه ( ج ٢ ص ٢٧٥ ) : « بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال فى السابعة » .  
 (٤) الذلف ( بالتحريك ) : قصر الأنف وانبطاحه . وقيل : ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته .  
 (٥) المجان : جمع المجن وهو الترس . والمطرقة : هى التى ألبست طراقا ، أى جلدا يغشاها .  
 شبه وجوههم بالترس لبسطها وتدورها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة طمها ( راجع صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٤ ) .  
 (٦) نعالهم الشعر ، أى يتخذون النعال من الشعر . ويحتمل أن يراد أن ذوائبهم لطولها ولوصولها  
 الى أرجلهم كالنعال .

الآخر : ” إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه كأن وجوههم  
المجان المطرقة . وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما ينتعلون الشعر “ . وعنه  
صلى الله عليه وسلم : ” لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض  
الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون  
الدراق يربطون خيولهم بالنخل “ . <sup>(١)</sup> نخرج هذه الأحاديث ابن ماجه .  
٥

### ذكر خبر المتغلبين على البلاد

- وذلك مما يظهر من الفتن قبل نزول عيسى عليه السلام
- قال أبو الحسن الكسائي عن كعب الأحبار : ولا بد أن يحدث بين يدي  
نزول عيسى علامات وحروب وفتن ، فأقول من يخرج ويغلب على البلاد رجل  
أسمه الأصهب من بلاد الجزيرة ، ويخرج الجرهمي من بلاد الشام ، ويخرج  
القحطاني بأرض اليمن ، وهو أمثل هؤلاء الثلاثة شوكة . فبينما هؤلاء الثلاثة  
في مواضعهم وقد تغلبوا على أمكنتهم بالظلم والجور إذا هم بالرجل السفياني قد خرج  
من غوطة دمشق ، وقيل : إنه يخرج من الشام ، وقيل : إنه يخرج من الوادي  
اليابس . وأخواله من كلب ، وأسمه معاوية بن عنبسة ، وهو ربع من الرجال ،  
دقيق الوجه ، طويل الأنف ، محدودب ، جهوري الصوت ، يكسر عينه اليمنى ،  
يحسبه الذي يراه كأنه أعور وليس بأعور ، يظهر في أول أمره بالزهد ويبذل  
الأموال ، ويخطب له على منابر الشام ، ويكون جريثا على سفك الدماء لمن خالفه ،  
ويعطل الجمعة والجماعة . وعلامة بدء أمره أنه يخرج في كل مدينة دجال يدعو  
إلى نفسه ، ويظهر الفسق حتى إنهم يفجرون في المساجد ، فيخرج عليهم السفياني  
١٥
- (١) النخل : موضع غربي مسجد الأحزاب . وقيل : هو على ثلاثة أميال من المدينة .  
٢٠ (٢) راجع كتاب سنن ابن ماجه (ج ٢ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ) .

حتى ينزل أرض دمشق ، فيجتمع اليه القوم ويبايعونه ، ويفترق الأموال الكثيرة بينهم حتى يقولوا هذا خير أهل الأرض . ثم يسير في الشام وعلى مقدمته رجل من جَهينة يقال له ناجية حتى ينزل العراق ، فيخرج اليه القَحْطَانِيّ جيشا كثيرا فيهمزهم ناجية هزيمة قبيحة ، فعند ذلك يُوجّه السُّفْيَانِيّ ثلاث جيوش : جيش الى الكوفة فيقتلون قتلا ذريعا ، وجيش الى خراسان فيقتلون ويحرقون ، وجيش الى الروم حتى يكثر القتل منهم في الدنيا وفي كل طريق . فعند ذلك يجتمع الصالحون على السُّفْيَانِيّ ويخوفونه عقوبة الله في سَفْكَ الدماء ، فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهاد في جميع الآفاق . فعند ذلك يجتمع المسلمون على رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له محمد بن عليّ فيبايعونه ويسمونه المهديّ . والله أعلم .

### ذكر خبر خروج المهديّ

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يَبَيعُ بين مكة والركن ، ويكون أول أمره على عدد أهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا . وقيل : إنه يخرج [ قبل هذا وليّ <sup>(١)</sup> ] من قرية من قرى حرس في ثلاثين رجلا ، ثم يجتمع اليه المؤمنون من كل ناحية ، ثم ينكسف القمر ثلاث ليالٍ متواليات ، ثم يظهر المهديّ بمكة ويشيع أمره ، فيبلغ ذلك [ الزهرانيّ صاحب <sup>(١)</sup> السُّفْيَانِيّ ] ، فيبعث الى المهديّ جيشا ثلاثين ألفا فينزلون في البرية . ثم يخرج السُّفْيَانِيّ الى البلقاء ، فإذا استقر بالموضع خسف الله تعالى بهم الأرض ، فيأخذهم الى أعناقهم حتى لا يُفلت منهم إلا رجلا نخرجان بفرسيهما ، فإذا وصلوا الى القوم رأوهم وقد خسف الله بهم ، فيخسف الأرض بواحد منهما ، ويحول الله وجه الآخر الى قفاه ، فيبقى كذلك مدة حياته . ثم يخرج المهديّ

(١) التكلة عن الكسائي . (٢) كذا في الأصول . وفي الكسائي : « مرجوش » .

- بمن معه الى بلاد الروم فيسير حتى يسمع بهلاك السفيناني وأصحابه . قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ <sup>(١)</sup> ﴾ . فيحمد المهديّ الله تعالى على ذلك ، ويخرج الى بلاد الروم في نحو مائة ألف فيصل الى القسطنطينية ، فيدعو ملك الروم الى الإسلام فيأبى فيقاتله ، ويدوم القتال بينهم شهرين ، ثم ينهزم ملك الروم . ويدخل [المسلمون] <sup>(٢)</sup> الى القسطنطينية ، فينزل المهديّ على بابها ، ولها سبعة أسوار ، فيكبر سبع تكبيرات فيهدم كل سور منها بتكبيره . ويدخلها المهديّ ويقتل خلقا كثيرا ويقتل ملك الروم ، ثم يرفع [عنهم] <sup>(٣)</sup> السيف ، ويأخذ المسلمون من الغنائم ما لا يحصى ، حتى إن الرجل ليأخذ من الجوهر ما يعجز عن حمله .
- فبينما هم كذلك إذ يأتيهم الخبر من خليفة المهديّ بخروج الدجال واجتماع الناس عليه ، فيتركون تلك الغنائم وينصرفون الى بلادهم مسرعين لمحاربة الدجال . فيقال : ١٠
- إن المهديّ يسير نحو الدجال وعلى رأسه عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلتقون ويقتلون قتالا شديدا ، فيقتل من أصحاب الدجال أكثر من ثلاثين ألفا ، ثم ينهزم الدجال فيمتر نحو بيت المقدس ، فيأمر الله الأرض بإمساك قوائم خيله ، ويرسل عليهم ريحا حمراء فتقتل منهم أربعين ألفا . قال : ثم يُقْبِلُ المهديّ بجيشه زهاء <sup>(٤)</sup> مائة ألف ، في أيديهم الرايات البيض . فيقول المهديّ [لعسكر الدجال] : ويلكم ! ١٥
- أتشكون في هذا الأعور الكذاب أنه الدجال ؟ فيقولون : لا ، ولكننا نعيش في طعامه . فيمسحون في الحال قردة وخنازير . ثم ينزل عيسى بعد ذلك الى الأرض ويصلي خلف المهديّ ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) سورة سبأ آية ١٥ (٢) زيادة عن الكسائي .

(٣) في الأصول : « بجيشه زهاء على مائة ألف ... الخ » بزيادة « على » . ٢٠

(٤) عبارة الكسائي : « أتشكون في هذا الأعور الدجال أنه كذاب » .

## ذكر خبر خروج الدجال وصفته

وما يكون من أمره الى أن ينزل عيسى عليه السلام

قال كعب : إن الدجال رجلٌ طويلٌ ، عريضُ الصدر ، مطموسُ العين اليمنى ،  
واليسرى كأنها كوكبٌ دريٌّ ، مكتوبٌ بين عينيه : "كافر" ، يقرؤه كل كاتب  
أو غير كاتب . ويدعى أنه الرب ، ومعه يومئذ جبل من خبز ، وجبل من لحم ،  
وأجناس الفواكه والخمور ، ومعه أصحاب الملاهي يمشون بين يديه بالطبول  
والطناير والمعازف والعيدان والنايات والصنوج وغير ذلك ، فلا يسمعه أحد إلا وتبعه  
وفتنه إلا من عصمه الله . ويكون معه نارٌ وجنة ، وهو يقول : مَنْ أطاعني أدخلته  
الجنة ، وَمَنْ عصاني ولم يسجد لي ألقيته في النار . قال : وعامةُ خروجه أن تهب  
ريحٌ مثل ريح قوم عاد ، وتسمع صيحةٌ عظيمةٌ مثل صيحة قوم صالح ، ويكون مسخاً  
كمسخ أصحاب الرس ، وذلك عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .  
فإذا أخذوا في سفك الدماء واستحلوا الربا وشيدوا البنيان وشربوا الخمر ، وأكفئ  
الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، فعند ذلك يخرج الدجال من جهة المشرق من قرية يقال  
لها سیراباد بين الأهواز وأصفهان ، ويخرج على حمار له . قال : وهو أحمر الحاجبين ،  
أشعر الأنف ، تخرج من خلل أسنانه رائحةٌ لا يسمها أحدٌ إلا صار إليه نثنه ، في جبهته  
قرنٌ مكسور تخرج منه الحيات والعقارب ، محدوب الظهر ، قد صوّرت آلات السلاح  
في جسده حتى الرمح والفأس والسهم والدّرق . وهو يتناول السحاب بيده ، وينحوض  
البحار الى كعبه ، ويستظل في ظلّ أذن حماره خلقٌ كثير من أولاد الزنا ، عليهم  
خفافٌ مخروطةٌ ، لحفافهم مناقير كمناقير العقبان ، لأصابعهم أظافر كالمناجل ، ومعه قوم

من السَّحَرَةِ يَقلِبُونَ الجِبَالَ خَبْزًا والأَنْهَارَ شَرَابًا ، وَلَا يُطْعِمُ وَلَا يَسْقِي إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ .  
ومعه صاحب لوائه من قريته ينادى بأعلى صوته : هذا ربكم فاعبروه . فإذا سار  
الدَّجَالُ سارت معه جبال طعامه وأنهار شرابه ، وإذا وقف وقفت . يطوف الأرض  
شرقها وغربها حتى يدخل أرض بابل فيلقاه الخضر ، فيقول له الدجال : أنا رب  
العالمين . فيقول له الخضر : كذبت يا دجال ! إنَّ ربَّ العالمين ربُّ السموات  
والأرضين . فيقتله الدجال ويقول : لو كان لهذا إله كما يزعم لأحياه . فيُحيي الله  
الخضر من ساعته فيقوم ويقول : ها أنا يا دجال ، قد أحياني الله ربِّي . ثم يُقبل  
الخضر على أصحابه ويقول : ويلكم ! لا يفتننكم هذا الكافر . ويقال : إنه يقتل  
الخضر ثلاث مرَّات ويُحييه الله تعالى . ثم يخرج الدجال نحو مكة ، فإذا دنا منها رأى  
الملائكة<sup>(١)</sup> مُحْدِقِينَ بالبيت الحرام قد نشروا أجنحتهم على الكعبة ، يخرج من خَلِّ  
أجنحتهم مثلُ شرر النيران ، فلا يقدر على دخولها . ثم يسير إلى المدينة فيجدها  
كذلك . ثم يمضي إلى بيت المقدس فلا يقدر على دخوله لكثرة مَنْ حوله من  
الملائكة . وأختلف في مدة إقامته في الأرض ، فقليل أربعين سنة ، وقيل أربعين  
يوماً ، على ما نورد ذلك من الحديث الصحيح النبوي الذي يشمل ذكر هذه الفتن  
كلها . قال : وأما المسلمون فإنهم يصومون ويصلون كما كانوا غير أنهم في غم ،  
قد تركوا المساجد ولزموا البيوت ، وتطلَّع الشمس متلونة : مرَّة بيضاء ، ومرَّة  
صفراء ، ومرَّة حمراء ، ومرَّة سوداء ، وتكون الأرض في الزلزلة والرجفة ، ثم يكون  
بينه وبين المهدي ما قدَّمنا ، ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام .

(١) كذا في الكسائي . وفي الأصلين : « ينظر إلى الملائكة » .

## الباب الثاني من التذييل

### على القسم الثالث من الفن الخامس

في خبر نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال

ونخرج يأجوج ومأجوج وفسادهم وهلاكهم ، ووفاة عيسى عليه السلام

لما رأيت أهل السير قد أكثروا من القول في نزول عيسى عليه السلام وزادوا

في القول ونقصوا منه ، عدلت عن أقوالهم ، وأوردت ما أذكره من ذلك من الحديث

الصحيح النبوي ، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم . وختمت هذا

الباب بالحديث الشامل في خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وغير

ذلك . وهذه الأحاديث خرجتها من كتاب السنن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد

ابن يزيد بن ماجه القزويني ، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

### ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فتنة الدجال وما يلاقيه الناس

منه ، قال : ” فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء

شرقي دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ،

وإذا رفع رأسه يتحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر أن يجدر ريح نفسه إلا مات .

ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فينطلق حتى يدرك الدجال فيقتله عند باب لد .

قال : ” ثم يأتي نبي الله عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله فيمسح وجوههم

ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة “ . والله أعلم .

(١) أي بين حاتين شبيهتين بالمصبوغ بالهرد . والهرد (بالضم) : عروق يصنع بها .

(٢) كذا في سنن ابن ماجه . وفي الترمذي « واضعا » بالنصب وهو الظاهر . على أنه يجوز أن يقرأ هنا

بالنصب لأن أهل الحديث كثيرا ما يكتبون المنصوب بصورة المرفوع . أما الرفع فعلى تقدير مبتدأ محذوف .

(٣) قطر: ذهب وأسرع . (٤) لد (بالضم والتشديد) : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .



## ذكر خبر يأجوج ومأجوج

- صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” إن يأجوج ومأجوج ليجفرون  
السد كل يوم حتى إذا كادوا يروُن شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه  
غدا فيعيدده الله عز وجل أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم  
إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يروُن شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه  
غدا إن شاء الله وأستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون  
على الأرض فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى  
السماء فيرجع عليهم الدم الذي أجفط فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء<sup>(١)</sup>  
فبيعت الله عليهم نغما في أقفاهم فيقتلهم بها“ . قال صلى الله عليه وسلم : ” والذي نفسي  
بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم“ . وفي الحديث  
الآخر : ” إن الله تعالى يوحى إلى عيسى أتى قد أخرجت عبدا إلى لا يدان لأحد بقتالهم  
فأحرز عبادى إلى الطور . ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله تعالى ﴿ مِنْ كُلِّ  
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فيمتر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون  
لقد كان في هذا ماء مرة وليحضر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون  
رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه  
إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصباحون فرسى كموت نفيس<sup>(٢)</sup>  
واحدة ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زهمهم<sup>(٣)</sup> ونقتلهم  
ودماؤهم فيرغبون إلى الله عز وجل فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم

(١) أجفط (بالجيم) : أنتن . (٢) النغف : الدود . (٣) شكت الدابة شكرا

٢٤ (وزان فرح) : سمنت . (٤) فرسى كقتلى لفظا ومعنى ؛ يقال : فرس الذئب الشاة إذا قتلها .

(٥) الزهم (بالضم) : الريح المتتنة .

فتطرحهم حيث شاء الله عز وجل . ثم يرسل الله <sup>(١)</sup> مطرا لا يكتن منه بيت مدر ولا وبر فيغسله حتى يتركه كالزلفة <sup>(٢)</sup> ، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها <sup>(٣)</sup> ، ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة <sup>(٤)</sup> من الإبل تكفي الفئام <sup>(٥)</sup> من الناس ، واللقحة من البقر تكفي القبيلة ، واللقحة من الغنم تكفي الفخذ <sup>(٦)</sup> . فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمير ، فعليهم تقوم الساعة . وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :  
 « لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدءوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فرد الحديث إلى عيسى بن مريم فقال قد عهد إلى فيما دون وجبتها ، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله ، فذكر خروج الدجال قال فأنزل فأفلقه فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فلا يمزون بماء إلا شربوه ولا بشئ إلا أفسدوه ، فيجئرون إلى الله تعالى فأدعوا الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم ، فيجئرون إلى الله فأدعوا الله فيرسل السماء بالماء فيجملهم »

(١) زيادة عن سنن ابن ماجه .

(٢) الزلفة (بفتحين) : الصخرة الملساء ، والصدفة ، والمرآة ، ومصانع الماء .

(٣) بقحفها (بالكسر) : بقشرها تشبها بقحف الرأس .

(٤) الرسل (بكسر الراء وسكون السين المهملة) : اللبن .

(٥) الفئام (بالفتح والكسر) : النافاة القريبة العهد بالنتاج .

(٦) الفئام (ككتاب) : الجماعة الكثيرة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٧) الفخذ : هو دون القبيلة وفوق البطن .

(٨) يتهارجون : يتسافدون .

(٩) وجبتها : قيامها .

فِيَأْتِيهِمْ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ وَتُدْمَدُ الْأَرْضُ مَدًّا أَدِيمًا فَعُهِدَ إِلَى مَتَى كَانَ ذَلِكَ  
 كَانَتْ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَأُهُمْ بَوْلَادَتُهَا .  
 قَالَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ وَهُوَ مِنْ رِوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ : وَوُجِدَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ  
 فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ  
 يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ <sup>(١)</sup> ﴾ . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيُخْرَجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ مِنْ  
 كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ فَيَعْمُونَ الْأَرْضَ وَيَنْحَازُ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ  
 فِي مَدَائِنِهِمْ وَحَصُونِهِمْ وَيَضْمُونَ إِلَيْهِمْ مُوَاشِيَهُمْ ، حَتَّى إِنْهُمْ لَيَمْتَرُونَ بِالنَّهْرِ فَيُشْرِبُونَهُ  
 حَتَّى مَا يَذَرُونَ فِيهِ شَيْئًا ، فَيَمْتَرُ آخِرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ لَقَدْ كَانَ بِهَذَا الْمَكَانِ  
 مَرَّةً مَاءٌ . وَيُظْهِرُونَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَّغْنَا مِنْهُمْ  
 وَلِنُنَازِلَ أَهْلَ السَّمَاءِ ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ آيَزَ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مَخْضَبَةً بِالدَّمِ ،  
 فَيَقُولُونَ قَدْ قَاتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ . فَيَبِينُ مَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دَوَابَّ كَتَمَغَفَ الْجَرَادِ فَتَأْخُذُ  
 بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوْتَ الْجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَيَصْبِحُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَسْمَعُونَ  
 لَهُمْ حَسًّا ، فَيَقُولُونَ مَنْ رَجُلٌ يَشِيرِي نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا ، فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ  
 نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، فَيُنَادِيهِمْ أَلَا أَبْشَرُوا فَقَدْ هَلَكَ عَدُوُّكُمْ ، فَيُخْرِجُ  
 النَّاسَ وَيُخْلُونَ سَبِيلَ مُوَاشِيَهُمْ فَمَا يَكُونُ لَهُمْ رِغَى إِلَّا لِحُومِهِمْ فَتَشْكُرُ عَلَيْهَا كَأَحْسَنِ  
 مَا شَكَرَتْ مِنْ نَبَاتٍ أَصَابَتْهُ قُطٌّ . وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :  
 ” سَيُوقَدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَيْسَى يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَنُسَابُهُمْ وَأَثَرُهُمْ سَبْعَ سِنِينَ .  
 وَاللَّهُ الْمَعِينُ .

$$\frac{83}{12}$$

(١) سورة الأنبياء، آية ٩٦ وما بعدها .

الحديث الجامع لأخبار عيسى بن مريم عليه السلام والدجال  
قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه :  
حدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن إسماعيل بن رافع أبي رافع  
عن أبي زُرعة السَّيباني<sup>(١)</sup> يحيى بن أبي عمرو عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أ كثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرنا<sup>٥</sup> ،  
فكان من قوله أن قال : " إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم صلى الله  
عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال .  
وأنا آخر الأنبياء وأتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة . فإن يخرج وأنا بين ظهرانيتكم  
فأنا حجيج لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل أمرئ حجيج نفسه ، والله خليفتي على  
كل مسلم . وإنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فيبعث يمينا ويعيث شمالا يعباد الله<sup>١٠</sup>  
فأثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي : إنه يبدأ فيقول أنا نبي ، ولا نبي  
بعدي ، ثم يثني فيقول أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور وإن ربكم عز  
وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه « كافر » يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب .  
وإن من فتنة أن معه جنة ونارا ، فناره جنة ، وجنته نار . فمن ابتلي بناره فليستغث  
بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم . وإن من<sup>١٥</sup>  
فتنته أن يقول لأعرابي أ رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول  
نعم ، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من  
فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تأتي شقين ، ثم يقول

(١) السيباني ( بفتح السين المهملة ) : نسبة الى سيبان ، بطن من حمير . وفي الأصول :

٢٠ « الشيباني » بالشين المعجمة وهو تحريف . (٢) ذرأ : خلق .

(٣) يعيث : يفسد .

انظروا الى عبدى هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيرى، فيبعثه الله ويقول له الخبيث من ربك؟ فيقول ربى الله وأنت عدو الله أنت الدجال، والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم“ . قال أبو الحسن الطنّافى: “فحدثنا الموحّار بنى” حدثنا عبيد الله ابن الوليد الوصافى عن عطية عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : “ذلك الرجل أرفع أمتى درجة في الجنة“ . قال قال أبو سعيد : والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله . قال الموحّار بنى ثم رجعنا الى حديث أبى رافع قال : “وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت . وإن من فتنته أن يمرّ بالحى فيكذبونه فلا تَبْقَ لهم سائمة إلا هلكت . وإن من فتنته أن يمرّ بالحى فيصدّقونه فيأمر السماء أن تمطر فتُمطر ويأمر الأرض أن تُنبِت فتُنبِت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه خواصر وأدرّه ضروراً . وإنه لا يبقى شئ من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيف صلّاة حتى ينزل عند الطّريب الأحمر عند منقطع السّبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا أخرج اليه ، فتنفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص . فقالت أمّ شريك بنت أبى العكر يارسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال هم يومئذ قليل وجلّهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح . فبينما إمامهم قد تقدّم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح ، فرجع ذلك

٨٤  
١٢

(١) النقب (بفتح فسكون) : الطريق بين الجبلين . (٢) صلّة ، أى مجردة ؛ يقال : أصلت السيف إذا جرّده من غمده . (٣) الطّريب لعل المراد به الجبل . (٤) كذا فى الأصول وكتاب سنن ابن ماجه الذى ينقل عنه المؤلف ، وهو خطأ . والصواب أن أم شريك هذه هى بنت دودان ابن عمرو بن عامر ابن راحة الدوسية . وكانت تحت أبى العكر الدوسى واسمها غزيرة ، ويقال غزيلة . من المهاجرات . (راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٥ ص ٩٤ و تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٧٢) .

الإمام ينكص (يمشى القهقري) ليتقدم عيسى عليه السلام يصلي بالناس، فيضع عليه السلام يديه بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم، فإذا آنصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب<sup>(١)</sup> فيفتح ووراء الدجال ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء فينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة<sup>(٢)</sup> لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللذ الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة<sup>(٣)</sup> إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشجرة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي. فقليل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال تقدرון فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا، يدق الصليب، ويزبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة فلا يسعي على

- ١٥ (١) الباب، أي باب المسجد. (٢) الساج: الطيلسان الأخضر. (٣) الغرقدة: ضرب من شجر العضاء. (٤) حكا، أي حاك بين الناس بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم لا نبيا مرسلًا بشريعة أخرى. (٥) مقسطا، أي عادلا في الحكم. (٦) يدق الصليب، أي يكسره بحيث لا يبقى من جنس الصليب شيء حتى لا يعبد إلا الله تعالى. (٧) ويزبح الخنزير، أي يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض أيا كلة أحد. (٨) ويضع الجزية، أي لا يقبلها من أحد من الكفرة بل يدعوهم إلى الإسلام مرة واحدة وهذا بيان منه صلى الله عليه وسلم بأن الجزية في دينه إلى زمان عيسى لا أن عيسى يأتي بنسخها. (٩) ويترك الصدقة، أي الزكاة لكثرة الأموال.
- ٢٠

- (١) شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتُترع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتفتر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتَمَلأ الأرض من السلم كما يَمَلأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسَلب قريش مملكتها، وتكون الأرض كاثور الفضة (٣) — وقيل كفاثور الفضة — تُنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع نفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع نفر على الرقانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدرهمات. قالوا يا رسول الله: وما يُرخص الفرس؟ قال: لا يُركب لحرب أبدا. قيل له: فما يغلي الثور؟ قال تُحرث الأرض كلها. وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تُنبت خضرا، ولا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله عز وجل. قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام. قال المحاربى: ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في المسكاتب.

(١) الحمة: السم أو الابرة التي يضرب بها الزبور والحية ونحو ذلك أو يلدغ بها.

(٢) تفتر أى تفتح فاه. (٣) لم نجد كلمة « فاثور » في كتب اللغة، على أن هذه الكلمة

ليست في سنن ابن ماجه. والفاثور: الخوان من رخام، أو طست أو جام من ذهب أو فضة.

## الباب الثالث من التذييل

### على القسم الثالث من الفرق الخامس

في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم عليه السلام الى أن ينفخ إسرافيل  
في الصور النفخة الأولى

### ذكر خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(١)</sup> "تخرج  
الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران ، فتجלו وجه المؤمن بالعصا ،  
وتخبط أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل الحواء ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن  
ويقول هذا يا كافر" . وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال :

٨٥  
١٢

ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا  
أرض يابسة حولها رمل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تخرج الدابة  
من هذا الموضع" فإذا فتر في شبر . قال ابن بريدة : فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا  
عصا له ، فإذا هي بعصاى هذه كذا وكذا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس  
من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها ؛ فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها  
لم تكن آمنت من قبل" . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : "أول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج  
الدابة على الناس ضحى" . قال عبد الله : فأيتهما ما خرجت قبل الأخرى فالأخرى

(١) تجلو وجه المؤمن أى تتوره . (٢) تخطم أى تسمه بها ، من خطمت البعير اذا كويته خطا

من الأنف الى أحد خديه . (٣) الحواء (بكسر الحاء المهملة والملة) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .



منها قريب . قال عبد الله : ولا أظنها إلا طلوع الشمس من مغربها . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضُه سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا “ . والله الهادي للصواب .

### ذكر خبر قيام الساعة والنفخة الأولى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما زال صاحب الصور مذوكل به مُستعدا ينظر نحو العرش إلى أن يؤمرَ فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفه كأَن عينيهِ كوكبان دريان “ . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الصور؟ فقال : ” قَرْنٌ يُنفخ فيه “ . وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : ” الصور كهيئة القرن “ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ ، وَهُوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُمِمْ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُتَ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا . وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتْبَاعِيَانِهِ وَلَا يَطُويَانِهِ . وَلَتَقُومَنَّ

الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِفَحْتِهِ فلا يطعمه، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَلِيطُ<sup>(١)</sup>  
حَوْضَهُ فلا يَسْقِي فِيهِ. وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد رَفَعَ أَكَلَتَهُ الى فِيهِ فلا يَطْعَمُهَا“ .

هذا من صحيح البخارى . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وذ كر خبر الدجال وقتله<sup>(٢)</sup>  
قال: ”..... ثم يَكُثُّ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله عز وجل<sup>(٣)</sup>  
ريحا باردة من قِبَلِ الشَّامِ فلا يَبْقَى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من

خير أو إيمان إلا قَبَضَتْهُ، حتى لو أن أحدكم دخل في كَيْدِ جَبَلٍ لدَخَلَتْهُ عليه حتى  
تَقْبِضَهُ . قال فَيَبْقَى شرار الناس في خِفَةِ الطير وأحلام السَّبَاعِ لا يعرفون معروفا  
ولا يُنكرون مُنْكَرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول أَلَا تَسْتَجِيبُونَ! فيقولون فما تأمرنا؟

فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم يَنْفَخُ في الصور<sup>(٥)</sup>  
فلا يَسْمَعُهُ أحدٌ إلا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا . قال وأرل من يسمعه رجل يَلُوطُ حَوْضَ  
إِبْلِيه، قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله — أو قال يُنْزِلُ الله — مطرا كأنه الظل

أو الظل — الشك من الراوى — فتنبت منه أجساد الناس؛ ثم يَنْفَخُ فِيهِ أخرى  
فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم“ . ويروى أن هذا المطر  
الذى تنبت منه الأجساد كنى الرجال .

(١) يَلِيطُ حَوْضَهُ : يَطِينُهُ وَيَصْلَحُهُ . يقال : لاط حَوْضَهُ يَلُوطُهُ وَيَلِيطُهُ .

(٢) راجع (ج ٨ ص ٩٥ طبع بلاق سنة ١٢٩٦ هـ) .

(٣) راجع صحيح مسلم (ج ٨ ص ٢٠١ طبع الاستانة) .

(٤) خفة الطير وأحلام السباع ، أى يكونون في سرعتهم الى الشروقضاء الشهوات والفساد .

(٥) دار رزقهم ، أى كثير .

(٦) اللبت (بكسر اللام) : صفحة العنق وهى جانبه .

## الباب الرابع

من التذييل على القسم الثالث من الفرق الخامس  
في أخبار يوم القيامة والحشر والمعاد والنفخة الثانية في الصور

### ذكر يوم القيامة وأسمائه

- هو اليوم الذي وصفه الله عز وجل بالعظيمة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ  
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ  
اللَّهِ شَدِيدٌ <sup>(١)</sup> ۝ وَوصفه الله بالطول فقال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ \*  
فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا <sup>(٢)</sup> ۝
- وليوم القيامة أسماء جاء بها القرآن ، وقد ذكرها عبد الحق في كتاب العاقبة فقال :  
”يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ! يوم الحسرة والندامة ، يوم يجد كل عامل عمله  
أمامه ، يوم الدمدمة ، يوم الزلزلة ، يوم الصاعقة ، يوم الواقعة ، يوم الراجفة ، يوم  
الرادفة ، يوم الغاشية ، يوم الداهية ، يوم الآزفة ، يوم الحاقة ، يوم الطاقة ، يوم  
الصاخة ، يوم التلاق ، يوم الفراق ، يوم الميثاق ، يوم الانشقاق ، يوم القصاص ،  
يوم لات حين مناص ، يوم التناد ، يوم الأشهاد ، يوم الميعاد ، يوم المآب ، يوم  
العذاب ، يوم الفرار ، يوم القرار ، يوم المِرْصاد ، يوم السائلة ، يوم المناقشة ، يوم  
الحساب ، يوم القضاء ، يوم الجزاء ، يوم البكاء ، يوم البلاء ، يوم تمُّور السماء مَوْرًا  
وتسير الجبال سيرا ، يوم الحشر ، يوم النشر ، يوم الجمع ، يوم البعث ، يوم العرض ،

(١) سورة الحج آتي ٢٠ ، (٢) سورة المعارج آتي ٤ ، ٥

يوم الوزن ، يوم الحق ، يوم الحكم ، يوم الفصل ، يوم الحزى ، يوم عقيم ، يوم عظيم ، يوم عسير ، يوم عبوس ، يوم قطير ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الدين ، يوم اليقين ، يوم النفخة ، يوم الصيحة ، يوم الرجفة ، يوم الرجة ، يوم الزجرة ، يوم الشدة ، يوم الفرع ، يوم الجزع ، يوم الفلق ، يوم العرق ، يوم الميقات ، يوم تخرج الأموات وتظهر الخبآت ، يوم الإشفاق ، يوم الانشقاق ، يوم الانكدار ، يوم الانتشار ، يوم الانفطار ، يوم الافتقار ، يوم الوقوف ، يوم الانصداع ، يوم الانقطاع ، يوم معلوم ، يوم موعود ، يوم مشهود ، يوم تبلى السرائر ، يوم تُخرج الضمائر ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، يوم يدعى فيه إلى النار ، يوم تسجر فيه النار ، يوم تقلب فيه الوجوه في النار ، يوم البروز فيه إلى الله ، يوم الصدور إلى الله ، يوم لا تنفع المезде ، يوم لا يرضى إلا المغفرة . قال : وأهول أسمائه وأشنع ألقابه : يوم الخلود ، يوم لا آقطاع لعذابه ، ولا آخر لعقابه ، ولا يكشف عن كافر ما به . نعوذ بالله من غضبه وبلائه ، برحمته وآلائه . والله معين العاجزين .

### ذكر الحشر والمعاد والنفخة الثانية

جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٢) قيل : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . قال : ثم يأمر الله ملك الموت أن يقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت أن يموت فيموت ولا يبقى إلا الله ، فينادى جل جلاله : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ (٣) فلا يجيبه أحد ، فيقول : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

٢٠ (١) تسجر : توقد . (٢) سورة الزمر آية ٦٨ (٣) سورة غافر آية ١٦

- ثم يمكث الناس في البرزخ<sup>(١)</sup> أربعين عاماً، ثم يحيي الله عز وجل إسرافيل فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية؛ قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٤)</sup> . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب “<sup>(٥)</sup> .
- قيل : يا رسول الله، وما هو ؟ قيل : ” مثل حبة خردل ومنه ينشأ “ . وفي الحديث الآخر : ” ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل “ . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” يقول الله وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجسام ، فتدخل في الحياشيم ثم تمشي مشى السم في اللابغ “ . قال : ” وتجتمع الأرواح كلها في الصور ، ثم ينفخ إسرافيل فيه فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، ثم تدخل في الأجساد “ . كما تقدم . وفي الحديث الصحيح أن عائشة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، كيف يحشر الناس يوم القيامة ؟ قال : ” حفاة عرأة “ . قالت : يا رسول الله ، والنساء ؟ قال : ” والنساء “ . قالت : يا رسول الله ، فما نستحي ؟ قال : ” يا عائشة الأمر أهم من أن ينظر بعضهم الى بعض “ . وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرصات ، فأما عرضتان فخدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي ، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله “ . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله

(١) البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت الى القيامة .

(٢) سورة الزمر آية ٦٨ (٣) سورة طه آية ٥٥ (٤) سورة الروم آية ٢٧

(٥) العجب (يفتح العين وإسكان الجيم) : العظم الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص .

صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(١)</sup> قال : ”يقوم أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿كَلا لَا وَزَرَ﴾ <sup>(٢)</sup> إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخَّر﴾“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر“ يريد أرضا مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا ربوة ولا وهدة ، أرض بيضاء لم يسفك عليها دم قط ، ولا تحمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها محرم . قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ <sup>(٣)</sup> . وفي حديث ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسَّمَوَاتِ ؟ فقال : ”هم في الظلمة دون الجسر“ والجسر هو الصراط . وفي حديث عائشة ”إنهم على الصراط“ . قال الله عز وجل : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ <sup>(٥)</sup> أى يقول بعضهم لبعض سرًا ، فيقول أعدلهم قولاً وأرحمهم عقلاً : إن لبثتم إلا يوماً . قال الله عز وجل : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ <sup>(٦)</sup> . وروى عن مجاهد أنه قال : للكمفار هجمة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم ، فإذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ! فتخرج الخلائق مذعورين خائفين وجائين ، وإذا المنادى ينادى : ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ <sup>(٧)</sup> ، فيطمع في ذلك النداء المؤمنون والكافرون ، فينادى المنادى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

(١) سورة المطففين آية ٦ (٢) الرشح (بفتحين) : العرق

(٣) سورة القيامة آيتي ١١ ، ١٢ (٤) سورة إبراهيم آية ٥٨

(٥) سورة يونس آية ٤٥ (٦) سورة طه آية ١٠٣

(٧) سورة طه آية ١٠٤ (٨) سورة الزخرف آية ٦٨

- وَكَانُوا مُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ رُكْبَانًا وَمُشَاةً وَعَلَى وُجُوهِهِمْ “ . قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : ” إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَّا إِنْهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ “ .<sup>(٢)</sup>
- وفي حديث مسلم بن الحجاج عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ، كيف يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قال : ” أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ “ . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جدًا لو استقصيناها لطال الكلام وأنبسط القول ، ونخرج التأليف عن شرطه الذي قدمناه . فلتختتم هذا الباب بحديث لقيط بن عامر<sup>(٣)</sup> العُقَيْلِيّ فإنه حديث جامع لأكثر ما في هذا الباب .

### حديث لقيط بن عامر

- قال أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العُقَيْلِيّ قال : خرجت أنا وصاحب<sup>(٤)</sup> لي حتى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ لِأَنْسِلَاخِ رَجَبٍ . فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [فَوَافَيْنَاهُ]<sup>(٥)</sup> حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ<sup>(٦)</sup>

٨٨  
١٢

- (١) سورة الزخرف آية ٦٩ (٢) الحذب : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وقد ورد هذا الحديث في صحيح الترمذى (ج ١١ ص ٣٠٠ طبع مصر) .
- (٣) هو نهبك بن عاصم بن مالك بن المتفق ، كما في مسند الإمام أحمد (ج ٤ ص ١٣) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٥ ص ٨٠ طبع مصر) .
- (٤) في البداية والنهاية : « انسلاخ رجب » بدون اللام .
- (٥) التكلة عن مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية .
- (٦) كذا في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد ج ١ ص ١٣٥ طبع بلاق وفي الأصل : « مصلاه » .

فقام [ في الناس ] خطيبا فقال : <sup>(١)</sup> ” أيها الناس ! ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم اليوم . ألا فهل من أمرئ بعثه قومه [ فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . ألا ثم لعلمه أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ] . ألا إني مسئول هل بلغت . ألا أسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا “ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> بفلس الناس وقت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله ، ما عندك من علم الغيب ؟ [ فضحك بعمر الله وهن رأسه وعلم أنني أبتغي لسقطه ] فقال : <sup>(٤)</sup> ” ضن ربك عز وجل بمماتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله “ . <sup>(٥)</sup> فقلت : وما هن يا رسول الله ؟ قال : <sup>(٦)</sup> ” علم المنية [ قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ] . <sup>(٧)</sup> وعلم المنى حين يكون في الرحم [ قد علمه ولا تعلمونه ] <sup>(٨)</sup> وعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه . <sup>(٩)</sup> وعلم يوم الغيث يشرف عليكم آزالين مستتين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب “ . <sup>(١٠)</sup> قال لقيط : لم لن نعلم من رب يضحك خيرا . <sup>(١١)</sup> ” وعلم يوم الساعة “ . قلت : يا رسول الله ، إني سائلك عن حاجتي . قال : <sup>(١٢)</sup> ” سل عما شئت “ . قلت : يا رسول الله ،

- (١) زيادة من مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٢) في المواهب اللدنية : ١٥ « ألا اسمعوا تعيشوا » أي تحبوا حياة أبدية سعيدة فانها الحياة المطلوبة . (٣) في مسند أحمد والبداية والنهاية : « ألا اجلسوا ألا اجلسوا » . (٤) النكتة عن مسند الامام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . وفي العقد الفريد : « ابتغي سقطه » بدون اللام . (٥) في الأصل : « ضن ربك بخمس » . (٦) زاد في مسند أحمد والبداية والنهاية هنا : « وأشار بيده » . (٧) زيادة من مسند أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد . (٨) في الأصل « متى » . (٩) في الأصل : « وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم غدا » . (١٠) أزل الرجل : صار في شدة وضيق . (١١) كذا في البداية والنهاية . ومسنون : أصابهم سمة ، أي فخط وجذب . وفي سائر المصادر : « مشفقين » . (١٢) زاد في العقد الفريد هنا : « فلا تعجلني » .



عَلَّمْنَا مَا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا تُعَلِّمُونَا مِنْ قَبِيلٍ لَا يَصْدُقُونَ تَصْدِيقَنَا أَحَدًا مِنْ مَذْجِ  
الَّتِي تَدْنُو إِلَيْنَا، وَخَشَعَمُ الَّتِي تَوَالِينَا، وَعَشِيرَتَنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا <sup>(٢)</sup> . قَالَ : ” تَلَبَّثُونَ  
مَا لَيْثَمُكُمْ ثُمَّ يَتَوَقَّى نَبِيَّكُمْ ثُمَّ تَلَبَّثُونَ مَا لَبِثَمُكُمْ ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّيْحَةُ، فَلَعَمْرُؤِ إلهك مَا تَدَّعَ عَلَى  
ظَهْرَهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَاتَ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ <sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ السَّمَاءَ [بِهَضْبٍ] <sup>(٤)</sup> مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُؤِ إلهك  
مَا تَدَّعَ عَلَى ظَهْرَهَا مِنْ مَضْرَعٍ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ إِلَّا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ  
مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَهْمٌ لِمَا كَانَ فِيهِ، فَيَقُولُ : يَا رَبُّ أَمْنِي <sup>(٥)</sup>  
أَمْسَ الْيَوْمَ، لَعَهْدَهُ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثًا بِأَهْلِهِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَجْعَلُنَا

(١) كَذَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا تُعَلِّمُ النَّاسَ وَمَا تُعَلِّمُ » . وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَد :

« عَلَّمْنَا مَا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا تُعَلِّمُونَا » .

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَالْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « فَيَصْبِحُ » .

(٤) فِي كِتَابِ التَّذَكُّرَةِ لِلْقُرْطُبِيِّ (نَسَخَةٌ مَخْطُوطَةٌ فِي دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ بِرَقْمِ ١ مِ تَصُوفُ) :

« قَالَ عَلَمَاؤُنَا : قَوْلُهُ فَأَصْبَحَ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْبِلَادِ وَقَدْ خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، إِنَّمَا هُوَ تَفْهِيمٌ وَتَقْرِيبٌ إِلَى أَنْ

جَمِيعٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ وَأَنَّ الْأَرْضَ تَبْقَى خَالِيَةً وَلَيْسَ يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

(٥) التَّكْلِمَةُ مِنْ مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَالْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ، وَفِيهِمَا : « تَهَضَّبُ » وَهُوَ تَصْغِيرُ . وَفِي كِتَابِ

التَّذَكُّرَةِ : « فَأَرْسَلَ رَبُّكَ مِنَ السَّمَاءِ بِهَضْبَةٍ » . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « فَيَرْسَلُ رَبُّكَ بِهَضْبٍ » .  
وَالْهَضْبُ : الْمَطَرُ .

(٦) مَهْمٌ : كَلِمَةٌ اسْتَعْتَمَهَا عَنْ الْحَالِ وَالشَّأْنِ . وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ (فِي مَادَّةِ مَهْمٍ) : « فَيَسْتَوِي

جَالِسًا فَيَقُولُ رَبُّ مَهْمٍ » .

(٧) كَلِمَةُ « أَمْنِي » لَيْسَتْ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا . وَالْعِبَارَةُ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَالْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ .

« يَقُولُ أَمْسَ الْيَوْمَ فَلَعَهْدَهُ ... » .

## معين التارخ لأهل التارخ

١٠

١٥

٢٠

بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ قال : « أنبتك بمثل ذلك في إله الله الأرض<sup>(١)</sup>  
 أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحيا أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء . فلم تلبث عليها<sup>(٢)</sup>  
 إلا أياما حتى أشرفت عليها فإذا هي شرية واحدة<sup>(٣)</sup> ، فلعمرك إلهك هو أقدر على أن يجمعهم  
 من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتتنظرون<sup>(٤)</sup>  
 إليه ساعة وينظر إليكم » . قلت : يا رسول الله ، [ وكيف ] ونحن ملء الأرض<sup>(٥)</sup>  
 وهو شخص واحد ينظر إلينا وينظر إليه ؟ قال : « أنبتكم بمثل ذلك في إله الله  
 الشمس والقمر آية [ منه ] صغيرة ترونها ساعة واحدة ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما<sup>(٦)</sup>  
 ولعمرك إلهك هو أقدر على أن يراكم وتروهما أن تروهما ويرياكم لا تضارون<sup>(٧)</sup>  
 في رؤيتهما » . قلت : يا رسول الله ، فماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون  
 عليه بادية [ له ] صفحاتكم لا يخفى عليه [ منكم ] خافية<sup>(٨)</sup> ، فيأخذ ربك [ بيده ] غرقة من<sup>(٩)</sup>  
 الماء فينضح [ بها ] قبلكم ، فلعمرك إلهك ما تخطئ وجه واحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم

(١) إله الله : ربوبيته وإلهيته وقدرته ، ويجوز أن يكون في إله الله أى في عهده (راجع  
 النهاية لابن الأثير .

(٢) في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية « عليك » .

(٣) الشرية : الحنظلة ، أى إن الأرض تخضر بالنبات فتصير في اخضرار الحنظلة ونضارتها . ويرى  
 « شربة » بالموحدة . أى يكثر الماء فن حيث أردت أن تشرب شربت . قال الزمخشري : « ولوروى  
 شرية — بالتحريك — فهي حوض في أصل النخلة .

(٤) الأصواء هنا : القبور .

(٥) التكملة عن مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعمدة القريد .

(٦) في الأصل : « ... ترونها ساعة واحدة فيريانكم » وفي مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية :  
 « ترونها ويريانكم ساعة واحدة » .

(٧) في الأصل : « لا تضامون » .

(٨) في الأصل : « ... لهو أقدر على أن يراكم وترونها أو ترونها ويريانكم ولا تضامون »

٥

١٠

١٥

٢٠

فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرِّبْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَقْمَا الْكَافِرَ فَيَخِطُمُهُ بِمِثْلِ الْحُمِيمِ الْأَسْوَدِ. <sup>(٢)</sup> أَلَا تَمَّ  
 يَنْصَرِفُ [نَيْيَكُم] <sup>(٣)</sup> وَيَتَفَرَّقُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَتَسْلُكُونَ جَسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمْ  
 الْجَمْرَةَ يَقُولُ حَسَّ، <sup>(٤)</sup> فَيَقُولُ رَبُّكَ وَإِنَّهُ. <sup>(٥)</sup> أَلَا فَتَطْلَعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ لَا يَظْمَأُ وَاللَّهُ نَاهِلُهُ  
 فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يَبْسُطُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَيْهَا قَدَحٌ يَطْهَرُهُ مِنَ الطَّوْفِ وَالْبَوْلِ <sup>(٦)</sup>  
 وَالْأَذَى. وَتُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
 فِيمَ نُبْصِرُ الْأَرْضَ؟ <sup>(٨)</sup> قَالَ: «بِمِثْلِ سَاعَتِكَ هَذِهِ» وَذَلِكَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ  
 أَشْرَقَتْهُ الْأَرْضُ وَوَاجِهَتُهُ الْجِبَالُ. <sup>(٩)</sup> قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَ تُجْزَى مِنْ سَيِّئَاتِنَا  
 وَحَسَنَاتِنَا؟ قَالَ «الْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَعْفُو اللَّهُ». قُلْتُ:

(١) الرِّبْطَةُ: المَنْدِيلُ.

- (٢) فِي الْأَصْلِ: «الْحُمِيمُ». وَالْحُمِيمُ: النَجْمُ. وَتَخِطُمُهُ، أَيْ تَصِيبُ خَطْمَهُ وَهُوَ أَنْتَهُ، يَعْنِي تَصِيبُهُ  
 فَتَجْعَلُ لَهُ أَثَرًا مِثْلَ أَثَرِ الْخَطَامِ فَتَرُدُّهُ بِصَغْرِ (عَنْ كِتَابِ النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ).  
 (٣) التَّكْلَةُ عَنْ مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ.  
 (٤) كَلِمَةٌ يَقُولُهَا الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَهُ مَا مَضَى وَأَحْرَقَهُ غَفْلَةً كَالْجَمْرَةِ وَالضَّرْبَةَ وَنَحْوَهُمَا.  
 (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ وَالفَائِقِ لِلزُّنْجَشَرِيِّ. وَفِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ  
 أَيْدِينَا «أَوَانَهُ» وَمَعْنَى إِنَّهُ أَيْ نَعَمْ وَالهَاءُ لِلسَّكْتِ، أَوْ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِحَذْفِ الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى  
 إِنَّهُ كَذَلِكَ.

- (٦) فِي الْفَائِقِ وَالنِّهَايَةِ: «... قَدَحٌ مَطْهَرَةٌ مِنَ الطَّوْفِ وَالْأَذَى» قَالَ الزُّنْجَشَرِيُّ: قَوْلُهُ (مَطْهَرَةٌ)  
 مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدَحٌ فَهِيَ أَقْدَاحُ كَثِيرَةٌ. وَفِي النِّهَايَةِ: «الطَّوْفُ:  
 الْحَدَثُ مِنَ الطَّعَامِ. الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ تِلْكَ الشَّرْبَةَ طَهَرَ مِنَ الْحَدَثِ وَالْأَذَى. وَأَنْتَ الْقَدَحُ لِأَنَّهُ ذَهَبَ بِهَا  
 إِلَى الشَّرْبَةِ».

٢٠

- (٧) كَذَا فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ. وَفِي الْأَصُولِ: «وَالْأَيْلِ».  
 (٨) كَلِمَةُ «الْأَرْضِ» لَيْسَتْ فِي غَيْرِ الْأَصْلِ.  
 (٩) كَذَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ. وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: «فِي يَوْمٍ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ وَاجْهَتْ بِهِ الْجِبَالُ».  
 وَفِي الْأَسْلِ: «فِي يَوْمٍ أَصْفَرَتْهُ وَوَاجِهَتْهُ الْجِبَالُ».

يا رسول الله، ما الجنة وما النار. <sup>(١)</sup> قال: "لَعَمْرُكَ إِنْ لِلنَّارِ لِسَبْعَةِ أَبْوَابٍ مَا مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يُسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا. وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ مَا مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يُسِيرُ الرَّكَّابُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا". قلت: يا رسول الله، فَعَلَامَ نَطَّلِعُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قال: "عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بِهَا صُدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، [وَفَاكِهَةٍ لَعَمْرُكَ مَا تَعْلَمُونَ] <sup>(٣)</sup> وَخَيْرٌ مِنْ مِثْلِهِ مَعَهُ وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ". قلت: يا رسول الله، وَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ أَوْ مِنْهُمْ مَصْلِحَاتٌ؟ قال: "الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ تَلَذُّوْنَهُنَّ مِثْلَ لَذَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَلَذُّنَّكُمْ غَيْرُ أَنْ لَا تَوَالِدَ فِيهَا".

انتهى التذييل على القسم الثالث بعون الله تعالى وحسن توفيقه. والله الموفق

للصواب.

(١) في العقد الفريد: «في الجنة أم النار». وفي سائر المصادر التي بين أيدينا: «أما الجنة وأما النار».

(٢) كذا في مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية. وفي الأصول: «لعمرك إلهك لها».

(٣) ما بين المربعين عبارة مسند الإمام أحمد والبداية والنهاية والعقد الفريد. وفي الأصل: «وماء غير آسن خير مما تعملون وخير من مثله معه».

(٤) في الأصل: «أن لنا فيها أزواجا أو منهن مصلحات».

## القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأصقاع ، وملوك الأمم والطوائف ، وخبر سبل العرم  
ووقائع العرب في الجاهلية ، ويشتمل على خمسة أبواب

### الباب الأول

في أخبار ذي القرنين الذي ذكره الله عز وجل

في كتابه العزيز في سورة الكهف

- قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآيَاتِنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ۝ ﴾ . واختلف في تسميته ذا القرنين ، ف قيل : لبلوغه أطراف الأرض ، وإن الملك الموكل بجبل قاف سماه بذلك . وهذا القول محكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . وقيل : إنما سُمِّيَ بذلك لأنه كانت له ذؤابتان من الذهب . ويعزى هذا القول إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وقيل : إنما سُمِّيَ بذلك لأنه رأى في منامه أنه يدنو من الشمس فيضع يده في قرنيها من شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين ، وهذا القول مروى عن وهب . وقيل : إنما سُمِّيَ به لأن الله تعالى كان قد بعثه إلى قوم فضر به على قرنه فمات ، فأحياه الله ثم بعثه اليهم فضر به على قرنه الآخر فمات ، ثم أحياه الله ، فسمي ذا القرنين . وقيل : إنما سُمِّيَ بذلك لأنه أفنى قرنين من الناس . وقيل : لأنه كريم الطرفين من أهل بيت شريف من قبل أبيه وأمه . وقيل : لأنه أُعطي علم الظاهر والباطن .

وقيل : لأنه دخل الظلمة والنور . وقيل : لأنه ملك فارس والروم . وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

قال وهب : كان ذو القرنين رجلا من أهل الإسكندرية يقال له الإسكندروس . والعجب كونه نسبته أنه من أهل الإسكندرية ، وقد نقل جماعة من أهل التاريخ أن الإسكندر هو الذي أنشأ الإسكندرية وبنائها ، فكيف يكون من أهلها وهو الذي أنشأها واليه نسبت ! . ورؤي عن وهب أيضا أن ذا القرنين كان خارجيا في قومه ، ولم يكن بأفضلهم نسبا ولا حسبا ولا موضعا ، ثم قال بعد ذلك : إن الله تعالى بعثه نبيا ورسولا . ولا يكون الأنبياء إلا من أفضل قومهم حسبا وأشرفهم نسبا . وقد يكون هذا النقل لاختلاف الروايات . وما آفة الأخبار إلا روايتها .

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره عن ابن إسحاق قال حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم : أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر ، اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث ابن نوح . قال وقال ابن هشام : اسمه الإسكندر ، وهو الذي بنى الإسكندرية ، فنسبت إليه . قال وقيل : اسمه هرمس ، ويقال هرديس . وقال ابن هشام : هو الصعب بن ذي زن الحميري . وقال وهب : هو رومي . وقيل : إنه أفريدون [ الذي قتل بيوراسب بن أرونداسب <sup>(٣)</sup> ] الملك الفارسي <sup>(٤)</sup> .

(١) وقد ساق ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (ج ٢ ص ١٠٣) بعض الأقوال التي لم تذكر هنا .  
(٢) كذا في السيرة النبوية لابن هشام (ص ١٩٧ طبع أوروبا) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٢ ص ١٠٥ طبع مصر) . وفي تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٥ طبع دار الكتب المصرية) : «مرزبان بن مرذبة» . وفي الأصول : «مرزبان بن مرذبة» . (٣) التكملة عن تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٤٧) .  
(٤) في تفسير القرطبي : «الملك الطاغى على عهد إبراهيم عليه السلام ، أو قبله بزمان» .

- وقال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى في قصصه - وذكر الخلاف في نبوته -
- قال : الصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مُرْسَل، كما رُوي عن وهب وغيره من أهل الكتب . قل وقالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره، وكان اسمه إسكندروس . قال ويقال : كان اسمه ابن عياش، وكان عياش عبداً صالحاً . قال وهب : ونشأ ذو القرنين في علم وأدب وثروة وعفة، ولم يزل يتخلق بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور حتى بُعدت همته، واشتد أمره، وعلا صوته، وعز في قومه، وألقى الله تعالى عليه الهيبة، وحدث نفسه بمعالي الأمور . قال الثعلبي : فلما استحكم ملكه واستجمع أمره أوحى الله تعالى إليه : يا ذا القرنين ، إني بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين ، وجعلتك حجتى عليهم ، وهذا تأويل رؤياك . وإني باعثك إلى أمم الأرض كلهم وهي سبع أمم مختلفة ألسنتهم ، منهم أمتان بينهما عرض الأرض ، وأمتان بينهما طول الأرض ، وثلاث أمم في وسط الأرض ، وهم الإنس والجنّ وأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فأتمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، والأخرى [بجياها عند مطلع الشمس] يقال لها منسك . وأما الأمتان اللتان بينهما عرض الأرض فأتمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل ، والأخرى بجياها في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل . فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين : إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها بأى قوة أكثرهم ، وبأى حيلة وجمع أكبرهم ، وبأى صبر أقاسيهم ، وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم ، وبأى سمع أسمع أقوالهم ، وبأى بصر أنفذهم ، وبأى
- (١) كذا في الثعلبي . وفي الأصول : « ابن عباس » . (٢) كذا في الثعلبي . وفي الأصل « عرض الأرض » . (٣) زيادة عن الثعلبي . (٤) في الأصل : « طول الأرض » . (٥) في الثعلبي : « لا يقدر عليه ذو قدرة إلا أنت » .

تَجَّةَ أَخَاصِمِهِمْ ، وَبَأَى عَقْلَ أَعْقِلَ عَنْهُمْ ، وَبَأَى قَلْبَ وَحَكْمَةَ أَدْبَرِ أَمْرِهِمْ ،  
 وَبَأَى قَسْطَ أَعْدِلَ بَيْنَهُمْ ، وَبَأَى حِلْمَ أَصَابِرِهِمْ ، وَبَأَى مَعْرِفَةَ أَفْصَلِ بَيْنَهُمْ ،  
 وَبَأَى عِلْمَ أَتَقَنَ أَمْرِهِمْ ، وَبَأَى يَدَ أَسْطَوِ عَلَيْهِمْ ، وَبَأَى رَجُلٍ أَطْوَاهُمْ ، وَبَأَى طَاقَةَ  
 أَحْصِيهِمْ ، وَبَأَى جُنْدَ أَقَاتِلِهِمْ ، وَبَأَى رَفِيقَ أَتَأَلَّفُهُمْ ، وَلَيْسَ عِنْدِي يَا إِلَهِي شَيْءٌ مِمَّا  
 ذَكَرْتُ يَقُومُ لَهُمْ وَيَقْوَى عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي لَا تَتَكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وَسَّعَهَا ،  
 وَلَا تَحْمِلُهَا إِلَّا طَاقَتَهَا ، وَلَا تُشَقِّقُهَا ، بَلْ أَنْتَ تَرْحَمُهَا . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : إِنِّي سَأُطَوِّقُكَ  
 مَا حَمَلْتُكَ ، وَأُشْرِحَ لَكَ صَدْرَكَ وَنَسَمَكَ فَتَسْمَعَ وَتَعِيَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأُوسِّعَ لَكَ فَهْمَكَ فَتَفْقَهُ  
 كُلَّ شَيْءٍ ، وَأُبَسِّطَ لَكَ لِسَانَكَ فَتَنْطِقَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأُفْتَحَ لَكَ بَصْرَكَ فَيَنْفُذَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ،  
 وَأُحْصِيَ لَكَ قُوَّتَكَ فَلَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ ، وَأُشَدِّدَ لَكَ عَضُدَكَ فَلَا يَهُولُكَ شَيْءٌ ، وَأُشَيِّدَ لَكَ  
 رَكْبَكَ فَلَا يَغْلِبُكَ شَيْءٌ ، وَأُشَدِّدَ لَكَ قَلْبَكَ فَلَا يُفْزَعُكَ شَيْءٌ ، وَأُشَدِّدَ لَكَ يَدَيَاكَ فَتَسْطُوَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ ، وَأُلْبَسَكَ الْهَيْبَةَ فَلَا يَرُوعُكَ شَيْءٌ ، وَأُسَخِّرَ لَكَ النُّورَ وَالظُّلُمَةَ وَأَجْعَلُهُمَا جُنْدًا مِنْ  
 جُنُودِكَ ، يَهْدِيكَ النُّورُ مِنْ أَمَامِكَ ، وَتَحْوَطُكَ الظُّلُمَةُ مِنْ وَرَائِكَ . قَالَ : فَلَمَّا قِيلَ لَكَ  
 ذَلِكَ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْمَسِيرِ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ قَوْمُهُ بِالْمُقَامِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ وَقَالَ : لَا بَدَّ مِنْ طَاعَةِ  
 اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ وَهَبَ : وَكَانَ أَقُولُ مَا بَدَأَ بِهِ أَنْ أَخَذَ قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا قَهْرًا  
 مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْبُوَالَهُ مَسْجِدًا وَيَجْعَلُوا طَوْلَهُ أَرْبَعًا ذِرَاعًا ،  
 وَعَرْضُهُ مَائَتِي ذِرَاعًا ، وَتُحْمُكَ حَائِطُهُ اثْنِينَ وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَأَرْتِفَاعُهُ فِي السَّمَاءِ  
 مَائَةَ ذِرَاعٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْصَبُوا فِيهِ سَوَارِي . قَالُوا : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ، كَيْفَ لَنَا بِخَشَبٍ  
 يَبْلُغُ مَا بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ ؟ فَلَمَّا كَمَلَ الْبِنَاءُ أَمَرَهُمْ بِرَدْمِهِ بِالتُّرَابِ ، ثُمَّ فَرَضَ عَلَى الْمُؤَسِّرِ قَدْرَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا ذَلِكَ الذَّهَبَ كَقُلَامَةِ الظَّفَرِ

(١) كَذَا فِي التَّعْلِي . وَفِي الْأَصْل : « أَقُومُ لَهُمْ وَأَقْوِي عَلَيْهِمْ » .

(٢) كَلِمَةُ « قُوَّتَكَ » لَيْسَتْ فِي التَّعْلِي . (٣) كَذَا فِي التَّعْلِي . وَفِي الْأَصْل : « بِدَنِكَ » .



ويخلطوه بالتراب وكبسوا التراب حتى ساوى البناء ، ثم أمرهم بعد ذلك أن يتخذوا أعمدة من النحاس بدلا من الخشب فصنعوها ، وجعلوا على كل حائط اثني عشر ذراعا ، فكان طول كل عمود من النحاس مائتين وأربعة وعشرين ذراعا ، فتمكنوا من ذلك بسبب الردم . فلمّا استقر السقف بما فيه أمر الإسكندر المساكين أن يتحوّلوا التراب ، ومن خرج له شئ من الذهب فهو له ، فسارعوا إلى ذلك ونقلوه واستغنوا بما فيه ، ثم جند القوم أربعين ألفا ، وهم أول جند اتبعوه .

- وقال الشعبي رحمه الله : إن الإسكندر جند المساكين بما حصل لهم من قراضة الذهب ، وكانوا أربعين ألفا ، جعلهم أربعة أجناد ، في كل جند عشرة آلاف . قال : ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل غير المساكين ، وهم أربعون ألفا ، ثم انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس ، فسار لا يتر بأمة إلا دعاهم إلى الله تعالى ، فإن أجابوه قبل ذلك منهم ، وإن أبوا عليه غشيتهم الظلمة فلبست مدائنهم ومنازلهم وأعشت أبصارهم ، فيتجبروا حتى يجيبوه ، أو يأخذهم عنوة . ولم يزل كذلك حتى بلغ مغرب الشمس . قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّبِعْ سَبِيلًا \* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي ذات حمأة ، ومن قرأ حامية فعناه حارة ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ يُسْرًا ﴾ . قال الشعبي : فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله تعالى ، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى ، ورأى ألسنا مختلفة وأهواء متشتتة ، وهذه الأمة هي ناسك . فلمّا رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرِب حولهم ثلاث عساكر فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ،
- (١) كذا في الشعبي . وفي الأصل : « استقل » . (٢) سورة الكهف آية ٨٥ وما بعدها .

٩١  
١٢

فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخلهم الظلمة ، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأذانهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب ، فصاحوا وتحيروا وأشفقوا من الهلكة ، فعجوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته ، فخذ منهم أمما عظيمة وجعلهم جندا واحدا ، ثم أنطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامهم ، وسار يريد الأمة التي في قطر الأرض التي يقال لها هاويل ، فكان إذا انتهى إلى بحر أو نهر بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال ونظمها في ساعة ، ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم والجنود ، فإذا قطع ذلك البحر أو النهر فتتها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكره حمله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ففعل بهم كما فعل بالأمة التي قبلها . قال : ولما فرغ منها مضى حتى انتهى إلى ميسك وهي الأمة التي عند مطلع الشمس . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطَايِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا \* كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ . قال : وقوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وكانوا يكونون في أسراب<sup>(٢)</sup> لهم ، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معاشهم وحروثهم . وقال الحسن<sup>(٣)</sup> : كانت أرضهم أرضا لا تحمل البناء ، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم تهوؤروا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما ترعى البهائم . وقال الكلبي : هم أمة يقال لها ميسك امرأة حفاة عمأة عن الحق . قال : وحدثني عمرو بن مالك بن أمية قال : وجدت رجلا بسمرقند يتحدث الناس

(١) سورة الكهف آية ٨٩ وما بعدها .

(٢) الأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو الحفير تحت الأرض .

(٣) عبارة الحسن في تفسير القرطبي (ج ١١ ص ٥٤) : كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ، وكانت لا تحمل البناء فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فيتراعون كما ترعى البهائم .

- وهم مجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين  
 تطأ عليهم الشمس ، قال : خرجت حتى جاوزت الصين ، ثم سألت عنهم فقليل : [لى] <sup>(١)</sup>  
 إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فاستأجرت رجلاً [يرينهم] <sup>(٢)</sup> ، فسرت بقية عشتي ولياتي  
 حتى صبحتهم ، فإذا أحدهم يفتش أذنه ويلبس الأخرى . وكان صاحبي يحسن لسانهم  
 فسأله فقال : جئنا ننظر كيف تطأ الشمس . قال : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا  
 مثل الصلصلة ، فغشي على فوقعت ، فلما أفقت وجدتهم يمسحونني بالدهن فإذا  
 الشمس طلعت على الماء ، وهى عليه كهيئة الزيت ، وإذا طرف السماء كهيئة  
 القسطاط ، فلما ارتفعت دخلوا فى سرب لهم وأنا وصاحبي ، فلما ارتفع النهار خرجوا  
 إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه فى الشمس فينضج .
- ١٠ نرجع إلى تمة أخبار الإسكندر ومطلع الشمس . قالوا : ولما بلغ الإسكندر  
 مطلع الشمس فعل بمنسك كما فعل بالأمم التى قبلها وجند منها جنودا ، ثم كثر حتى  
 أخذ ناحية الأرض اليسرى وهى بدء تاويل ، وهى الأمة التى بحيال هاويل ، وهما  
 متقابلتان بينهما عرض الأرض . فلما بلغها عمل فيها كما عمل بمن قبلها . ولما فرغ  
 من الأمم الذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق والغرب عطف منها إلى الأمم  
 التى هى فى وسط الأرض من الجن والإنس ويأجوج ومأجوج . فلما كان فى بعض  
 الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس :  
 ياذا القرنين ، إنا بين هذين الجبلين خلقنا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الإنس ،  
 وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع ،  
 ويأكلون هوائى الأرض من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله تعالى .  
 ٢٠ وليس لله خلق يندون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم . فإن أتت مدة على ما نرى من

(١) التكملة عن القرطبي . (٢) فى تفسير القرطبي : « ويلتحف » .

نمائهم وزيادتهم فلا شك أنهم سيميلون الأرض ويُخْلون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها . وليست تتمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطأ علينا أوطم من <sup>(١)</sup> [ بين <sup>(٢)</sup> هذين الجبلين ] .

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي في كتابه عن وهب بن منبه : إن يأجوج ومأجوج أجفلوا في زمن ذى القرنين يريدون أرضا وأمة من الأمم ، وكانوا إذا توجهوا لوجه لم يعدلوا عنه ولا يميلون ولا يعرجون ، وكانت تُسمع همهمتهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم . فلما سمعت تلك الأمة حسهم استغاثوا بذي القرنين ، وهو يومئذ في ناحية أرضهم من شرقى أرض الترك والخزر وقالوا : يا ذا القرنين ، إنه قد بلغنا ما آتاك الله من السلطان والمُلْك ، وما ألبسك من الهيبة ، وما أيدك به من جنود أهل الأرض ومن النور والظلمة ، وإنا جيران يأجوج ومأجوج ، وليس بيننا وبينهم إلا شواحق الجبال ، وليس لهم إلينا طريق إلا من هذين الصدفين ، فهل نجعل لك <sup>(٣)</sup> خرجاً [ على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ] . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبِيلاً ﴾ <sup>(٤)</sup> حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ <sup>(٥)</sup> قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ <sup>(٦)</sup> أَى جَعَلًا وَأَجْرًا ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ <sup>(٧)</sup> أَى حَاجِزًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْنَا ﴿ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي ﴾ <sup>(٨)</sup> أَى قَوَانِي ﴿ خَيْرٌ ﴾ <sup>(٩)</sup> مِنْ خَرَاكُم وَلَكِنْ ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> حَاجِزًا كَالْحَائِطِ . قالوا : وما تلك القوة ؟ قال : فعلة وصنّاع

٩٢  
١٢

(١) الكلمة عن الثعلبي . (٢) هما جبلان من قبل إرمينية وأذربيجان ، كما في تفسير

القرطبي . (٣) أجفلوا : أسرعوا الهرب . وهي هنا غير واضحة في السياق .

(٤) الصدفان : جانبا الجبل ، لأنهما يتصادفان أى يتقابلان .

(٥) سورة الكهف آية ٩٢ وما بعدها .

- يُحْسِنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ وَالْآلَةَ . قَالُوا : وَمَا تِلْكَ الْآلَةُ : قَالَ ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾  
 يَعْنِي قِطْعَهُ ، وَاحِدَتَهَا زُبْرَةٌ . وَآتُونِي بِالنُّحَاسِ . قَالُوا : مِنْ أَيْنَ لَنَا الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ  
 [ مَا يَكْفِي هَذَا الْعَمَلُ ] ؟ قَالَ ، سَأَدَّكُمْ عَلَى مَعَادِنِ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ ، فَضَرْبَ لَهْمٍ  
 فِي جَبَلَيْنِ حَتَّى فُلَقَهُمَا ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ مِنْهُمَا مَعْدِنَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ . قَالُوا : فَبِأَيِّ  
 قُوَّةٍ نَقْطَعُ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ ؟ فَاسْتَخْرَجَ مَعْدِنَ السَّامُورِ وَهُوَ أَشَدُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيَاضًا ،  
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَ بِهِ سَلِيمَانُ صَخُورَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَوَاهِرَهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ . قَالَ الثَّعْلَبِيُّ :  
 وَلَمَّا شَغَلَهُمُ الْإِسْكَانْدَرُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ سَارَ نَحْوَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ  
 لِيَعْلَمَ عَلَيْهِمُ ، فَأَنْطَلَقَ يُؤْتِمُهُمْ حَتَّى آتَاهُمُ الْإِلَهْمُ وَتَوَسَّطَ بِلَادَهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ عَلَى مَقْدَارِ  
 وَاحِدٍ ذَكَرَهُمْ وَأَنْتَاهُمْ ، يَبْلُغُ طَوْلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مِثْلَ نِصْفِ الرَّجُلِ الْمَرْبُوعِ مَنًى .  
 وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْهُمْ مَنْ طَوْلُهُ شِبْرٌ ، وَمِنْهُمْ  
 مَنْ هُوَ مُفْرِطٌ فِي الطَّوْلِ ، لَهُمْ مَخَالِبُ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْضِعُ الْأَظْفَارِ ، وَأَنْيَابٌ وَأَضْرَاسٌ  
 كَالسَّبَاعِ ، يُسَمَّعُ لَهَا حَرَكَةٌ إِذَا أَكَلُوا كَتَمَ الْبَغْلُ الْمَسْنَى أَوْ الْفَرَسُ الْقَوَى ، وَلَهُمْ  
 مِنَ الشَّعْرِ فِي أَجْسَادِهِمْ مَا يُوَارِيهِمْ وَمَا يَتَّقُونَ بِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 أُذُنَانِ عَظِيمَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا وَبَرَةٌ وَالْأُخْرَى زَغَبَةٌ<sup>(٢)</sup> ، يَفْتَرِشُ إِحْدَاهُمَا وَيَلْتَحِفُ  
 الْآخَرَى ، وَيَصَيِّفُ فِي إِحْدَاهُمَا وَيُسْتَشِي فِي الْآخَرَى . وَقَالَ الْأَنْمَاطِيُّ فِي خَبَرِهِ :

(١) زِيَادَةُ عَنْ الثَّعْلَبِيِّ .

(٢) وَرَدَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ (ج ٢ ص ١١٠ طَبْعُ مِصْرَ) رَدًّا عَلَى هَذَا مَا نَصَّهُ :

- « مِنْ زَعَمِ أَنَّهُمْ عَلَى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَطْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ جَدًّا ، فَفَنَّهُمْ مِنْ هُوَ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، وَمِنْهُمْ  
 مَنْ هُوَ غَايَةُ فِي الْقَصْرِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْتَرِشُ أُذُنًا مِنْ أُذُنَيْهِ وَيَتَغَطَّى بِالْآخَرَى ؛ فَكُلُّ هَذِهِ أَقْوَالُ بَلَا دَلِيلٍ ،  
 وَرَجْمٌ بِالْغَيْبِ بِغَيْرِ بَرَهَانٍ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ وَعَلَى أَشْكَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ » ١٥ .  
 وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ الْقَصَصِ مِنْ صِفَاتِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَعَالِيهِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ  
 قِبَلِ الْخُرَافَاتِ وَالْإِسْرَافِيَّاتِ الَّتِي هِيَ كَذِبٌ مُحْضٌ ، تَنَاقُلُهُ أَوْلِيَاءُ الرِّوَاةِ وَالْكَاتِبُونَ بَدُونَ تَحَرُّزٍ وَلَا تَدْقِيقٍ =

ولهم أخفاف كأخفاف الإبل . قالوا : وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا قد عرف  
أجله الذى يموت فيه . وذلك أن الذكر منهم لا يموت حتى يخرج من صلبه ألف  
ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد<sup>(١)</sup> ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت

== وقد أثبت المحققون من رجال التاريخ أن أصل المغول والنتر من رجل يقال له « ترك » . وسماه  
أبو الفداء باسم « مأجوج » . فيظهر من هذا أن المغول والنتر هم مأجوج ومأجوج وكانوا يشغلون الجزء  
الشمالى من آسيا الكبرى من التبت جنوبا الى المحيط المنجمد الشمالى ، وتنتهى بلادهم غربا بمسا بلى بلاد  
الترستان .

وما ذكره الله تعالى من إفسادهم فى الأرض فقد ذكر المؤرخون أن هذه الأمم كانت تغير على من  
جاورها من الأمم فى أزمنة مختلفة وأهلكوا الحرث والنسل وخرّبوا البلاد . وذكروا أن منهم الأمم  
المتوحشة والجيوش الجارفة التى انحدرت من حضبات آسيا الوسطى الى أوروبا وآسيا الغربية مقتر الأنبياء  
( صلوات الله وسلامه عليهم ) . كل ذلك قبل نزول القرآن وظهور النبي صلى الله عليه وسلم الى أن ظهرت  
تلك الداهية الدهيئة والغارة الشعواء فى أوائل القرن السابع من الهجرة إذ ظهر منهم رجل يسمى  
« تموجينى » وهو جنكيزخان المتوفى سنة ٦٢٤ هـ فأكتسح بجموعه قسما عظيما من البلاد الاسلامية وأبادوا  
جموعها حتى وصلوا الى الشام بدون أن ينال فسادهم الحرمين الشريفين ولا القدس كما أخبرت به الأحاديث .  
وقد انسابوا على البلاد الاسلامية من كل حدب ؛ وذلك هو مصداق القرآن الكريم . ومن أراد  
الاستفاضة فى هذا فليراجع تفسير العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ( ج ٩ ص ١٩٧ — ٢٠٨ )  
والدعاية الى سبيل المؤمنين للعلامة الشيخ ابراهيم أطفيش الجزائرى ( ص ١٤٩ — ١٥٣ ) وقاكة  
ال خلفاء ( ص ٢٢٦ ) .

وقال المرحوم أمين واصف بك فى كتابه معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية عن مأجوج  
ومأجوج ما نصه : « يؤخذ مما قرره الباحثون أن هذه الأقوام هى أمم السكيكثيون ( Ces Seytes )  
عند اليونان ؛ وكانت منازلهم بالشمال الشرقى من بحر الخزر ، وهم قبائل رحل ، وكانوا على حدود بلاد  
ماوراء النهر مما بلى فرغانة والشاش ؛ ومنهم قبائل الخزر والمساجيت أو من سلاتهم » اهـ .  
( ١ ) ورد فى البداية والنهاية أيضا ردا على هذا مانصه :

« ما قبل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا فإن صح فى خبر قلنا به وإلا فلا نردّه إذ يحتمله  
العقل ، والنقل أيضا قد يرشد إليه . بل ورد حديث مصرح بذلك إن صح قال الطبرانى — وذكر السند —  
قال : ( إن مأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا معاشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك  
من ذريته ألفا فصاعدا ... ) وهو حديث غريب جدا وإسناده ضعيف وفيه نكارة شديدة » .

وترك طاب المعيشة . قالوا : وهم يُرزقون التين في أيام الربيع ، يقذفه عليهم السحاب من البحر في كل عام مرة . فإذا تأخر عنهم وقت عادته استمطروه كما يُستمطر الغيث حينه ، فإن قذفوا به أخصبوا وسموا وتوالدوا وكثروا وأكلوا منه حولا كاملا لا يأكلون غيره ، ويقذفونه فيعمهم على كثرتهم . قال : وهم يتداعون تداعي الحمام ، ويعوون عواء الذئاب ، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا . فلما عاينهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقام ما بينهما ، ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس فصنع منه زبرا أمثال الصخور العظام ، ثم أذاب النحاس بفعله كالطين والألأط به تلك الصخور الحديد ثم بناه .

قالوا : وكيفية بنائه على ما ذكره أهل السير : أنه لما قام ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، ثم حفّره الأساس حتى بلغ الماء ، وجعل عرضه خمسين فرسخا ، ثم وضع الحطب بين الجبلين ، ثم نسج عليه الحديد ، ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يحول الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى ساوى بين الصدفين ، وهما الجبلان ، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، ثم قال انفخوا ثم جعل يُفرغ القطر وهو النحاس المذاب ، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس ، فصار كأنه برد حبة من صفرة النحاس وحمرة ، وسواد الحديد وغبته ، فصار سدا طويلا عظيما حصينا . قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ <sup>(١)</sup> . وقد روى أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سدا يأجوج ومأجوج . قال : « إنَّته لي » . قال : كالبُرد المحبَّر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . قال : « قد رأيتَه » .

(١) في الأصل : « يفرغ مفرغ القطر » وهو تحريف . (٢) برد حبة (على الوصف والإضافة) : ضرب من البرود ايمانية المخططة . (٣) سورة الكهف آية ٩٧

وقد ذكرنا خبر السد فيما سلف من كتابنا هذا عن سلام الترجمان حين أرسله الواثق إلى السد فرآه ، وهو في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

قال الأنماطي قال وهب : فبلغنا — والله أعلم — أنهم يأتونه في كل سنة مرة ، وذلك أنهم يسيحون في بلادهم حتى إذا آتوهوا إلى ذلك الردم حبسهم فرجعوا يسيحون في بلادهم ، فهم كذلك حتى تقرب الساعة ، فإذا جاء أشراطها فتجه الله عز وجل ، فذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾<sup>(٣)</sup> . والله أعلم .

## ذكر خبر دخول ذي القرنين الظلمات

٩٣  
١٢

مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله : قال علي رضي الله عنه : ملك ذو القرنين ما بين المشرق والمغرب ، وكان له خليل من الملائكة اسمه رفايل يأتيه ويزوره . فبينما هما ذات يوم يتحادثان إذ قال ذو القرنين : يا رفايل ، حدثني عن عبادتكم [ في السماء ]<sup>(٤)</sup> . فبكى وقال : يا ذا القرنين ، وما عبادتكم [ بشيء ]<sup>(٤)</sup> عند عبادتنا ! إن في السماء من الملائكة من هو قائم أبدا لا يجلس ، ومنهم من هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ، ومنهم الراكع لا يستوي أبدا قائما ، يقولون : سبحان الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، ربنا ما عبدناك حق عبادتك . فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال : إني لأحب أن

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٨ من هذه الطبعة) . (٢) سورة الأنبياء آية ٩٦

(٣) سورة الكهف آية ٩٨ (٤) زيادة عن الثعلبي .



- أعيش فأبلغ من عبادة ربّي حقّ طاعته . قال رفائيل : أوتحبّ ذلك ؟ قال نعم .
- قال : فإنّ الله عينا في الأرض تسمى عين الحياة فيها من الله عزيمَةً ، إنّ من يشرب منها شربة لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت . قال ذو القرنين : هل تعلم موضع تلك العين ؟ قال الملك : لا ، غير أنّا نتحدّث في السماء أنّ الله تعالى في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جات ، فنحن نظن أنّ العين في تلك الظلمة . بجمع ذو القرنين ٥
- علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم : أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله وما جاءكم من أحاديث الأنبياء ومن كان قبلكم أنّ الله وضع في الأرض عينا سماها عين الحياة ؟ . قالوا لا . وقال عالم من العلماء : إنّى قرأت وصية آدم . وصى أنّ الله تعالى خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جات ووضع فيها عين الخالد . فقال ذو القرنين : فأين وصيته في الأرض ؟ قال : على ١٠ قرن الشمس . فبعث ذو القرنين وحشّر إليه العلماء والأشراف والملوك ، ثم سار يطلب مطلع الشمس ، فسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة ، فإذا ظلمة تقوم مثل الدخان ليست بظلمة ليل ، فعسكر هناك ، ثم جمع العلماء وقال : إنّى أريد أن أسلك هذه الظلمة . قالوا : إنه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطأها ، فإنّا نخاف أن ينبثق عليك أمر تكرهه فيكون فيه فساد [ أهل ] ١٥
- الأرض . فقال : لا بدّ من أن أسلكها . قالوا : أيها الملك كف عنها ولا تطأها فإنّا لو نعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط علينا ربنا لأتبعناك ، ولكنّا نخاف العتب من الله عز وجل وفساد الأرض ومن عليها . فقال : لا بدّ أن أسلكها .

(١) كذا في التعلي . وفي الأصل : « وقال عالم العلماء منهم » .

(٢) كذا في التعلي . وفي الأصل : « لا يطؤها » . ٢٠

(٣) في الأصل : « تفور » . (٤) زيادة عن التعلي .

قالوا : شأنك بها . قال : أىّ الدوابّ بالليل أبصر ؟ قالوا : الخيل . قال :  
 فأىّ الخيل أبصر ؟ قالوا : الإناث . قال : فأىّ الإناث أبصر ؟ قالوا : البكار . بجمع  
 ذو القرنين ستة آلاف فرس بهذه الصفة ، ثم انتخب من عسكره [ أهل الجبل  
 والعقل ] ستة آلاف رجل ، فدفع إلى كل رجل فرسا ، وعقد للخضر عليه السلام  
 على مقدمته ألفين ، وبقي هو في أربعة آلاف . وقال ذو القرنين للناس : لا تبرحوا  
 من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة ، فإن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى بلادكم .  
 فقال الخضر : أيها الملك ، إنا نسلك ظلمة لا ندرى كم المسير فيها ولا يبصر بعضها  
 بعضا ، فكيف نصنع إذا ضلنا ! فدفع إلى الخضر خرزة حمراء وقال : حيث يصيبكم  
 الضلال فأطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها أهل الضلال أين  
 صاحت . فسار الخضر بين يديه ، يرتحل الخضر وينزل ذو القرنين . فبينما الخضر  
 يسير إذ عرّض له وادٍ فظن أن العين فيه وألقى ذلك في قلبه . فقام على شفير الوادي  
 وقال لأصحابه : قفوا لا تبرحوا ، ورمى بالخرزة في الوادي ومكث طويلا حتى أجابته  
 الخرزة ، فطلب صوتها فأنتهى إليها فإذا هي إلى جانب العين . فترع الخضر ثيابه  
 ثم دخل العين ، فإذا مأوها أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من الشهد ، فشرب وأغتسل  
 وتوضأ ولبس ثيابه ، ثم رمى الخرزة نحو أصحابه ، فوقعت الخرزة وصاححت ، فرجع إلى  
 صوتها حتى انتهى إلى أصحابه ، فركب وقال : سيروا على اسم الله . ومرة ذو القرنين  
 فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوما وليلة ، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء  
 شمس ولا قمر ، وإلى أرض حمراء ورملية خشخاشية ، فإذا هو بقصر مبنّى في تلك  
 الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب ، فنزل ذو القرنين بعسكره ، ثم خرج وحده  
 فدخل القصر ، فإذا حديدة قد وُضع طرفاها على جانبي القصر من هاهنا وهاهنا ،

- وإذا طائر أسود يشبه الحطاف مزموماً بأنفه إلى الحديدية، معلق بين السماء والأرض.
- فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين قال : من هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين .
- فقال : يا ذا القرنين ، أما كفالك ما وراءك حتى وصلت إلى ؟ ! ثم قال الطائر :
- يا ذا القرنين ، حدثني ، قال سأل ، فقال : هل كثر بناء الآجر والحصص في الأرض ؟
- قال نعم ، فأنتفض الطائر انتفاضةً ثم أنتفخ فبلغ ثلث الحديدية ، ثم قال : يا ذا القرنين ، هل
- كثرت شهادات الزور في الأرض ؟ قال نعم ، فانتفض الطائر ثم أنتفخ فلأ الحديدية
- وسد ما بين جداري القصر . ففرق ذو القرنين فرقاً عظيماً . فقال الطائر : لا تخف ،
- حدثني . قال سأل . قال : هل ترك الناس [شهادة أن] لا إله إلا الله بعد ؟ قال لا ،
- فأنضم الطائر لثله ثم قال : هل ترك الناس الصلاة المفروضة بعد ؟ قال لا ، فأنضم
- لثلاه . ثم قال : يا ذا القرنين ، هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا ، فعاد الطائر
- كما كان . ثم قال : يا ذا القرنين ، أسلك هذا الدرج درجةً درجةً إلى أعلى القصر ،
- فسلكها وهو خائف وجل لا يدري على ماذا يهجم ، حتى انتهى إلى سطح ممدود ، عليه
- صورة رجل شاب قائم . وعليه ثياب بيض ، رافعا وجهه إلى السماء ، واضعاً يديه على
- فيه ، فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال : من هذا ؟ قال : أنا ذو القرنين . قال :
- يا ذا القرنين ، إن الساعة قد اقتربت ، وأنا منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ [فأنفخ] ،
- ثم أخذ صاحب الصور شيئاً بين يديه كأنه حجر وقال : خذه يا ذا القرنين ، فإن شيع
- هذا شيعت ، وإن جاع جعت ، فأخذه ونزل إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر
- وما قال له وما رد عليه ، وما قال صاحب الصور . ثم جمع علماء عسكره فقال :
- أخبروني عن هذا الحجر ما أمره ؟ [فقالوا : أيها الملك ، أخبرنا عما قال لك فيه صاحب
- الصور . فقال ذو القرنين : إنه قال لي : إن شيع هذا شيعت وإن جاع جعت] فوضعوا

ذلك الحجر في إحدى كفتي ميزان وأخذوا حجرا مثله فوضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا هو يميل ، [فوضعوا معه آخر فإذا هو يميل بهن<sup>(١)</sup>] فلم يزالوا يضعون حتى وضعوا ألف حجر فمال بالألف جميعا ، فقالوا : انقطع علمنا دون هذا الحجر لا ندرى أسحر هو أم علم [ما علمه<sup>(١)</sup>] ! فقال الخضر : نعم أنا أعلمه ، فأخذ الميزان بيده ثم وضع الحجر في كفتها وأخذ كفا من تراب فجعله في الكفة الأخرى ثم رفع الميزان فأستوى .

نفذت العلماء سُجَّدًا لله تعالى وقالوا : هذا علم لم يبلغه علمنا . فقال الخضر عليه السلام : أيها الملك ، إن سلطان الله عز وجل قاهرٌ لخالقه ، وأمره نافذٌ فيهم ، وحُكْمه جارٍ عليهم ؛ وإن الله تعالى ابتلى خَلْقَه بعضهم ببعض ، فأبتلى العالمَ بالعالم ، والجاهلَ بالجاهل ، والعالمَ بالجاهل ، والجاهلَ بالعالم ؛ وإنه آتِلاني بك وآتلاك بي .

قال ذو القرنين : صدقت ، فأخبرني ما هذا ؟ فقال الخضر : أيها الملك ، هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ، [إن الله تعالى مكن لك في البلاد ، وأعطاك منها ما لم يعط أحدا ، وأوطأك منها ما لم يوطئ أحدا ، فلم<sup>(٢)</sup>] تشبع ، وآتيت نفسك شرها ، حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه إنس ولا جان ، فهذا مثلُ ضربه لك ، إن ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يُحْتَى عليه التراب ، ولا يملأ جوفه إلا التراب . فبكى ذو القرنين وقال : صدقت ، لا جرم [أنى<sup>(١)</sup>] لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ، ثم انصرف راجعا . فلما توسط الظلمة وطئ وادي الزبرجد ، فقال من معه لما سمعوا الخشخشة تحت حوافر دوابهم : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : خذوا منه فإنه من أخذ منه ندم ، ومن تركه ندم . فمنهم من أخذ ، ومنهم من ترك . فلما خرجوا من الظلمة إذا هو الزبرجد . فندم الآخذ كونه لم يُكثر ، والناك كونه لم يأخذ . قال :

(١) زيادة عن الثعلبي .

(٢) زيادة عن الثعلبي ، ومكانها في الأصل : « إنك لم » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " رَحِمَ اللهُ أَنْحَى ذَا الْقَرْنَيْنِ لَوْ ظَفِرَ بَوَادِي الزَّبَرَجَدِ فِي الْمَبْتَدَأِ مَا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى أُخْرِجَهُ إِلَى النَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ ظَفِرَ بِهِ وَهُوَ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا لَا حَاجَةَ لَهُ فِيهَا " .

قال الثعلبي : ثم رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بشهرزور . وقال علي رضي الله عنه : [ ثم إنه <sup>(٢)</sup> رجع إلى دومة الجندل <sup>(٣)</sup> فأقام بها حتى مات . وصرح الثعلبي في سياقة أخباره أنه الذي قتل دارا بن دارا ، وأنه لم تطل مدة عمره . وسند كرا إن شاء الله تعالى خبر قاتل دارا بن دارا في أخبار ملوك اليونان .

وحكى الأنماطي عن وهب في خبر دخول الإسكندر الظلمات : أنه لما انتهى إلى مغرب الشمس ترك من معه هناك وسار على الماء في الظلمة ثمانية أيام وثمانى ليال حتى انتهى إلى جبل قاف ، وإذا هو بملك قابض على الجبل يسبح الله تعالى ، فخر ذو القرنين ساجدا لله تعالى فلم يرفع رأسه حتى قواه الله تعالى على النظر إلى الملك . فقال له : كيف قويت يا ابن آدم على أن تبأع هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك ؟ ! قال : قواني الله الذي قواك على قبض هذا الجبل . فأخبرني عن هذا الجبل . قال : إنه قاف المحيط بالأرض كلها ، وأولها هو لا تكفأت الأرض بأهلها ، وليس على ظهر الأرض أعظم منه ، وإنه لمحيط بها كالحلقة ، وهو أول جبل أثبتته الله ، فرأسه ملصق بسماء الدنيا ، وأسفله راسخ في الأرض السفلى .

٩٥  
١٢

- (١) شهرزور ( بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء ، وضم الراء المهملة والذاء المعجمة ) : بلدة بين الموصل وهمدان ، بناها زور الضحاك ، فقيل شهرزور . ومعناه مدينة زور ، وهي خصبة كثيرة المتاجر في غزلة ، وفي أهلها غلظ وجفاء . ( عن تقويم البلدان ) . (٢) زيادة عن الثعلبي .
- (٣) دومة الجندل ( بضم الدال المهملة ) : موضع فاصل بين الشام والعراق ، على سبع مراحل من دمشق ، وعلى ثلاث عشرة مرحلة من المدينة . ( عن تقويم البلدان ) .

وحكى إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب العجائب الكبير : أن ذا القرنين لما سار إلى الظلمة سرّ بجزيرة فيها أمة رؤسهم رؤس الكلاب العظام بادية أنيابهم ، يخرج من أفواههم مثل لهب النار ، وأنهم خرجوا إلى مراكبه لخاربوه فتخلص منهم ، وسار فرأى نورا ساطعا فقصدته فاذا هو قد بلغ جزيرة القصر . قال : وهذه الجزيرة فيها قصر مبنّى بالبلور الصافى على الطول يشفّ حتى يرى نورده على البعد ، فأراد النزول بها ، فمنعه بهرام فيلسوف الهند وعرفه أن من نزل إليها وقع عليه النوم وعزب عقله فلا يستطيع الخروج منها حتى يهلك . قال : ويقال إنه ظهر لهم منها قوم قصار زعر ، لباسهم ورق الشجر . فسأل بهرام عن صبرهم على المقام بها ، فعترفوه أن بها ثمرا إذا أكلوا منه زال عنهم ذلك ، وذكروا أنهم إذا كان الليل ظهر بين شرف القصر مثل المصابيح تسرج إلى الصبح ثم تُخمد نهارا إلى الليل ثم قد . قال : ويقال إنه سرّ فى طريقه بجزيرة التّنين<sup>(١)</sup> وإنها جزيرة فيها جبال وأنهار وأشجار وزروع وهى عامرة ، وعلى مدينتها حصن عال ، وبها تنين عظيم قد سام أهلها أقبح سؤم . فلمّا دخلها الإسكندر استغاثوا به من التّنين وأنه أتلّف مواشيهم حتى إنهم جعلوا له فى كل يوم ثورين ينصبونهما قريبا من موضعه ، فيخرج فيبتلعهما . فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فساخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا ، وجعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد ، وجعلهما فى ذلك المكان . وخرج التّنين وأقبل كالسحابة السوداء وعيناه<sup>(٢)</sup> [تلمعان] كالبرق ، والنار تخرج من جوفه ، فأبتلعهما ومضى ، فأضطربت تلك الأشياء فى جوفه ، فلمّا أحس بثقلها ذهب ليقذفها ، فتشبكت

(١) هذه الجزيرة تسمى « جزيرة المستشكين » كما ورد فى الجزء الثانى من مسالك الأبصار لابن فضل

الله العمرى ( ص ٦٧ ) الذى تقوم بطبعه دار الكتب المصرية وقد ذكر حكاية الإسكندر والتنين

بتوسع عما هنا . (٢) زيادة عن مسالك الأبصار .

الكلاليب في حلقه نخز وفتح فاه ليستروح ، فأمر الإسكندر بقطع الحديد فأحييت  
وُحِلت على ألواح من حديد وقُدِفَت في حلقه فمات . ففرح أهل ذلك الموضع  
بموته وألطفوا الإسكندر وحملوا اليه من طرائف ما عندهم . وكان فيما حملوه اليه  
دابة في خلق الأرنب ، شعرها أصفر يبرق كالذهب ، يسمونها المعراج ، وفي رأسها<sup>(١)</sup>  
قرن واحد أسود ، اذا رأتها الأسود وسباع الوحش وكل دابة هربت منها .

وقال الأنماطي في سياقة أخبار الإسكندر عن وهب تلو خبر السد : ثم انطلق  
ذو القرنين بعد ذلك ، فبينما هو يسير إذ مر على شيخ يصلي ، فوقف عاياه بجنوده حتى  
إذا آنصرف من صلاته قال له : كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود ؟ ! قال : كنت  
أناجي من جنوده أكثر من جنودك ، وسلطانهُ أعز من سلطانك ، وقوته أشد من  
قوتك ، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبليه . قال له : هل لك أن  
تنطلق معي وأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أمري ؟ قال : نعم ، إن  
ضمنت لي أربعة خصال : نعيم لا يزول ، وصحة لا سقم فيها ، وشباب لا كبر فيه ،  
وحياة لا موت فيها . قال له ذو القرنين : وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال ! .  
قال الشيخ : فإني مع من يقدر عليها ويملكها ، فتركه وسار . فبينما هو يسير إذ دَفَعَ  
إلى الأمة الصالحة من قوم موسى الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فوجد أمة<sup>١٥</sup>  
مُقسِطة عادلة يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ويتواسون ، فكلمتهم واحدة ،  
وقلوبهم مؤلفة مستقيمة ، وسيرتهم مستوية ، وقبور موتاهم في أفنتهم ، وليس  
على بيوتهم أبواب تُغلق ، وليس عليهم أمراء ، ولا قضاة بينهم ، ولا أشراف<sup>(٢)</sup>

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣٨٤) وعرفها بقوله : « المعراج : دابة عظيمة  
عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع والدواب إلا هرب ،  
ذكرها القزويني في جزائر البحار » . وفي الأصول : « يسمونه بفراج » وهو تحريف .  
(٢) في الأصل : « وليس على أبواب بيوتهم » .

- يتفاوتون ، ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يتسابقون ولا يقتتلون ولا  
يقحطون ولا تصيبهم الآفات ؛ فعجب من أمرهم وقال : أخبروني خبركم أيها القوم ؛  
فإني قد أحصيت الأرض شرقها وغربها ، وسهلها وجبلها ، وبرها وبحرها ، ونورها  
وظلمتها ، فلم أر مثلكم . قالوا : سلنا عما بدا لك نُخبرك . قال : ما بال قبوركم في أفنيتكم  
وعلى أبواب بيوتكم ؟ قالوا : لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا . قال :  
فما بال بيوتكم لا أبواب عليها ؟ قالوا : ليس فينا متهم ولا ظنين ، ولا فينا إلا مؤمن  
أمين . قال : فما بالكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لأننا لا نتظالم . قال : فما بالكم  
ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لأننا لا نتكاثر . قال : فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون ؟  
قالوا : من قبل أننا متواسون متراحمون . قال : فما بالكم ليس فيكم أشراف ؟ قالوا :  
لأننا لا نتنافس . قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من ألفة قلوبنا  
وصلاح ذات بيننا . قال : فما بالكم ليس بينكم حكام ؟ قالوا : نحن لا نختصم .  
قال : فما بال كلمتكم واحدة ؟ قالوا : من قبل أننا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يعتاب  
بعضنا بعضا . قال : فأخبروني من قبل ماذا تشابهت قلوبكم وأعتدلت سيرتكم ؟  
قالوا : من صحة صدورنا ، فنزع الله بذلك الغل والحسد من قلوبنا . قال : فما بالكم  
ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أننا نقسم بالسوية . قال : فما بالكم  
ليس فيكم فظ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذل والتواضع . قال : فأخبروني بماذا أنتم  
أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قبل أننا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل . قال : فما  
بالكم لا تقحطون ؟ قالوا : لأننا لا نغفل عن الاستغفار . قال : فما بالكم لا تصيبكم  
الآفات ؟ قالوا : من قبل أننا لا نتوكل إلا على الله ، ولا نستمطر بالأنواء ولا بالنجوم .  
قال : أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا يعطون مسكينهم ، ويواسون  
فقيرهم ، ويوقرون غنيهم ، ويعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون الى من أساء اليهم ،



وَيُحْلِمُونَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَّهِمْ ، وَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُمْ ، وَيُؤَدُّونَ أَمَانَتَهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ وِفَاءَهُمْ لِصِلَاحِهِمْ ، وَيُوفُونَ بَعْدَهُمْ ، وَيَصْدُقُونَ فِي مَوَاعِيدِهِمْ ، وَلَا يَرِغِبُونَ عَنْ أَكْفَائِهِمْ ، وَلَا يَسْتَنْكِفُونَ عَنْ أَقَارِبِهِمْ ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِذَلِكَ أَمْرَهُمْ ، وَحَفِظَهُمْ بِهِ مَا كَانُوا أَحْيَاءَ . قَالَ : فَأَقَامَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَهُمْ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ تُطَلْ مَدَّةُ إِقَامَتِهِ فِيهِمْ . قَالَ وَهَبُ : عَاشَ مِنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ قُبِضَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَعْمَرِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ أَلْفَ وَسِتْمِائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِي حَيَاةِ أُمِّهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَدْرَكَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَاجْتَمَعَ مَعَهُ وَأَرْكَبَهُ مِنْ دَوَابِّهِ . حَكَاهُ الْأَزْرَقِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

## الباب الثاني

### من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأصقاع، وهم ملوك الهند والصين والترك وجبل الفتح وملك مصر

### ذكر أخبار ملوك الهند

قال المسعودي في مروج الذهب <sup>(١)</sup> : ذكر جماعة من أهل النظر والبحث الذين  
واصلوا البحث والعناية بتأمل شأن هذا العالم <sup>(٢)</sup> [وبدئه] أن الهند كانت في قديم الزمان  
الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة، وأنه لما تجملت الأجيال وتحزبت الأحزاب حاولت  
الهند أن تضم المملكة وتستولي على الحوزة وتكون الرياسة فيها. قال كبرائهم : نحن كنا  
أهل البدء وفيما التناهى، ولنا الغاية والصدر والآنهاء، ومنا سرى الأب إلى الأرض،  
فلا شاقنا أحد ولا عاندنا ولا أراد بنا الاغتماس <sup>(٣)</sup> إلا أتينا عليه وأبدناه أو يرجع <sup>(٤)</sup> إلى  
طاعتنا . فأجمعت على ذلك رأيها ونصبت لها ملكا، وهو « البرهمن » الأكبر  
والملك الأعظم، واليه تنسب طائفة البراهمة بالهند، لا إلى إبراهيم الخليل صلى الله عليه  
وسلم . وهذا « البرهمن » هو الإمام المقدم فيهم الذي ظهرت في أيامه الحكمة وتقدمت  
العلماء، وأمر باستخراج الحديد من معادنه، وضربت في أيامه السيوف والخناجر  
وكثير من أنواع السلاح وآلات القتال، وشيد الهياكل ورضعها بالجواهر النفيسة  
المشرقة، وصور فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر برجا والكواكب، وبين بالصورة

(١) راجع (ج ١ ص ٣٥ طبع بلاق) .

(٢) زيادة عن مروج الذهب .

(٣) الاغتماس : الاحتقار والاستصغار .

(٤) كذا في المسعودي . وفي الأصول : « يرجع » .

- كيفية العالم ، وأرى بالصورة أيضا كيفية أفعال الكواكب في هذا العالم وإحداثها للأشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها ، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس ، وبرهن على ذلك كله وقربه إلى عقول العوام وأذهانهم ففهموه ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك ، وأشار إلى المبدئ الأول المعطى لسائر الموجودات [ وجودها الفاضل عليها بجوده ] . فأنقادت له الهند ، وأراهم وجه مصالح الدنيا وأخصبت بلادهم . وجمع الحكماء في أيامه كتاب «السند هند» ، وتفسيره دهر الدهور ، ومنه فرغت الكتب ، ككتاب الأزجهر والمجسطي ، وفرع [ من الأزجهر الأركنند ومن المجسطي ] كتاب بطليموس ، ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات . وأحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي . وكان البرهمن هذا أول من تكلم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ، ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة . إلى غير ذلك من هذا الفن . وكان ملك البرهمن إلى أن هلك ثلاثمائة سنة وستا وستين سنة ، وولده يعرفون بالبراهمة ، والهند تعظمهم إلى وقتنا هذا ، وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، وهم لا يتغذون بشيء من الحيوانات . وفي رقاب النساء والرجال منهم خيوط صفرة يتقلدون بها كحائل السيوف ، تفرق بينهم
- (١) في مروج الذهب : « وأورد » . (٢) كذا في مروج الذهب . وفي الأصل : « إلى عقول القوم » . (٣) التكملة عن مروج الذهب . (٤) السند هند أحد المذاهب الثلاثة المشهورة للهند في علم النجوم ، وهي مذهب السند هند ، ومذهب الأزجهر ، ومذهب الأركنند . ومذهب السند هند هو المذهب الذي تقلده جماعة من الاسلام وألفوا فيه الأزياج كمحمد بن إبراهيم الفزارى وحنش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم . (راجع طبقات الأمم لابن صاعد ص ١٩ طبع مصر) . (٥) في طبقات الأمم أن معنى «السند هند» الدهر الداهر . (٦) الزيادة من مروج الذهب . وفي الأصول : « وفرع منها » . (٧) قال المسعودي في مروج الذهب : « والأوج على رأى البرهمن في وقتنا هذا وهو ستة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في برج الثور ، وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العام خرابا والخارب عمارا ، والشمال جنوبا والجنوب شمالا ... الخ » ثم ذكر المسعودي كلاما طويلا .

و بين غيرهم من أنواع الهند . وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم أنه آدم وأنه رسول من الله الى الهند ، ومنهم من زعم أنه كان ملكا ، على حسب ما قدمناه وهو الأشهر . ولما هلك البرهمن جرعت عليه الهند جزعا شديدا ، وملكت عليها ولده الأكبر .

### ذكر تنصيب ابن البرهمن وهو الباهبود<sup>(١)</sup>

وكان ولي عهد أبيه من بعده . فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر إليهم ، وزاد في بناء الهياكل ، وقدم الحكماء ورفع من مقدارهم وزاد في مراتبهم ، وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها . وكان ملكه الى أن هلك مائة سنة . وفي أيامه عمل النرد ولعب به ، وجعل ذلك مثالا للمكاسب ، وأنها لا تُنال بالكسب ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحذق . وذكر أن أردشير بن بابك أول من وضع النرد ولعب بها ، وأرى تقلب الدنيا بأهلها واختلاف أدها . وجعل بيوتها آثني عشر بعدد الشهور ، وجعل مهوركها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، والفصوص أمثلة للقدر وتقلبه بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب بها فيبلغ بإسعاد القدر له في مراده بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره اذا لم يسعده القدر ، وأن الأرزاق لا تُنال في هذه الدنيا إلا بمقادير .

ثم ملك بعده رامن<sup>(٢)</sup> ، فكان ملكه نحوًا من خمسين ومائة سنة . قال : وله سير وأخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين .

ثم ملك بعده فور ، وهو الذي قتله الإسكندر بن فيليبس اليوناني مبارزة . وكان ملكه الى أن قُتل أربعين ومائة سنة .

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ٣٧) : « الناهود » .

(٢) في المسعودي « كلاهما » .

(٣) في المسعودي : « دامن » .

ثم ملك بعده تسام<sup>(١)</sup>، وهو الذى وضع كتاب كلياة ودمنة الذى نقله ابن المقفع .  
 وكان ملكه مائة وعشر سنين<sup>(٢)</sup> ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده بلهيت . وفى أيامه صُنِعَت الشَّطْرَنْجُ فَقَضَى بلعبها على النَّرْدِ، وَبَيَّنَّ  
 الظَّفَرُ الذى يناله الخازم والنكبة التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما، ورتب لذلك  
 كتابا للهند يتداولونه بينهم، ولعب بها مع حكائه . وكانت مدة ملكه الى أن هلك  
 نحو من ثمانين سنة، وفى بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

ثم ملك بعده كُوش<sup>(٣)</sup>، فأحدث للهند آراءً فى الديانات على حسب ما رأى من  
 صلاح الوقت . وما يحتمله أهل العصر من التكليف، وخرج عن مذاهب مَنْ  
 سَلَفَ . وكان فى مملكته وعصره سندباد، وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام  
 وأمراة الملك، وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد . وعُجِّلَ لهذا الملك الكتاب  
 الأعظم فى معرفة العال والأدواء والعلاجات وأشكال الحشائش وصفتها . وكان  
 ملك هذا الملك الى أن هلك عشرين ومائة سنة . ولما هلك اختلفت الهند فى آرائها  
 فتحزبت الأحزاب وتجيأت الأجيال، وأنفرد كل رئيس بناحيته، فملك على أرض السند  
 ملك، وعلى أرض القنوج ملك، وعلى أرض قشмир ملك . فكانت مدة اجتماع  
 الكلمة ببلاد الهند على ملك واحد على هذا الحكم نحو من ألف سنة وست وستين  
 سنة . وعلى القول الآخر ألف سنة ومائة سنة وست عشرة سنة . وعدة ملوكهم  
 سبعة ملوك . والله تعالى أعلم .

٩٨  
١٢

(١) فى المسعودى : « ديتلم » .

(٢) فى المسعودى : « وعشرين سنة » .

(٣) فى المسعودى : « كورس » .

وملك بعد كوش بمدينة المانكيرو وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى البلهرا . قال  
المسعودي : وأرض الهند أرض متسعة في البر والبحر والجبال ، وملكهم يتصل  
بملك التنج وهي دار مملكة المهرج . وهذه المملكة قرز بين مملكة الهند والصين .  
قال : ومن عادة الهند أنها لا تملك الملك حتى يبلغ عمره أربعين سنة ، ولا تكاد  
ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة معلومة من الزمان . ويكون ظهور الملك  
للنظر في أمور الرعية . وقال أيضا : رأيت في بلاد سرنديب<sup>(١)</sup> ، وهي جزيرة من جزائر  
البحر إذا مات ملكهم صيروه على عجلة صغيرة البكر ، وشعره ينجر على الأرض ، وامرأة  
بيدها مكنسة تحشو التراب على رأسه وتنادي : أيها الناس ، هذا ملككم بالأمس  
قد ملككم وجاز فيكم أمره قد صار إلى ما ترؤن من ترك الدنيا ، وقبض روحه ملك  
الملوك الحى القديم الذى لا يموت . فلا تغتروا بالحياة بعده . وكلام هذا معناه من  
الترهيب والترهيد في هذا العالم . ويطاف به في جميع شوارع المدينة وهو كذلك ؛  
ثم يفصل بأربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب ويحرق  
بالنار ويذرى رماده في الرياح . قال : وكذلك فعلى أكثر أهل الهند بملوكهم  
وخوائصهم لغرض يذكرونه . قال : والمملك مقصور في أهل بيت لا ينتقل منهم  
إلى غيرهم . وكذلك بيوت الوزراء والقضاة وسائر أرباب المراتب ، لتوارث مناصبهم  
ولا تغير ولا تبدل . وعندهم أن ملكهم متى شرب الشراب فقد استحق الخلع .  
والله الهادى .

(١) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

## ذكر أخبار ملوك الصين

- قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :  
 لما قسم فالغ بن عابر بن أرخشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح سار ولد  
 عامور بن توبل بن يافث بن نوح يسرة المشرق ، فكان منهم أجناس الترك . وسار  
 الجمهور من ولد عامور على ساحل البحر حتى انتهوا الى أقاصيه من بلاد الصين ،  
 فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوها وعمروها ، وكثروا الكور ، ومضروا الأمصار ،  
 ومدنوا المدن ، واتخذوا للملك مدينة عظيمة سموها إيقو ، وبينها وبين ساحل البحر  
 الحبشي ، وهو بحر الصين مسيرة ثلاثة أشهر ، مدن وعمائر متصلة . فكان أول  
 من تملك عليهم في هذه الديار نسطيرطاس بن ماعور بن بزنج بن عامور . قال :  
 ولما ملك فزق أهله في تلك الديار ، وشق الأنهار ، وغرس الأشجار ، وطعم  
 الثمار ، وقتل السباع . وكانت مدة ملكه ثلاثمائة سنة ونيفا وهلك .  
 فقام بالأمر بعده ولده عمرو بن نسطيرطاس ، بفعل جسد أبيه في تمثال  
 من الذهب الأحمر جزءا عليه وتعظيما له ، وأجلسه على سرير من الذهب مريض  
 بالجوهر ، وجعل مجلسه دونه ، وسجد له وهو في جوف ذلك التمثال ، وسجد معه  
 أهل مملكته ، وفعل ذلك في كل نهار في طرفيه . وكانت مدة ملكه بعد أبيه نحو  
 من مائتي سنة وخمسين سنة ثم هلك .

(١) راجع (ج ١ ص ٦١ طبع بلاق) .

(٢) في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٨) : « فالج » بالجيم المعجمة . (٣) في المسعودي :

« عابور » . (٤) كذا في الكتاب المقدس (ج ١ ص ١٧) وفي الأصل : « سربل » .

(٥) في المسعودي : « انموا » . (٦) كذا في ب . وفي أ هنا ، « فنطراس » .

وفي المسعودي : « اسطرماس » . (٧) كذا في أ . وفي ب : « ياعور » .

وفي المسعودي : « فاعور » . (٨) في المسعودي : « بريج » .

٩٩  
١٢

فملك بعده آبنه عيرون بن عرون<sup>(١)</sup> . ولمّا ملك جعل جسد أبيه عرون  
في تمثال من الذهب ونصبه دون مرتبة جدّه ، وكان يبدأ بالسجود لجدّه ثم يسجد  
لأبيه ، وساس الرعيّة بأحسن سياسة ، وساواهم في جميع أمورهم ، وشملهم بعدله ،  
وكثر النسل ، وأخصبت الأرض . وكان مُلكه الى أن هلك مائتي سنة .

ولمّا مات ملك بعده ولده عثينان بن عيرون<sup>(٢)</sup> . قال : ولمّا ملك جعل  
جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وجرى في أمره على ما سلف من عادتهم في السجود  
والتعظيم . وطالت مدّته في الملك ، وآتسعت مملكته حتى اتّصلت بلاده ببلاد الترك  
من بني عمه . وأُتخذ في أيامه كثيرٌ من المهن مما لطف في الرقة من الصنائع ،  
وعاش أربعمائة سنة ثم هلك .

فملك بعده آبنه حرّانان بن عثينان<sup>(٣)</sup> . قال : ولمّا ملك جرى في جسد أبيه على  
عادتهم ، ثم أمر باتّخاذ الفُلك وحمل فيها الرجال ، وحمل معهم لطائف بلاد الصين  
وسقّوهم نحو بلاد الهند والسند والى إقليم بابل وسائر الممالك مما قرب  
وبعد في البحر . وأهدى الى الملوك الهدايا العجيبة والتحف النفيسة . وأمر  
أصحابه الذين سقّوهم أن يجلبوا إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف والمأكول  
الذي لا يوجد في بلاده ، والمشروب والغروس وأصناف الأقمشة والأمتعة وغير  
ذلك . وأمرهم أن يتعرّفوا سياسة كلّ ملك ، وملة كلّ أمة وشرائعها ونهجها الذي  
هي عليه ، وأن يرغبوا الناس فيما في بلادهم من الجواهر والطيب والآلات .  
فتفرّقت تلك المراكب في البلاد وفعلوا ما أمرهم به ، فلم يردّوا على مملكة من  
الممالك إلا أعجبوا بهم واستظرفوا ما معهم . فأنشأت الملوك المحيطة بممالكهم

(١) في المسعودي : « عبور » . (٢) في المسعودي : « عثينان » .

(٣) في ١ : « جرابان » . وفي المسعودي : « حرامان » .



بالبحار السفن وجهزت نحو الصين ، وحملوا إليهم ما ليس عندهم ، وكتبوا ملكهم وكافؤوه على ما كان قد هاداهم به من تحف بلاده ، فعمرت بلاد الصين ، واستقامت أمور مملكة الصين . فكانت مدة حياته في الملك نحواً من مائتي سنة وهلك ، فجزع أهل مملكته عليه وحزنوا حزناً شديداً ، وأقاموا النياحة عليه شهراً .

- ٥ . وملك بعده ابنه توتال<sup>(١)</sup> بن حرانان . قال : ولما ملك جعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وسلك فيه سنة من تقدمه من آباءه ، واستقام أمره ، وأحدث من السنن المحموده ما لم يحدثه أحد من الملوك قباه . وقال لأهل مملكته : إن الملك لا يثبت إلا بالعدل لأنه ميزان الباري ، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل . وخصّ وشرف وتوجّج ورتب الناس في رتبهم ، ووقفهم على طرائفهم . وخرج يرتاد موضعاً يبني فيه هيكلًا ، فوافي موضعاً عامراً بالنبات ، حسن الاعتماد بالزهر ، تخترقه المياه . فخط الهيكل هناك ، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان ، فشيّد الهيكل وجعل على أعلاه قبة ، وجعل لها مخارق للهواء متساوية . وجعل في الهيكل بيوتاً لمن أراد الانفراد للعبادة . فلما فرغ من الهيكل نصب في أعلاه تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آباءه ، وقال : في ترك ذلك على ما هو عليه خروج عن حد الحكمة ، ويكون ذلك الى غير غاية ونهاية .
- ١٠ . وأمر بتعظيم تلك الأجساد التي جعلها في أعلى القبة . ثم جمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم أن من رأى أن يضمّ الناس الى ديانة يرجعون إليها فيجتمع الشمل ويتساوى النظام ، وقال : إنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ، ودخول الفساد والزلل ، فرتب لهم سياسة وشريعة وفرائض<sup>(٢)</sup> ، ورتب لهم قصاصاً

(١) في السعودي : « تومامان » .

(٢) في السعودي : « فرتب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطاً » .

للنفوس والأعضاء ، وقاعدة تستباح بها الفروج وتصح بها الأنساب . وجعل مما  
 رتبته وقتره لوازم ونوافل ، وأوجب عليهم صلوات خالقهم تقربا الى معبودهم  
 [ منها ] إيماء لا ركوع فيها ولا سجود [ في أوقات من الليل والنهار معلومة ، ومنها <sup>(١)</sup>  
 بركوع وسجود ] في أوقات من السنين وفي شهور محدودة . ورسم لهم أعيادا . وأوجب  
 على الزناة منهم حدودا ، وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مقتررة ، وألا يستبحن  
 بالنكاح وقتا من الأوقات ، وإن أقبلن عما كن عليه [ تكف الجزية عنهن <sup>(٢)</sup> ] .  
 وما يكون من أولادهن ذكورا يكونون للملك جندا وعبيدا ، وما يكون من أولادهن  
 إناثا فلا مهماتهن ولا يحقن بصنعتهن . وأمر بقرايين اللهيا كل ودخن وأبجرة  
 للكواكب ، وجعل لكل كوكب منها دحنا يتقرب إليه بها معمولة من أنواع الطيب  
 والعقاقير . وأحكم لهم جميع الأمور : فاستقامت أيامه وكثر النسل . فكانت مدة  
 حياته نحوًا من مائة وخمسين سنة ثم مات ، فجزعوا عليه جزعا عظيما ، وجعلوه  
 في تمثال من الذهب ورضعوه بالجواهر وبنوا له هيكلًا عظيمًا ، وجعلوا في أعلاه  
 سبعة أنواع من الجواهر على ألوان الكواكب السبعة وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته  
 صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند [ ذلك ] الهيكل ، وصوروا صورته وذكروا سيرته  
 في لوح من الذهب ، وجعلوه في أعلى الهيكل من حيث تراه الأبصار ليكون ذلك  
 مثالا لمن يرد بعده في السياسة ونهج السيرة وصوروا صورته على أبواب المدينة .  
 وعلى الدنانير والفلوس والثياب . وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس . قال :  
 وأستقرت هذه المدينة دار ملك الصين وهي مدينة إيقو <sup>(٤)</sup> . قال : ولهم مدينة عظيمة

١٠٠  
١٣

(١) الكلمة عن المسعودي . (٢) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « والشهور معدودة » .

(٣) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « ذكورهن للملك جندا وعبيدا وما كن من إناث ... » .

(٤) في المسعودي : « .. وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب إليه فيه مذخر — صوابه بدخن وهو

ذرة بدخن بها — معلوم من أنواع الطيب والعقاقير » . (٥) في المسعودي : « انموا » كما تقدم .

- نحو ما يلي مغرب الشمس من أرضهم يقال لها مدو ، وتلى بلاد التبت . والحرب بين أهل مدو وبين أهل بلاد التبت سجال . ولم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة ، وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور في بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصب لهم تونال من الأحكام . وحروبهم على عدوهم قائمة ، وثغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود جار ، والتجار يختلفون اليهم في البر والبحر من كل بلد .  
 ودينهم دين من سلف من آبائهم ، وهي ملة تدعى السمنية <sup>(١)</sup> ، [عبادتهم] نحو من عبادات قريش قبل الاسلام ، يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات . فالليد فيهم يقصد بصلاته الخالق عز وجل ، ويقم التمثال من الأصنام وغيرها مقام قبلة .  
 والجاهل ومن لا علم له يشرك هذه التماثيل باللاهية <sup>(٢)</sup> الخالق ويعتقد هما جميعا ، وأن عبادتهم الأصنام تقربهم الى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنقص عن البارئ جلالاته وعظمته وساطانه ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة ، الى أن ظهرت في أهل الصين آراء ونحل حدثت من مذاهب الثنوية <sup>(٣)</sup> وأهل الدهر . وقد كانوا قبل ذلك في الآراء وعبادة التماثيل على حسب ما عليه عوام الهند وخواصهم ، فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا ، إلا أنهم ينقادون في جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من القاعدة التي قدمناها . قال : ومليكهم متصل بمليك الطغرغر <sup>(٤)</sup> . وكان اعتقاد

- (١) السمنية (بضم ففتح) : قوم بالهند من عبدة الأصنام دهيون قائلون بالتناسخ وينكرون وقوع العلم بالأخبار . يقال إنه نسبة إلى سمن اسم صنم لهم . وقيل : إن نسبتهم إلى بلد بالهند يقال لها سومنات . فتكون النسبة على غير قياس . (راجع شرح القاموس مادة سمن) . (٢) التكملة من المسعودي . (٣) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « ويعبدان » . (٤) الثنوية : أصحاب الاثنين .  
 زعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام والنور بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح . (راجع الملل والنحل للشهرستاني) . (٥) ويقال لهم أيضا طغرغر (بزاء من) وتغزر وتغرغر : جيل من الترك كانوا يسكنون أرضا واسعة على حدود الصين ، وهم فيها أصحاب خيام كأعراب البادية . (راجع النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣ وكتاب التنبيه والإشراف للمسعودي) .

الطُّغْرُغُرُ القُول بِلَّهِ النُّور والظُّلْمَة ، وكانوا قبل ذلك جاهليَّة جهلاء ، سبيلهم  
 في الاعتقاد سبيل أنواع الترك ، الى أن وقع إليهم شيطان من شياطين المانيَّة <sup>(١)</sup> ،  
 فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد هذا العالم وتنافيه من موت وحياة وصحة وسقم  
 وغنى وفقر وضياء وظلام واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب  
 ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات ، وذكر لهم أنواع الآلام  
 المعترضة لأجناس الحيوان الناطق والصامت ، وما يعرض للأطفال والبله والمجانين ،  
 وأن الباري غني عن إيلاهم ، وأراهم أن هناك ضدا شديدا دخل على الخير الفاضل  
 في فعله وهو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فأجذب بذلك عقولهم  
 ودانوا به . فإذا كان ملك الصين سُمِّيَ المذهب يذبح الحيوانات ، فتكون الحرب  
 بينه وبين ملك الترك قائمة ، وإذا كان ماني المذهب كان الأمر بينهم مشاعا <sup>(٢)</sup> .

قال : وملوك الصين ذوو آراء ونحل ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين  
 عن قضية العقل وسنن الحق في نصب القضاة والأحكام ، وأنقياد الخواص والعوام  
 الى ذلك . قال : وأهل الصين شعوب وقبائل كشعوب العرب وأنفذاها ، ولهم  
 مُراعاة لحفظ أنسابهم . وينتسب الرجل منهم الى خمسين أبا وأكثر الى أن يتصل  
 بعامور <sup>(٣)</sup> . ولا يتزوج أهل كل نخذ إلا من نخذه <sup>(٤)</sup> ، ويزعمون أن في ذلك صحة  
 النسل وقوام البنية ، وأن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر .

(١) المانيَّة ويقال لها أيضا المانوية : أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور  
 ابن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ، أخذ دينا بين المجوسية  
 والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وزعم أن العالم مصنوع مركب  
 من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا . وأنكر وجود شيء لا من أصل  
 قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قوتين حساسين سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير  
 متضادان وفي الخير متحاذايان تحاذى الشخص والظل ... ( راجع الملل والنحل للشهرستاني ) .  
 (٢) في الأصل : « كان الأمر بينهم والملك مشاعا » . (٣) في المسعودي : « بعابور » .  
 (٤) كذا في المسعودي ، وقد فصل هذه القضية . وفي الأصل : « ولا يتزوج أهل نخذ من نخذه » .

قال المسعودي : ولم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سآف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في ملك الصين أمر زال به النظام وانتقض به حكم شرائعهم ومنع من الجهاد . وكان سبب ذلك أن خارجياً خرج ببلد من مدن الصين وهو من غير بيت الملك ، يقال له ياسر ، شرير . وكان في ابتداء أمره يطلب الفتوة ، ويجمع إليه أهل الدعارة والشر ، فالحق المملوك وأر باب التدبير غفلة عنه لنحول ذكره . وأنه ممن لا يبالي به ؛ فاشتد أمره ، ونما ذكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه . فسار من موضعه وشن الغارات ، ولم يزل كذلك حتى نزل مدينة خانقو ، وهي المدينة العظيمة . قال : وهي على نهر عظيم أكبر من دجلة أو نحوه ، تدخله السفن التي ترد من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج . وبين هذه المدينة وبحر الصين مسيرة

$$\frac{101}{12}$$

- (١) مدينة خانقو كما وصفها الادريسي : تقع الى الشرق من مصب نهر حمدان (ينغ تسي كينغ) . وبالرجوع الى مصور الادريسي نرى أن هناك مدينة أخرى تسمى « خانكو » أو « جانكو » ، وتقع هي كذلك على الشرق من مصب نهر حمدان . ونهر حمدان ، كما رسمه الادريسي ، يصب في المحيط بفرعين بينهما بعد كبير ، يلتقيان في الداخل على مسافة كبيرة وتقع خانقو على الفرع الجنوبي منهما . والظاهر أنه عند نهر « سيكينج » ونهر « ينج تسي كينج » فرعين لحمدان (ينغ تسي كينغ) وقد ذهب كونراد ميلار محقق وناشر خرائط الادريسي الى أن خانقو هي مدينة « كنتون » الآن . كما ذهب الى أن مدينة « جانكو » هي مدينة « تشوتشو » . (راجع مسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٩ الحاشية رقم ٤) .
- (٢) سيراف : من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، وهي مدينة آهلة . (راجع تقويم البلدان) .
- (٣) عمان (بضم العين المهملة وفتح الميم) : مدينة جلييلة على بحر فارس تحت البصرة ، وبها مرسى السفن من الهند والصين والزنج ، وليس على بحر فارس مدينة أجل منها . (راجع تقويم البلدان) .

- (٤) جزائر الزابج : هي في أقصى بلاد الهند وراء بحر هر كند في حدود الصين ، وقيل : هي في بلاد الزنج ، ذات زرع خصب وماء كثير ، وبها مغائص الثاؤز وأفاويه الطيب ، وبها جبل يسمى وبرة يأوى إليه عبادها . (راجع معجم البلدان ومسالك الأبصار ج ٢ ص ٣٤) .

ستة أيام أو سبعة ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغيرهم من أهل الصين . فقصده الخارجى هذه المدينة ، وألقى بجيوش الملك فهزمها ، وحاصر المدينة وفتحها واستولى على المملكة ، وقتل من أهل مدينة خانقو خلقا لا يُحصىون كثرة ، فأحصى من قُتل فيها من المسلمين والنصارى واليهود غير أهل الصين فزادوا على مائى ألف . ثم سار بجيوشه الى بلد بلد فأفتحه ، وقصد مدينة إيقو ، وهى دار المملكة ، وهو فى ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل . فخرج اليه الملك فى خواصه فى نحو مائة ألف وألحقها ، فكانت الحرب بينهم سجالا نحو شهر وصبرا جميعا ، ثم كانت على الملك فأنهزم ، وأمعن الخارجى فى طلبه . وأنحاز الملك الى مدينة فى أطراف أرض الصين . واستولى الخارجى على حوزة الصين وأحتوى على دار الملك وخزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنواب . وعلم أنه لا يقوم بالملك لأنه ليس من بيته ، فأخرب البلاد وأستباح الأموال وسفك الدماء . فكتب ملك الصين ملك الترك أمر خان وأستجده ، فأنجده ملك الترك بولده فى نحو أر بمائة ألف فارس وراجل . وقد أستفحل أمر الخارجى فالتقى الفريقان ، فكانت الحرب بينهما سجالا نحو سنة وقتل من الطائفتين ما لا يحصى كثرة ، ثم قُتِل الخارجى فقتل وأسر ولده وخواص أصحابه ، وعاد ملك الصين الى دار ملكه . قال : والعامة تسميه « بغيور » ، وتفسيره ابن السماء تعظيما له . والأسم الذى يخاطب به ملوك الصين طمغاجيان ، ثم لقبوا بعد ذلك ملكهم بالخان . قال : ولما كان من أمر هذا الخارجى الذى ذكرناه تغلب صاحب كل عمل على عمله ، وضعف ملك الصين عن مقاومتهم . وسندكر إن شاء الله تعالى ما آل اليه ملك الصين عند ذكرنا لأخبار الدولة الخنكزخانية .

والله أعلم .

(١) فى المسعودى « بغيور » .

## ذكر أخبار ملوك الترك

قال المسعودي : وقد تنازع الناس في الترك وبدئهم ، فذكر كثير منهم أن ولد عامور بن توبل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابر بن أرغشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح كما ذكرنا في أخبار ملوك الصين ساروا يسرة المشرق ، فقطع قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الأرض ، فصاروا عدة ممالك ، منهم <sup>(١)</sup> الديلم ، <sup>(٢)</sup> والجيل ، <sup>(٣)</sup> والطيلسان ، <sup>(٤)</sup> والتتر ، <sup>(٥)</sup> وفرغانة ، وأهل جبل الفتاح من أنواع اللكز <sup>(٦)</sup> واللان <sup>(٧)</sup> والخزر <sup>(٨)</sup> والأبخاز <sup>(٩)</sup> والسيرير <sup>(١٠)</sup> وكمشك وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع

- (١) الديلم : ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان على بحر قزوين . قاعدتها مدينة رشت . خرج منها طائفة من دول الشرق ، مثل بني بويه بالعراق وبني مرداويج بخرجان وغيرهم . وهي الآن إقليم جيلان بمملكة إيران (راجع معجم الخريطة التاريخية للرحوم أمين واصف بك) . (٢) الجيل : اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم فيه قرى كثيرة ، ويقال له جيلان ويكلان (راجع تقويم البلدان) .
- (٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٥ هـ . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٤) التتر : جيل من أجناس الترك ظهر سنة ست عشرة وستمائة هجرية بأقصى بلاد المشرق في جبال طغاج من حدود الصين يتأخمون الترك ويجاورونهم ، وبينهم وبين بلاد الاسلام التي هي ما وراء النهر ما يزيد على مسيرة ستة أشهر ، وهم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « كأن وجوههم المحجان المطرقة » . وكان ملكهم يسمى جنكركخان (راجع تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٤ طبع بلاق وشرح القاموس) . (٥) فرغانة : ناحية عظيمة وراء الشاش ووراء جيحون وسيجون ، ينسب اليها كثير من العلماء . (٦) اللكز : جيل من الناس كانوا يسكنون بلدة بنوها فسميت بهم وهي تقع خلف الدر بند تتأخم خزران (راجع تقويم البلدان ومعجم البلدان) .
- (٧) اللان : أمة كانت تسكن إقليم الففقااس مما يلي جبال القبيج (القوقاز) شمالا غربي داغستان والدر بند (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٨) الخزر : جيل خزر العيون . وقيل : هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدر بند قريب من سد ذي القرنين .
- (٩) كذا في تقويم البلدان وياقوت . وهي اسم ناحية من جبل القبق المنصل بباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسالك ، وعرة لا مجال للخيال فيها ، تجاور بلاد اللان . ووردت في الأصول بحروف مهملة .
- (١٠) السيرير : مملكة واسعة بين اللان والباب والأبواب وليس اليها إلا مسلكان : مسلك إلى بلاد الخزر ، ومسلك إلى بلاد إرمينية ، وهي ثمانية عشر قرية في جبال ، وهي المعروفة الآن بداغستان .

والأرمن إلى طَرَابَرْزَنْدَة<sup>(١)</sup> إلى بحر مانِيْطِش<sup>(٢)</sup> وَنِيْطِش<sup>(٣)</sup> وبحر الخَزَر إلى البُلْغَار<sup>(٤)</sup> وَمَنْ آتَصَلَ بِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ . وَعَبَرُ وَلَدَ عَامُورِ نَهْرَ بَلْخَ ، وَيَمُّ بِلَادِ الصِّينِ الْأَكْثَرِ مِنْهُمْ وَتَفَرَّقُوا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ وَانْتَشَرُوا فِي تِلْكَ الدِّيَارِ ، مِنْهُمْ الْخُتَلُ وَهُمْ سَكَّانُ خَتْلَانِ<sup>(٥)</sup> وَوَرَسْنَانَ<sup>(٦)</sup> وَالْأَسْرُوشَنَةَ<sup>(٧)</sup> ، وَالسَّغْدَ<sup>(٨)</sup> وَكَانُوا بَيْنَ بُخَارَى<sup>(٩)</sup> وَسَمَرْقَنْدَ<sup>(١٠)</sup> ، ثُمَّ الْفَرَاغَةَ وَالشَّاشَ<sup>(١١)</sup> وَأَهْلُ بِلَادِ الْفَارَابِ<sup>(١٢)</sup> ، فَبَنَوْا الْمَدَنَ وَالضِّيَاعَ ، وَأَنْفَرَدَ مِنْهُمْ نَاسٌ غَيْرُ هَؤُلَاءِ فَسَكَنُوا الْبَوَادِي

(١) ذَكَرَ أَبُو الْفَدَاءِ فِي تَقْوِيمِ الْبِلَادِ أَنَّهَا تَسْمَى الْآنَ طَرَابَرْزُونُ ، وَهِيَ مِينَاءُ مَشْهُورَةٌ عَلَى بَحْرِ مَانِيْطِشَ غَرْبِيٍّ سَمُومٍ وَشَرْقِيٍّ سَامْسُونُ ، وَفِي جَنْوِبِهَا بَشْرُقُ جِبَالِ الْكَزَى وَيُقَالُ لَهُ جِبَلُ الْأَلْسَنِ لِمَا فِيهِ مِنَ اللُّغَاتِ . وَأَكْثَرُ سَكَّانِهَا الْكَزَى . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَهَا أَسْوَاقٌ فِي السَّنَةِ يَأْتِي إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ لِلتِّجَارَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ وَالْأَرْمَنِ وَغَيْرِهِمْ .

(٢) هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِبَحْرِ آزَاقٍ وَبَحْرِ آزُوفٍ . (٣) هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِالْبَحْرِ الْأَسْوَدِ . (٤) الْبُلْغَارُ : جَنْسٌ مَعْرُوفٌ وَهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَى بِلَادِنَ يَسْكُنُونَهَا وَهِيَ قِسْمٌ عَظِيمٌ مِنْ بِلَادِ الْخَزَرِ عَلَى نَهْرِ الْإِتِلِ (الْقُولْخَا) وَلايَةِ قَازَانَ الرُّوسِيَّةِ الْآنَ (رَاجِعْ مَعْجَمَ الْخَرِيْطَةِ التَّارِيخِيَّةِ) .

(٥) خَتْلَانُ : بِلَادٌ مَجْتَمِعَةٌ وَرَاءَ بَلْخَ قَرِبَ سَمَرْقَنْدَ . (٦) وَرَسْنَانُ : مِنْ قَرَى سَمَرْقَنْدَ . (٧) أَسْرُوشَنَةُ : الْغَالِبُ عَلَيْهَا الْجِبَالُ . وَيَحِيطُ بِهَا مِنَ الشَّرْقِ بَعْضُ فَرَاغَةَ ، وَمِنَ الْغَرْبِ حَدُودُ سَمَرْقَنْدَ ، وَمِنَ الشَّمَالِ بَعْضُ فَرَاغَةَ أَيْضًا ، وَمِنَ الْجَنُوبِ بَعْضُ حَدُودِ كَشِّ وَالصِّغَانِيَّانِ (رَاجِعْ تَقْوِيمَ الْبِلَادِ) .

(٨) السَّغْدُ ، وَيُقَالُ فِيهَا الصَّغْدُ (بِالضَّادِ بَدَلِ السَّيْنِ) وَهِيَ أَحَدُ مَتَنَزَهَاتِ الدُّنْيَا الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ : غُوطَةُ دِمَشْقَ ، وَنَهْرُ الْأَبْلَةِ ، وَشَعْبُ بَوَانَ ، وَسُغْدُ سَمَرْقَنْدَ ، وَهُوَ أَتَزَهُ الْأَرْبَعَةِ لِأَنَّهُ مَتَدٌ نَحْوَ ثَمَانِيَّةِ أَيَّامٍ ، مُشْتَبِكُ الْخُضْرَةِ وَالْبَسَاتِينِ ، لَا يَنْقَطِعُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ ، وَقَدْ حَفَّتْ تِلْكَ الْبَسَاتِينُ بِالْأَنْهَارِ الدَّائِمِ جَرِيهَا ، وَمِنْ وَرَاءِ الْخُضْرَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَزَارِعٌ ، وَمِنْ وَرَاءِ الْمَزَارِعِ مَرَاغِي السَّوَاهِمِ ، وَهِيَ أَزْكَى بِلَادِ اللَّهِ وَأَحْسَنُهَا أَشْجَارًا . (رَاجِعْ صَبْحَ الْأَعَشَى ج ٤ ص ٤٣٣) . (٩) سَمَرْقَنْدَ : مِنْ أَكْبَرِ مَدَنٍ مَا وَرَاءَ

النَّهْرِ وَحَاضِرَةُ السَّغْدِ ، فَتَحَهَا قَتِيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ سَنَةَ ٩٣ هـ . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ الدَّوْلَةِ السَّامَانِيَّةِ (رَاجِعْ مَعْجَمَ الْخَرِيْطَةِ التَّارِيخِيَّةِ) . (١٠) الشَّاشُ : مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ فِي أَرْضٍ سَهْلَةٍ مِنْ عَمَلِ سَمَرْقَنْدَ وَرَاءَ نَهْرِ سِيْجُونِ ، وَمِنْهَا إِلَى فَرَاغَةَ خَمْسَ مَرَاكِلَ (رَاجِعْ تَقْوِيمَ الْبِلَادِ) . (١١) إِسْپِيْجَابُ : بِلَدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْيَانِ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي حَدُودِ تَرْكِسْتَانَ (رَاجِعْ مَعْجَمَ الْبِلَادِ لِيَاقُوتَ) .

(١٢) كَذَا فِي تَقْوِيمِ الْبِلَادِ وَمَعْجَمِ الْبِلَادِ ، وَهِيَ وَلايَةُ وَرَاءَ نَهْرِ جِيْجُونِ فِي تَخُومِ بِلَادِ التَّرْكِ وَهِيَ أَبْعَدُ مِنَ الشَّاشِ قَرِيبَةً مِنْ بِلَادِ سَاغُونِ ، وَوَادِيهَا يَأْخُذُ مِنْ نَهْرِ الشَّاشِ . وَفِي الْأَصُولِ :



وهم الترك الخزر<sup>(١)</sup>ج والتغزغز<sup>(٢)</sup> وهم أصحاب مدينة كوشان<sup>(٣)</sup> ، وهي مملكة بين بلاد نراسان والصين . قال : ومن الترك الكيماكية<sup>(٤)</sup> والبرسخانية<sup>(٥)</sup> والغززية<sup>(٦)</sup> والجفورية . قال : وأشدهم بأسا الغززية ، وأحسنهم صورة الخزرلجية ، وكانوا على بلاد قرغانة والشاش وما يلي ذلك الضقع . قال : وفيهم كان المملك ، ومنهم خاقان الخواقين ، وكان مملكه يجمع سائر ممالك الترك وينقاد إليه ملوكها .

قال : ولحق فريق من ولد عامور بثخوم الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم خلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند . ولهم حضر وبوادي ، وسكن فريق منهم بلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد إلى ذلك الخاقان . فلما زال ملك خاقان سمي أهل التبت ملكهم بخاقان تشبيها بملوك الترك .

### ذكر جبل الفتح وما عليه من الملوك والأمم

قال المسعودي : وأما جبل الفتح فهو جبل عظيم اشتمل على كثير من الممالك والأمم ، وفيه اثنتان وسبعون أمة ، لكل أمة ملك و لغة تخالف لغة الأخرى . وهو ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على شعبي من شعابه ، وهي التي بناها كسرى . وعلى أحد شعاب هذا الجبل بحر الخزر مما يلي الباب والأبواب ، ومملكة

١٠٢  
١٢

- ١٥ (١) الخزرج : صنف من الترك ، وهم الذين كان منهم السلجوقية .  
(٢) كوشان : مدينة في أقصى بلاد الترك كما في معجم البلدان لياقوت .  
(٣) الكيماكية : نسبة إلى كيماك ، ولاية واسعة في حدود الصين وكان أهلها تركا يسكنون الخيام ويتبعون الكلا .  
(٤) البرسخانية : نسبة إلى برسخان ، وهي من مدن إسبجج .  
٢٠ (٥) الغززية : حدود ديارهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخزرلجية وبلغار .  
(٦) الجفورية : نسبة إلى الجفرو وهي في حدود بلاد التغزغز كما ذكر ياقوت في كلامه على تركستان .

شروان ، ويلي هذه المملكة مملكة الأتران <sup>(١)</sup> ، وملكها يدعى الأتران شاد . ومنها مملكة الموقانية ، ومملكة الأكر ، وهي أمة لا تُحصى كثرة تسكن أعالي هذا الجبل ، وهؤلاء ينقادون إلى ملك شروان ، ومنهم كفار لا ينقادون إليه يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون إلى قبلة . ويلي ملك شروان ملك طبرستان . ومن ممالك الجبل مملكة حيزان <sup>(٢)</sup> ، وهي داخلية في جملة الخزر . ومملكة الخزر تلي مملكة حيزان ، وبين مملكة الخزر ومدينة الباب ثمانية أيام . ومدينة الخزر اسمها سمندر <sup>(٣)</sup> . ومن مدن الخزر أيضا مدينة إتل <sup>(٤)</sup> بينها وبين سمندر سبعة أيام ، وهي ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك ، ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغار ويصب في بحر مانيطش . وفي هذه المدينة [ خلق <sup>(٥)</sup> ] من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية . فالملك وحاشيته وجيشه من اليهود ، والجاهلية بها من الصقالبة والروس ، وهم يحرقون موتاهم ودواب من يموت وآلاته . وإذا مات الرجل منهم أحرقت معه امرأته ، وإن ماتت المرأة لا يُحرق معها الزوج . وأما المسلمون فهم جند الملك ، ويعرفون باللارسية ، وهم ناقلة من بلاد خوارزم كانوا قد وفدوا إلى هذه المملكة لفتح أصاب بلادهم في صدر

(١) أتران : ناحية واسعة الأرجاء ، بين أرمينية وأذربيجان وبلاد الكرج وبحر قزوين . وأشهر مدنها : موقان ، وبرذعة ، والبيلقان ، وبين أتران وإقليم الكرج نهر الكز ، ومنها اشتق اسم دولة « إيران » في عصرنا هذا (راجع معجم الخريطة التاريخية) . (٢) الموقانية : نسبة إلى موقان بن كاشغ ، وهي ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركان للرعى فأكثر أهلها منهم ، وهي بأذربيجان ، يمر القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال . (راجع معجم البلدان في كلامه على موقان) . (٣) الدودانية : أمة يزعمون أنهم من بنى دودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة ، كما ذكر ياقوت في كلامه على أرمينية . (راجع معجم البلدان في كلامه على أرمينية) . (٤) حيزان : من مدن أرمينية قريبة من شروان . (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٥) سمندر : مدينة بين إتل وباب الأبواب ذات بساتين كثيرة ، يقال إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف بستان كرم ، وهي التي افتتحها في بدء الإسلام سليمان بن ربيعة الباهلي . (راجع ياقوت) . (٦) إتل : عاصمة بلاد الخزر . وقد سمي بها النهر العظيم الذي يمر ببلاد الخزر وبلاد الروس وبلغاز . (راجع ياقوت) . (٧) التكملة من المسعودي (ج ١ ص ٨٦) .

الإسلام . فاستعان بهم الملك فأقاموا عنده على شروط ، منها : أن يقيموا شعار الإسلام ، وأن تكون الوزارة فيهم ، وأنه إذا كانت الحرب بينه وبين المسلمين لا يحضرونها ويحاربون معه سائر الكفار . وبالمدينة قضاة سبعة : اثنان من المسلمين ، واثنان للخزَر يحكم<sup>(١)</sup> التوراة ، واثنان من النصارى يحكمان بالإنجيل ، وواحد من الصقالبة والروس والجاهلية يحكم بالقضايا العقلية . وإذا ورد ما لا علم لهم به من النوازل الكبار اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وأنقادوا لما توجبه الشريعة الإسلامية . وليس في الملوك من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزَر .

قال : وفي دار مملكة الخزَر رجل يكون اسمه خاقان لا يركب ولا يظهر للخاصة ولا للعامة ، ولا يستقيم مُلك الخزَر لملكهم إلا أن يكون عنده خاقان معه في قصره . فإذا أجذبت أرض الخزَر أو نابت بلادهم نائمة أو حرب ، جاءت الخاصة والعامة الى ملك الخزَر وقالوا له : قد تطيرنا بخاقان وبأيامه وتشاء منا به ، فأقتله أو سلمه إلينا نقتله ، من غير أن يكون قد عمل ما يوجب ذلك ؛ فتارة يقتله ، وتارة يسلمه اليهم فيقتلونه ، وتارة يمانع عنه ويرق له . وإذا قتل خاقان أقاموا غيره . قال : وللخزَر زوارق يركبون فيها من نهر فوق المدينة يصب الى نهر يقال له بُرطاس ، عليه أمم من الترك حاضرة داخلية في جملة ملوك الخزَر ، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخزَر والبُلغَر ، يرد هذا النهر من نحو بلاد البلغَر . ومن بلاد بُرطاس تحمل جلود الثعالب السود التي يُعرف وبرها بالبُرطاسي . قال المسعودي :<sup>(٢)</sup> ويبلغ ثمن الجلد منها مائة دينار . وتلبسها الملوك وهو عندهم أغلى من السمور<sup>(٣)</sup> والفنك ، والحُمُر دونها في الثمن .

(١) في الأصل : « يحكمون » . (٢) السمور : حيوان برى يشبه السمور يتخذ من جلده فراء ثمينة . (٣) الفنك (محركة) : دابة يفرى جلدها ، أى يلبس فروا .

قال : وفي أعالي نهر الخزر مصب يتصل بمخليج من نهر نيطش ، وهو بحر للروس لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحله . وهي أمة عظيمة لا تنقاد الى ملك ولا الى شريعة . وفي أرض الروس معدن من الفضة . قال : والروس أمم كثيرة<sup>(١)</sup> ، فمنهم جنس يقال لهم البوداغية<sup>(٢)</sup> ، وهم الأكثر ، يختلفون بالتجارات الى بلاد الأندلس والقسطنطينية ورومية . قال : وبين مملكة حيزان التي ذكرناها وبين الباب والأبواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون غير اللغة العربية في آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار ، ولهم قرى قد سكنوها . وهم على نحو من ثلاثة أميال من مدينة الباب والأبواب .

قال : وبلى مملكة حيزان مما يلي الفتح والسغد ملك يقال له برزنيان مسلم<sup>(٣)</sup> ، ويعرف بلد هذا الملك بالكرج . وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى برزنيان . ثم يلي مملكة برزنيان ملك يقال له عتيق<sup>(٤)</sup> ، وهم يدينون بدين النصرانية ، لا ينقادون لملك ، ولهم رؤساء ، وهم مهادنون لأهل مملكة اللان . ثم يليهم مما يلي السور والجبل مملكة يقال لها زره كران . وتفسير ذلك بالعربية عمال الزرد ؛ لأن أكثرهم يعملون الزرد والسيوف والثلج والركب وغير ذلك من آلات الحديد . وهم ذوو أديان مختلفة من المسلمين والنصارى واليهود . وبلدهم بلد ممتنع<sup>(٥)</sup> خشن قد امتنعوا فيه ممن جاورهم من الأمم لخشونته . ثم يلي هؤلاء ملك السرير

١٠٣  
١٢

(١) كذا في المسعودي . وفي الأصل : « أمة كبيرة » . (٢) في أ : « النوذاغية » بالنون والذال المعجمة . وفي المسعودي : « المودغانه » . (٣) كذا في معجم البلدان لياقوت في كلامه على الكرج . وفي الأصول : « برزنيان » . وفي المسعودي : « مدرمان » . (٤) في المسعودي : « عميق » . (٥) ذكر المسعودي أنه من ولد بهرام جور . وسمى صاحب السرير لأن يزدجرد حين ولي منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسير بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته ، ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هناك وذلك في خلافة عمر رضى الله عنه ، فقتل ذلك الرجل في هذه المملكة وأستولى عليها وصار الملك في عقبه ، فسمى صاحب السرير .

الى دين النصرانية تُدعى خزان ولها ملك . قالوا : وكانوا يؤدّون الخراج الى صاحب  
 ثغر تَفْلِس . وتليهم أمة يقال لها الصمصحية نصارى ، ومنهم جاهلية لا ملك لهم .  
 ويلهم بين ثغر تَفْلِس وقلعة باب ، الآن مملكة يقال لها الصنبارية ، وملكهم يقال له  
 كَرِشْكُوش . ينقادون الى النصرانية ، ويزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد .  
 ثم الى مملكة الصنبارية مملكة شكي وهم نصارى . ويلهم مملكة أخرى وهى مأوى  
 الصعاليك والذّعار ، ثم نتصل بمملكة الموقانية وهى التى على ساحل بحر الخزر .  
 والله أعلم بالصواب .

$$\frac{104}{12}$$

- (١) كذا فى المسعودى . وفى الأصول : « الضارية » .  
 (٢) فى المسعودى : « كرسكوس » . (٣) فى المسعودى : « سكين » .



تم الجزء الرابع عشر ، ويليه الجزء الخامس عشر  
 وأوله : ذكر أخبار مصر



كُمِّلَ طبع " الجزء الرابع عشر من نهاية الأرب فى فنون الأدب " .  
 بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء ٢٧ محرم سنة ١٣٦٢  
 ( ٢ فبراير سنة ١٩٤٣ ) م  
 محمد نديم  
 ملاحظ المطبعة بدار الكتب  
 المصرية

( مطبعة الدار ٨٢ ، ١٩٣٨ / ٢٥٠٠ )

جزء  
 معين التاريخ  
 لأهل التاريخ